

بسم الله الرحمن الرحيم


جامعة الملك عبد العزيز
كلية التربية
دراسات عليا

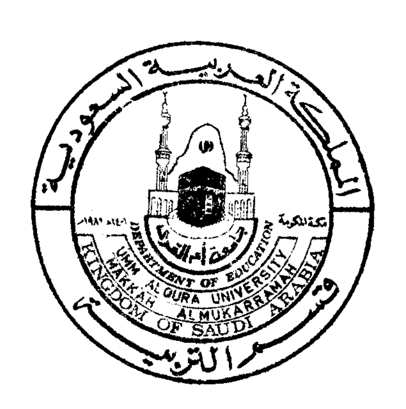

# جون ديوي المعلم والمربي الأمريكي




إشراف الأستاذ الدكتور بشير حاج توم
إعداد الطالبة جواهر أحمد قناديلي


جزء من متطلبات درجة الماجستير

بسم الله الرحمن الرحيم


المملكة العربية السعودية
قسم التربية
DEPARTMENT OF EDUCATION
UMM AL QURA UNIVERSITY
MAKKAH ALMUKARRAMAH
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

# شكر وتقدير

أتوجه بالشكر لله سبحانه وتعالى ، أن وفقني لاتمام هذا العمل .

ثم أشكر الاستاذ الجليل الدكتور بشير التوم ، المشرف على هذا العمل ، للجهود التي بذلها في التوجيه والشرح والتوضيح للكثير من النقاط والأفكار التي ساهمت الى حد كبير في انجازه .

أتقدم بالشكر والاستحسان والعرفان بالجميل والفضل لمساندته ومساعدته اياى بالجهد والنصح والارشاد ، وتوفير بعض المراجع والكتب اللازمة .

فجزاه الله جزيل الخير والثواب ، أنه سميع مجيب .

والسلام .!

مقدم من

الطالبة جواهر أحمد قناديلي

# فهرس الموضوعات

## فهـــرس الموضوعـات

| | الصفحة |
|---|---|
| الشكـــــر والتقديـــر | ١ |
| المقد مــــــــــــة | ٣ |
| الفصل الاول : من هو جون د يوى ؟ | ٦ |
| * حياته ـ مولده ـ نشأته ـ تعليمــــه | ٧ |
| * المؤثرات التى أثرت فى فكر جون د يوى . | ٣٠ |
| * أعماله ومؤلفاته . | ٣٥ |
| الفصل الثانى : د يوى والفلسفة البراجماتية : | ٤٣ |
| * كيف عرف د يوى هذه الفلسفـة . | ٤٤ |
| * الموضوعات الرئيسية فى هذه الفلسفة . | ٤٧ |
| * ماهى هذه الفلسفة . | ٤٧ |
| * الفلسفة البراجماتية وأثرها فى التربية الحديثة . | ٥٩ |
| * استنتاجات من الفلسفة البراجماتية ومدى موافقتها لمجتمعنا الاسلامى | ٦٦ |
| * نقد الفلسفة البراجماتية . | ٧٠ |
| * الديموقراطية فى رأى د يوى . | ٧٥ |
| الفصل الثالث : رأى د يوى فى طبيعة الكون والانسان : | ٧٩ |
| * نقد للآراء الواردة عن طبيعة الانسان . | ٨٧ |
| * رأى الاسلام فى طبيعة النفس البشريـة . | ٩٦ |
| * مقتطفات من خصائص الانسان فى القرآن الكريم . | ٩٩ |
| الفصل الرابع : نظرية المعرفة عند د يوى : | ١٠٣ |
| * تقابل الخبرة والمعرفة الحقيقية . | ١٠٧ |
| * النظرية الحديثة فى الخبرة والمعرفة . | ١١٠ |

(بعده ٥/٠٠)

* الاطراد مقابل الثنائية . ١١٥
* الايجابيةوالسلبية في المعرفة . ١١٨
* نحو الطريقة التجريبية. ١٢١
* التفكير المنطقي في نظر جون ديوى . ١٢٨

الفصل الخامس : رأى ديوى في الأخلاق ( والقيم الاخلاقية) : ١٣٠

* التقابل بين الواجب والاهتمام أو المصلحة . ١٣٦
* الذكاء والطبع أوالخلق . ١٣٩
* ماهو اجتماعي وماهو خلقي . ١٤٢
* مراحل النموالاخلاقي في نظر " جون ديوى". ١٤٥

الفصل السادس: أهداف التربية عند ديوى : ١٧٠

* ماهية التربية في رأى ديوى . ١٧١
* طبيعة التربية . ١٧٢
* التربية الخلقية. ١٧٤
* آراء ديوى في التربية . ١٧٥
* الفرد والثقافة . ١٧٧
* ماهي طبيعة الاهداف عند ديوى . ١٨١
* أفكار متعلقة بأهداف التربيـــة . ١٨٤
* أفكار عن الاهداف . ١٨٨
* الوسائل والاهداف . ١٩٠
* نقد لآراء ديوى في الاهداف . ١٩٤

الفصل السابع : المدرسة والمجتمع : ١٩٩

* المدرســـة . ٢٠٠
- ماهيـــة المدرســـة . ٢٠١
- المدرسة والتقدم الاجتماعي : ٢٠٢

| | | |
|---|---|---|
| | أولا ـ التغيير الصناعي . | ٢٠٣ |
| | ثانيا المدرسة وحياة الطفل . | ٢٠٦ |
| | ثالثا التلف أو الضياع الكبير في التربية . | ٢٠٨ |
| * | المعلم . | ٢٠٩ |
| | ـ مادة المربي ومادة التعلم . | ٢١١ |
| * | أفكار ديوي المتعلقة بمناهج الدراسة . | ٢١٣ |
| * | أفكار ديوي المتعلقة بطرق التدريس . | ٢١٥ |
| * | مميزات طريقة المشروع . | ٢١٩ |
| * | المجتمع . | ٢٢١ |
| * | خصائص النظم الاجتماعية عند ديوي . | ٢٢٣ |
| * | من مميزات النظام الديموقراطي . | ٢٢٤ |
| | **الفصل الثامن : أثر ديوي التربوي :** | ٢٤١ |
| * | أثر ديوي التربوي في العالم الغربي وآراء المفكرين الغربيين فيه . | ٢٤٢ |
| * | أهم الاراء التربوية التي آمن بها ديوي ونادى بتطبيقها . | ٢٤٦ |
| * | اثر ديوي التربوي في العالم العربي . | ٢٥٣ |
| * | نقد وتحليل عام لآراء ديوي وأثرها على التربية الاسلامية . | ٢٥٦ |
| * | الهدف عند ديوي . | ٢٦١ |
| * | الخلاصة . | ٢٦٣ |
| | الخاتمة . | ٢٦٤ |
| | المصادر والمراجع . | ٢٦٦ |

--

# المقدمة

للتربية دور فعّال وقوة خطيرة ومؤثرة في حياة الأمم ، وفي بنـــاء وتشكيل الأجيال الصاعدة ، وفي الكشف عن الطاقات البشرية الكامنة ومحاولة استثمارها وتوجيهها نحو الأفضل ، وقد يتساءل القارىء لماذا اخترت مفكـر وفيلسوف أمريكي للكتابة عنه وليكون موضوع دراستي الخاصة .. مع أنـــه كان من الممكن أن أكتب في مجال الادارة ، أو أي موضوع تربوي قريـــب من البيئة العربية أو بالأحرى السعودية .

بيد أني من خلال مطالعاتي المقتضبة ونتيجة لدراستي مادة " فلسفـة التربية " عنّ لي أن الكثير من المربين العرب والمسلمين متأثرين الـــى درجة كبيرة بآراء جون ديوى التربوية التي اكتسحت العالم بصفة عامـــة وأمريكا بصفة خاصة .

لاحظت أن مفكري العرب يأخذون بآراء ديوى كما هي ثم ينقلونهـــا الى النشء دون تمحيص فيها والاستفادة من الافكار الجيدة وترك الـــتي لا تناسب مجتمعاتنا الشرقية والاسلامية .. مع مافي ذلك من خطر جسـيم على أبناء المسلمين ، اللهم الا القليل ممن كتبوا عن جون ديوى مثل الدكتـور عمر محمد الشيباني الذي ذكر في كتابه " فلسفة التربية الاسلامية " آراء ديـوى مدعمة بالآيات الكريمة وبالتحليل المنصف والمناقشة الواضحة .

لذا فضلت الكتابة عن هذا الفيلسوف والمفكر الكبير وحاولت بقدر امكانياتي

العلمية المحدودة جدا بيان حكم الدين الاسلامي ازاء بعض الآراء التي قال بها ديوى متأثرا بالمجتمع الغربي الذي عاش فيه حيث اختلاف الأديان وتباين الأجناس .

بينت بعض آراءه في الاخلاق والتربية والمعرفة ونظرته للأهداف ماكان متمشيا مع الاسلام وما خالفه ، لان الاسلام هو المقياس السليم والصحيح والواضح والصالح لكل زمان ومكان ولكل انسان ، كما ذكرت الاسباب التي جعلت ديوى يقول بتلك الآراء .

وبعد ، فهذا الجهد المتواضع بين يدى الطلاب والطالبات ، وأرجو من الله عز وجل أن يحقق ما أردت به من نفع وفائدة ، والله من وراء القصد .

الباحثة

الطالبة جواهر أحمد قنديلي

---

# الفصل الأول

## من هو جون ديوى

- حياته .. مولده ونشأته .. تعليمه .
- المؤثرات التى أثرت فى فكر جون ديوى .
- أعماله ومؤلفاته .

# من هـو جون ديـوى ؟

## حياتـــه :

أى صنف من الرجال هذا الرجل الذى استطاع أن يثير كل هـــذا الاهتمام وأن يحدث كل هذا الأثر الايجابى فى كل ما يتعلق بقدره وقيمته ؟

ان استاذ الفلسفة (( هارولد لارابى )) قال : "ان ديوى أقـــدر فيلسوف أنجبته أمريكا " .

فى حين أن ضابطا من ضباط البحرية الذين يشار اليهم بالبنـــان، هو نائب أمير البحار (( هـ ج . ريكوفر )) عبر عن رأيه فقال بأن ديـــوى قد ترك " أثرا ضارا فى التربية الامريكيـة ".[1]

يتبين لنا مما سبق كيف أن ديوى قد نال من المديح والذم الشـــئ الكثير ، اذ يتراوح تقدير الناس لجون ديوى John Dewey وتقويمهـم لعمله وافكاره بدرجات متفاوته :

## مولده ونشأته :

ولد جون ديوى فى العشرين من شهر اكتوبر عام ١٨٥٩م فى مزرعـــة

---

(١) جون ديوى- ايفلين ديوى - مدارس المستقبل ص ٢٥-٢٦

بالقرب من مدينة " بيرلنجتون Burlington بولاية فيرمونت Vermont الواقعة في نيوانجلند شمال الولايات المتحدة الأمريكية وهو الابن الثالث لأبوين من أفراد الطبقة المتوسطة .

كان أبوه (( أرشيبالد )) بقالا في هذه المدينة ، وخدم في الجيش ابان الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب الامريكي مدة أربع سنوات .[(١)]

وعلى الرغم من أنه لم يحظ بالتعليم ، فانه ثقف نفسه بقراءة الكتب الكلاسيكية ، اذ قرأ (شكسبير وملتون ) .. وكان يحلو له الاستمتاع بعباراتهما واستخدامها في حديثه مع الآخرين .

أما أمه (( لوسينا رتش )) فقد كانت من أسرة أعرق وافرة الثروة والعلم كان جدها عضوا بمجلس الشيوخ في مدينة واشنطون ، وأبوها قاضيا اشتهر بالوقار والعدل والحكمة حتى كان أهالي المنطقة يسعون اليه للوساطة في منازعاتهم ، لهذا كانت الام تميل الى العلم ، واستطاعت أن تبث في أبنائها محبة الثقافة، والتعلق بأسباب التعليم والمضى فيه ، وهى المسئولة عن تحويلهم من الفنون العملية شطر التعليم الجامعى .[(٢)]

---

(١) د . محمد الهادى عفيفى - لماذا نعلم - ص ٩٧

(٢) المصدر السابق ص ٩٧

ان العام الذى ولد فيه جون ديوى ١٨٥٩م يهمنا أن نعلم أنه كان يتميز عن غيره من السنين والاعوام ، اذ كان يزخر بكثير من الاحداث الهامة التى لها صلة وثيقة بتاريخ الثقافة . فقد نشر فيه تشارلز داروين كتابه عن "أصل الأنواع"[1]. ونشأ فى وقت تقبل الكثيرون من العلماء فيه نظرية النشوء والارتقاء ، وشرعوا يبحثون عن نتائج الاخذ بها فى مختلف ميادين الفكر .

كذلك فى نفس العام ظهر كتاب (( نقد فى الاقتصاد السياسى )) (لكارل ماركس ) ، وكتاب (( فى الحرية )) ( لجون ستيوارت مل ) .

ولقد قدر لهذه الكتب الثلاثة أن تلعب دورا كبيرا فى حياة ديوى وفى أثناء هذا العام نفسه شن (( جون براون )) حملته المعروفة على هاربرزفيري ثم انشاء معهد ماساتشوستس للعلوم الفنية التقنية ، ويعتبر هذا المعهد قلعة ورمزا لتحقيق رغبة الشعب الجامحة فى التطور الفنى [2]

زد على ذلك أن عام ١٨٥٨ م هو العام الذى انتهت فيه حياة نجم من نجوم الصف الأول فى ميدان التربية والتعليم ، هو (( هوراس مان )) وبزغ فيه نجم جديد ، هو ديوى ! . أمضى جون ديوى تعليمه مع أخيه ديفز فى المدرسة الابتدائية ثم الثانوية فى مدينة بيرلنجتون .[3]

---

( ١ ) د . اسماعيل محمود القبانى ـ التربية عن طريق النشاط ، ص ١٣٤

( ٢ ) جون ديوى ـ المصدر السابق ص ٢٥

( ٣ ) جون ديوى ـ المصدر السابق ص ٢٩

والى هذه المدرسة كان يذهب معظم أولاد وبنات هذه المدينة من جميع الأسر الغنية والفقيرة على السواء ، الامريكين المستوطنين والمهاجرين كذلك . (١)

أما الأقلية من التلاميذ الذين كانوا يذهبون الى المدارس الخاصة ، فكان لا ينظر اليهم من جانب بقية الاولاد الا على أنهم متواكلون يركنون الى الدعة والترف ،على الرغم مما كانت تقدمه أسر هؤلاء الاولاد من مال لهذه المدارس ذلك أن مضمون الحياة فى ذلك الوقت كان يقوم على المساواة وعدم التمييز الطبقى .

غير أن جون لم يقتصر على ماكان يأخذه من المدرسة ،فقد كان يشارك ـ شأنه شأن سائر الاولاد فى أعمال المنزل ـ وفى أعمال الحقل ، حين يذهب عند أقارب أمه فى الاجازة المدرسية .

من ناحية أخرى كان يشعر بالملل من الدراسة فى المدرسة ،ولهذا كان يلذ له شراء الكتب والاطلاع عليها . . يحصل على المال اللازم لذلك من بيع صحيفة المساء التى تصدر فى بيرلنجتون ،ومن الاشتغال بترقيم الاخشاب التى ترد من كندا الى بلدته التى كانت تعتبر بمثابة المركز التجارى لولاية فيرمونت .

---

(١) د .عمر محمد الشيبانى ـ تطور النظريات والافكار التربوية ص ٣٣٣

وقد أثرت هذه النشأة الاولى فى نظرته التربوية فيما بعد ، اذ رأى أن المدرسة ينبغى أن تشارك فى الحياة وأن تعد لها دون أن تحصر عملها فى موضوعات جافة بعيدة عن واقع الحياة .

وقد قويت عنده هذه النظرة عندما شهد فى رجولته نمو المدن واتساع مجال العمل بتأثير الآلة ، وتعقد أمور الحياة الاجتماعية ، مما أدى الى اضعاف اتصال النشء بمجالات العمل والحياة الحقيقية .

فرأى أن المدرسة ينبغى أن تتحمل مسئولية تنظيم خبرات حية يتعلم فيها التلاميذ مهارات الحياة الفنية والاجتماعية .[(١)]

بعد أن انتهى ديوى من التعليم الثانوى التحق بجامعة تيرمونت القريبة من منزل الأسرة وهو فى سن السادسة عشرة .

لقد استطاع ديوى أن ينتظم فى دراسته الجامعية لان نفقات التعليم لم تكن باهظة ، ولانه كان من اليسير الحصول على منح دراسية تساعد الطلاب على تحصيل العلم[(٢)] ، فى هذه الجامعة تأثر ديوى بأستاذ وكتاب ، أما الاستاذ فهو (( تورى )) أما الكتاب فهو ( علم الفسيولوجيا ) لتوماس هكسلى

---

( ١ ) د . محمد الهادى عفيفى ـ المصدر السابق ـ ص ٩٨

( ٢ ) د . اسماعيل محمود القبانى ـ المصدر السابق ـ ص ١٣٤

والشارح لمذهب تشارلز دارون فى النشوء والارتقاء .

كان ديوى من الطلبة النجباء امتازت درجاته وظهر تفوقه ، حتى أن تقريره فى السنة النهائية جاء أعلى من تقرير أى طالب فيها ، ومنح درجة الليسانس عام ١٨٧٩ م . وظهر ميله الى مدارسة المسائل الفلسفية فى هذا الوقت فاشترك فى بعض الجمعيات الفلسفية ، وانتخب عضوا فى جمعية الشرف فى "" بيتا كابا "" .(١)

بعد تخرج ديوى عاش فترة كلها قلق ، شأنه شأن المتخرجين من الشباب ، لا يكاد يتبين طريقه فى الحياة العملية ، ومن ثم تطلع الى وظيفة التعليم حتى يتمكن عن طريقها من مواجهة ظروفه الاقتصادية . . وساعدته على ذلك احدى قريباته وابنة عمه (( كلارا ويلسون )) وكانت حينئذ مديرة للمدرسة الثانوية بمدينة (( سوت أويل )) بولاية بنسلفانيا ، فمارس خبرات التدريس عامين كاملين .

خلال ممارسته للتعليم تناول يسيرا من كل شىء ، من اللاتينية ، والجبر والعلوم وكان يتقاضى فى السنة الاولى أربعين دولارا فى الشهر ، الا أنه سرعان ما ترك هذه المدرسة فى خلال شتاء عام ١٨٨١م ، وفى عام ١٨٨٢م قام بالتدريس فى مدرسة قروية قرب مدينة (( شارلوت )) بجوار بلدته بيرلنجتون

---

(١) جون ديوى - ايفلين ديوى - المصدر السابق - ص ٢٧

بولاية فيرمونت ، ولم يشغله ذلك عن اتجاهه الى الفلسفة واهتمامه بهـا فدرس الفلسفات القديمة بتوجيه من الاستاذ (( هـ أ ـ ب توری )) الـذی لقى عنده تشجيعا عظيما ،فكثيرا ما كان يصاحبه ويأخذ عنه ، وكثيرا ما كان يقدم له المجلات الفلسفية لدراستها .(١)

وفي ربيع عام ١٨٨٢م وصيفه ، استطاع ديوى أن يقوم بمحاولته الاولـى للظهور أمام الجمهور وذلك حين نشر مقالا بعنوان "" الاقتراحات (الدعاوى ) الميتافيزيقية للمذهب المادى "" في مجلة اسمها (( الفلسفة النظرية والفلسفة الفكرية )) كان يحررها الدكتور المربى الزائع الصيت (( وليام تورى هاريس )) وكانت المجلة الفلسفية المتميزة فى الولايات المتحدة عندئذ .

لذا نراه يقترض من عمته خمسمائة دولار ليقيد اسمه طالبا يدرس الفلسفة في جامعة "جون هوبكنز" John Hopkins University الـتى انشئت حديثا حينئذ في مدينة بلتيمور ، وكان ذلك في خريف عام ١٨٨٢م .

فى عام ١٨٨٤م عين جون ديوى فى جامعة متشجان Michigan University كمحاضر فى الفلسفة بمرتب قدره ٩٠٠ دولار وبمساعدة ورعاية أستاذه موريس.(٢) وأمضى ديوى أربع سنوات فى جامعة متشجان نشر فى اثنائها كتبا فى الفلسفـة وفى علم النفس .

---

( ١ ) د . محمد الهادى عفيفى ـ المصدر السابق ـ ص ٩٨

( ٢ ) د .سعد مرسى أحمد ـ تطور الفكر التربوى ـ ص ٤٦٧

سكن ديوى وهو فى متشجان فى منزل مع زميل له ، وكان يسكن فى المنزل نفسه شقيقتان ، احداهما هى " أليس تشمابمان" التى تزوجها ديوى بعد عامين ، فى يوليه سنة ١٨٨٦م وكانت أليس تشتغل معلمة لتكسب معاشها وأثرت فى زوجها أثراً عظيما ، اذ كانت محبة للعلم ، صافية الذهن ، رقيقة القلب ، تتميز بفيض من الشجاعة والحيوية ، وكانت تحمل فى نفسها ثورة على الاوضاع الاجتماعية الظالمة ، فدفعت زوجها الى الاهتمام بمشكلات الحياة المعاصرة وترك الفلسفة الكلاسيكية .. كما أنزلته من سماء النظريات الى عالم البشر وجعلت لهذا العالم معنى ، وقد انجب منها ستة أولاد بين ذكور وأناث

لم يكن ديوى يحب أولاده حبا فطريا فحسب ، بل حبا فلسفيا هو ثمرة ملاحظته اياهم وتتبع نموهم .. وشاهدة سلوكهم مما كان له أكبر الأثر فى تكوين نظريته عن نفسية الاطفال وطبائعهم فضلا عن نظريته الفلسفية فى صياغة المجتمع والاخذ بيده بوساطة التربية .(١)

ولا غرو فان ديوى فى نظر كثير من المؤرخين والنقاد فيلسوف تربية قبل كل شىء ، وما يروى عن فرط محبته للطفولة أنه ألف كتابه المشهور "" الديموقراطية والتربية"" وهو يحمل طفله على احدى ركبتيه ويضع الورق الذى يكتب فيه على الاخرى ، كما أن ابنته الكبرى "" ايفلين"" كتبت معه كتاب

---

(١) د .محمد الهادى عفيفى- المصدر السابق - ص ١٠٠-١٠١

"" مدارس الغد "" وكتاب "" مدارس جديدة بدلا من القديمة "" وابنته (جين) هي التي كتبت "" سيرة حياته "" التي ينقل عنها من يكتب عن جون ديوى في الوقت الحاضر .

وفي خلال عام ١٨٨٨م - ١٨٨٩م كان ديوى أستاذا للفلسفة في جامعة مينيسوتا Minnesota ولكنه عاد الى متشجان وشغل وظيفة رئيس قسم الفلسفة لمدة خمس سنوات ، خلفا لمعلمه الجليل " موريس " وقد شهدت هذه الحقبة من تاريخ حياة جون ديوى ظهور أول كتاب ألفه في التربية عام ١٨٨٩م. (١)

غير أن جون ديوى وقبل وفاة استاذه (موريس) وخلال تلك السنوات التي أمضاها مع (موريس) في متشجان ارتبط ديوى بالمذهب المثالي الموضوعي الالماني ، الذي كان له أعظم الأثر في الفكر الانجليزي .

الا أنه وجد نفسه أمام عاملين كان لهما أكبر الأثر على التقليل من شأن هذا المذهب على تفكيره :

١ ) دراسته المنظمة للاخلاق في اثناء تدريسه هذه المادة للطلاب .
٢ ) ايمانه بالعلاقة الوثيقة بين الفلسفة وعلم النفس ، هذا الايمان الذي تولد عنده نتيجة محاضرات ( ستانلي هول ) وتأثيره فيه .

---

( ١ ) جون ديوى - ايفلين ديوى - المصدر السابق - ص ٢٨

الا أن ديوى ذهب الى أن هذه العلاقة ينبغى أن تقوم على أساس علم نفس تجريبى ،لا على علم النفس العقلى الذى كان يرتبط تقليديا بالفلسفة. وقد أدى هذا الارتباط الجديد الذى أكده ديوى الى توجيه نشاط الفكر الى آفاق جديدة ،فقد اعتقد أن الدراسات الخلقية ينبغى أن يكون لها أسس سيكولوجية.

ثم جاء كتاب " وليام جيمس " عن " مبادئ علم النفس " ليكون سندا جديدا فى تدعيم هذا الاتجاه الفلسفى عند ديوى .

ولعل اهتمامه المتزايد بالمدخل السيكولوجى لدراسة الاخلاق يرجع الى ظهور الكتاب الذى كتبه " جيمس" بعد مدة وجيزة من ظهور كتابه الاول" فى الاخلاق " ، كان لهذا الكتاب من الأثر عند ديوى فى تحديد نظريته عن المعرفة ، مالم يكن لكتاب " جيمس " فى " البراجماتية " فقد تأثر ديوى بصفة خاصة بفصول من " مبادئ علم النفس" تناولت الادراك ،والتمييز ، والمقارنة ، والتفكير ، وكثيرا ما أوصى تلاميذه بقراءة هذه الفصول كمقدمة أساسية للنظرية الاجتماعية ومعنى المعرفة .(١)

ميز ديوى بين اتجاهين فى " مبادئ علم النفس " " لوليام جيمس ":

الاول : هو النظرة التقليدية لعلم النفس على أنه هو علم الشعور .

الثانى : أن علم النفس يقوم على علم الحياة .

---

(١) د .محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١٠١ - ١٠٢

اصطنع ديوى الاتجاه الثانى ورفض الاول ، وقد كتب من الاتجاه الثانى :
ولقد وجد طريقه الى جميع الافكار ، وعمل على تغيير المعتقدات القديمة .

عقب وفاة الاستاذ " موريس" وبعد أن أصبح ديوى مسئولا عن قسم الفلسفة فى جامعة متشجان ، فى هذه الفترة نشأت بينه وبين أستاذين آخرين علاقات ودية أثمرت نتاجا فكريا عاليا .

الاستاذ الاول : " جيمس تانتس " الذى كان قد نال اجازته من برلين ولمع نجمه ترجمته كتاب " تاريخ الفلسفة للاستاذ " وندلياند " . ثم دعى عام ١٨٩٤م لتولى رئاسة قسم الفلسفة بجامعة شيكاغو ، وقد أثمر اتصالهما فى شيكاغو كتاب "" الاخلاق "" عام ١٩٠٨م والذى طبع مرة أخرى عام ١٩٣٢م .

الاستاذ الثاني : " جورج ميد " الذى حل محل الاستاذ " تانتس " بعد أن ، ذهب الى شيكاغو ، وقد كان " ميد " وأسرته جيرانا لاسرة ديوى فى ( آن أربر ) ، ثم فى (شيكاغو ) وبقيا صديقين حميمين حتى بعد انتقال ديوى الى نيويورك . وكان " ميد " من أقطاب البراجمانية ، وعلى الرغم من قلة كتاباته فان تأثيره فى ديوى عن طريق المناقشات والحديث استمر سنين طويلة .(١)

---

(١) د . محمد الهادى عفيفى ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٢

وكان " ميد " أكثر رسوخا من "د يوى" فى العلوم الطبيعية ،فكرس جهده واهتمامه على أثر نظريات علم الحياة فى الظواهر النفسية وعلم النفس بصفة عامة فخالف الاعتقاد السائد وقتذاك بين علماء النفس الذين لم يروا علاقة كبيرة بين المظاهر النفسية وجسم الانسان على أساس النظر الى الجهاز العصبى (المخ) منعزلا عن علاقات الكائن الحى بالبيئة .

وبدأ " ميد " بالنظر الى الكائن الحى متفاعلا مع البيئة ،مؤثرا فيها ومتأثرا بها . أما الجهاز العصبى ( المخ ) فهو جزء متكامل فى الانسان يشترك فى تنظيم علاقاته ككل مع الظروف البيئية .

وعلى هذا النحو يمكن تفسير الظواهر النفسية بما فى ذلك عمليات التفكير ونشأة النفس ،وتكوينها عند الفرد ، واعتمد د يوى على هذه النظرية وطبقها على فلسفته ونظرياته فى علم النفس وبذلك لم يقل تأثير " ميد " فى د يوى عن تأثير "جيمس"

وفى جامعة متشجان وجد د يوى اهتماما خاصا بالتربية ، اذ كان بها أول كرسى لها ، وكان أساتذتها يزورون المدارس الثانوية ، فزاد عنده هذا الاهتمام وأصبح عضوا فى نادى المعلمين بمتشجان ، وكان يحاول فى هذا النادى التقريب بين التعليم الثانوى والتعليم الجامعى .

أدى به اهتمامه بعلم النفس الى أن يحاضر فى العملية التربوية، كما أخذ يتحدث فى معاهد المعلمين وفى المؤتمرات المختلفة عن " الانتباه" والتذكر ،

والتخيل ، والتفكير وعلاقة كل منهما بالتعليم والتعلم .

وكان له في ذلك الوقت ثلاثة أطفال ، فأكدت ملاحظاته لنشاطهم وسلوكهم ما تعلمه من "جيمس" عن أهمية الميول مما جعله يهتم بما للسنوات الاولى في حياة الطفل من أثر عظيم في تكوينه . (١)

وقد قام بالاشتراك مع أحد زملائه بنشر كتابين لطلبة معاهد المعلمين . وآمن في ضوء هذا كله بالوظيفة الاجتماعية للفلسفة وبأهمية الخبرة العملية في مراجعة الآراء النظرية ونمو المعرفة .

أوحى إليه ذلك بالحاجة الى مدرسة تجريبية ، تختلف عن المدارس التقليدية المنتشرة في البلاد - تجمع بين الاسس النفسية للتعليم والترابط التعاوني الذى استخلص فلسفته من دراساته الأخلاقية .

من الأسباب التى جعلت ديوى يقبل منصب التدريس في جامعة شيكاغو عام ١٨٩٤م انضمام قسم التربية الى قسم الفلسفة وعلم النفس .

يقول عن تطور فكرة أهمية التربية في اتجاهاته الفلسفية :

(( أولا الأمور في تطور تفكيرى أهمية التربية نظريا وعمليا في نفسي ، وبخاصة تربية الصغار ، لأنني لم أشعر أبدا بتفاؤل

---

(١) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١٠٣

(( كثير فيما يختص بامكان التعليم العالى اذا بني هـــذا التعليم على أسس ضعيفة )) .

وقد اندمج هذا الاهتمام بالاهتمام بعلم النفس والمؤسسات والحيـــاة الاجتماعية ، وسار معها جنبا الى جنب ، وقد كان يمكن أن تظل هذه الاهتمامات منفصلة . بعد سنوات وجد عددا من الآباء أرادوا أن يوفروا لأبنائهم تعليما يختلف عما يوجد بالمدارس الاخرى المنتشرة في شيكاغو [1] ، فاستطاع بعونهـــم المادى والادبى أن يفتتح مدرسة جديدة يشرف عليها القسم الذى يرأسه ، وقد سميت هذه المدرسة فيما بعد باسم ( المدرسة المعملية ) ولو أن اسمها الذى جرى على ألسنـة الناس كان هو ( مدرسة ديوى ) ولم تجد هذه المدرسة خلال عمرها الذى امتد سبع سنوات ونصف السنة من الجامعة ما وجدته من تأييد وعون من جانب الاصدقاء والآبـــاء .

وبذل فى ذلك ديوى جهدا فكريا رائدا من عام ( ١٨٨٩م الى عام ١٩٠٣م ) تعاونه فى هذا العمل زوجته ، بدأ بجمع المال للمدرسة عن طريق المحاضرات التى كان يلقيها فى التربيـة . [2] وقد نجحت هذه المحاضرات فى كتابه المشهـور باسم (( المدرسة والمجتمع )) الذى طبع عدة مرات وترجم الى بضع عشـــــرة لغة أجنبية .

---

( ١ ) جون ديوى ـ ايفلين ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٢٨
( ٢ ) د . محمد الهادى عفيفى ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٢ ـ ١٠٤

وانشئت خمسون مدرسة على غرار مدرسة ديوى فى أنحاء أمريكا التى اكتسحتها النهضة الصناعية وما جرته معها من تغيرات اجتماعية وتطور فى قيم الناس . ومع زيادة الاهتمام فى هذه المدارس بتعلم الصناعات ، الا أن اهتماما كان أكثر وضوحا نحو محاولات تدريب التلاميذ على التكيف الاجتماعى فى مجتمعهم المتطور .[١] ولاول مرة يستخدم ديوى المقاعد المتحركة ،وفى رأيه أنه لكى تكون المدرسة ناجحة فيما تقوم به من تدريب فعليها أن تنظم على أنها شكل صادق من أشكال الحياة الاجتماعية النشطة ،ولا يجب أن تكون مجرد مكان يتلقى فيه الاطفال بعض المعلومات ، بل يتصل نشاطها بالمناشط الموجودة فى المجتمع الخارجى .[٢]

ويشير ديوى فى كتابه (( الفلسفة الامريكية المعاصرة )) الى أنه بعد تحوله من المذهب المثالى الى المذهب التجريبى أثرت فيه العلاقات والخبرات التى مارسها فى هذه المدرسة أكثر من الكتب التى قرأها .

الهدف من المدرسة التجريبية (المعملية) تطبيق العلم على العمل وتحقيق الربط بين النظريات التربوية وتطبيقاتها العملية .

وفى هذه المدرسة استطاع ديوى أن يجرب طرائقه ومناهجه الدراسية ووسائله فى التنظيم المدرسى ، بطرق فردية لم يسبقه اليها أحد .

---

( ١ ) د . سعد مرسى أحمد ـ المرجع السابق ـ ص ٤٦٨
( ٢ ) جون ديوى ـ الديموقراطية والتربية ـ ص ٤٠٦

ومن النظم الخاصة التى اتبعها فى هذه المدرسة ، اسهام الآباء مع المعلمين فى تعليم الاطفال . أما ديوى "المفكر" فقد انحرف عن المثالية التى كان ينادى بها الفيلسوف الالمانى (هيجل) ، وخضع لتأثير رائد الفلسفة "الواقعية" (وليام جيمس) .[1]

لقد كان ديوى يؤمن فى ذلك الوقت بأن كل تفكير ينبغى أن يوضع موضع الاختبار بمدى ما يحققه من نتائج ، خير من أن يقاس على أساس الحقائق الثابتة الخالدة ، ولقد أخذ هذا المبدأ الاساسى ينفذ الى كل تعاليمه وكتاباته وفلسفته وشئونه العامة ، والتربية التى ينادى بها (( ويمكن أن يقال عن أسلوبه فى التفكير )) نستطيع تسميته بالواقعية ، أو الاسلوب التجريبى . أو الذرائعية أى القول بأن قيمة الفكرة هى فى صلاحيتها لان تكون ذريعة العمل .[2]

وفى شيكاغو اتصل ديوى بعدد من الشخصيات كان لها أثرها فى تكوين فكره التربوى ، ومن هؤلاء "ايلا فلاج يونج" مديرة التعليم ، وكانت أول سيدة تتولى هذا المنصب وأول سيدة تتولى رياسة الجمعية التربوية القومية . .
وعن طريق اتصال ديوى بها ازدادت معرفته بالشئون التربوية - وبخاصة فيما يتعلق بشئون الادارة - كما تبلورت آراؤه عن الديموقراطية فى المدرسة وفى المجتمع بصفة عامة .

---

(١) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١٠٤
(٢) جون ديوى - ايفلين ديوى - المرجع السابق - ص ٢٩

اعتاد فى شيكاغو زيارة مكان يسمى ( هل هوس ) وكان بمثابة مكـــان يجتمع فيه الناس من كل المعتقدات والمذاهب والألوان ، ومن هذا المكان نمت فكرته عن الديموقراطية على أساس كونها أسلوب حياة ومعيشة وأن التربيــــة وسيلة تنميتها .

وقد ساعد تدريس ديوى لطلاب الدراسات العليا فى شيكاغو على تحريره من قيود المقررات التى كان يقوم بتدريسها فى متشجان ، فظهر ابتكاره وتجديده وأثمرت جهوده الفكرية فى ميدان علم النفس والمنطق والأخلاق .

فألقى خلال ثلاث سنوات ثلاثة موضوعات تدور حول الاخلاق وهى "" منطــق الاخلاق "" ، "" الاخلاق الاجتماعية "" ، و"" الاخلاق النفسانية "" وهـــذا الموضوع الاخير هو الذى كان أساس كتابه المشهور "" الطبيعة البشريــــة والاسلوب الانسانى "" الذى نشر بعد ذلك بسنوات .(1)

نشرت جامعة شيكاغو فى ذلك الوقت عام ١٩٠٣ م سلسلة من البحــوث لجميع أقسام الجامعة فى كتاب اسمه "" دراسات فى النظرية المنطقية "" وهو عبارة عن أحد عشر فصلا ، أربعة بقلمه ، وسبعة بقلم زملائه وتلاميذه .

---

( ١ ) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١٠٤

وقد أعيد طبع هذا الكتاب فيما بعد بعنوان آخر هو " مقالات فـــي المنطق التجريبي " وقد أشاد به ( وليام جيمس) وأعلن عن مولد مدرسة شيكاغو الفكرية التي تسير على الفلسفة التجريبية " البراجماتية ". ويعتبر هذا الكتاب تحررا تاما من مثالية ( هيجل ) التي آمن بها ديوى في أوائل حياته ، وبداية النزعة الاداتية الوسيلة Instrumental وهي النزعة الـــتي اشتهر بها ديوى وأصبحت عنوانا على مذهبه .(١)

ومن ثمار خبراته في جامعة شيكاغو الكتابان الخالدان اللذان في جامعـــة كولومبيا Columbia University وهما ـ كيف نفكر ـ و الديموقراطية والتربية عن أن الفلسفة هي النظرية العامة للتربية ،آخذا التربية بمعناها الاجتماعـــي الشامل ،المتعدد الجوانب ، بحيث تتضمن كل العوامل التي تساعد علـــى تشكيل التكوين الانفعالي والفكرى ،والجسماني للفرد الذى يكون المجتمع.

غير أن ديوى الذى سطر لجامعة شيكاغو مجدا في تاريخ التطور التربـــوى لم يستمر بها ، فقد أحاطت جهوده ظروف لم يرض عنها ، اذ رأت الجامعـــة ضم المدرسة لاعداد المعلمين ،وكان يلحق بها مدرسة ابتدائية ، ثم رأت كذلـــك ادماج هذه المدرسة في ( مدرسة ديوى ) ولم يستشر ديوى في هذا الأمر. فلـم يوافق على أن يرى ثمرة جهده تذوى بهذه السهولة ،كما لم يرضى كثير مـــن الاباء والمدرسين عن هذا الاجراء .

---

(١) د .محمد الهادى عفيفي ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٤-١٠٥

فتكونت منهم " جمعية الاباء والمعلمين " وكانت الاولى من نوعها فـــى المدينة ،وتعهدت بجميع مايلزم من مال لاستمرار "" مدرسة ديوى" فى رسالتها . . وانتهى الأمر بأن قدم ديوى استقالته احتجاجا على سياسة الجامعة ازاء هــذه المدرسة ، وكتب بعد ذلك الى "" وليام جيمس"" و " " كاتل"" وأصدقاء آخرين يخبرهم بأمره فساعده "" كاتل"" على تولى وظيفة أستاذ للفلسفة فى جامعة كولومبيا Columbia University بمدينة نيويورك ، وأن يقوم علاوة على ذلـــك بتدريس مقرر معين فى فلسفة التربية ( بكلية المعلمين ) التابعة لها نظير مرتب اضافى .(١)

وظل بهذه الجامعة يحاضر ويكتب ويبشر بمذهبه الجديد وبآرائه التربوية ويلتف حوله الاساتذة والطلاب حتى أحيل الى الاستيداع عام ١٩٣٠م ، وان كان نشاطه الفكرى وانتاجه الفلسفى استمر حتى توفى عام ١٩٥٢م .(٢)

لقد استطاع ديوى أن يعلم أجيالا لا حصر لها من المعلمين ،وان يؤثر فى هذا الحشد الهائل من رواد المستقبل فى ميدان التربية الامريكية ، وكان من أهم هذا الرعيل الضخم خير من فسر آراءه التربوية ، وترجمها وبشر بها ، واعتنى به الاستاذ "" وليام هيرد كلپاتريك .(٣)

---

( ١ ) د .محمد الهادى عفيفى ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٥
( ٢ ) د .عمر محمد الشيبانى ـ المرجع السابق ـ ص ٣٢٤
( ٣ ) جون ديوى ـ ايفلين ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٣٠

وجد ديوى نفسه فى نيويورك وسط محيط فلسفى جديد ، تعددت فيه المذاهب والاتجاهات ، فكانت هناك الحركة "الواقعية "فى الفلسفة المعتمدة على آراء أرسطو والتى كان يتزعمها ""وودبرج "" رئيس قسم الفلسفة ، وكانت الحركة "المثالية " القائمة على منهج " الهيجلية " ، وكان هناك من الواقعيين الذين آمنوا بالكثرة والتعدد وعلى رأسهم "" وليام جيمس "" وآخرون يقولون بالواحدية .

ومن ثم عمل ديوى على اعادة تنظيم تفكيره وتوضيح اتجاهه ، وقد ظهر هذا فى المحاضرات التى ألقاها بجامعة طوكيو والتى طبعت فى كتاب "" تجديد فى الفلسفة"" والمحاضرات التى ألقاها فى أدنبرة عام ١٩٢٩م والتى ظهرت فى كتابه "" البحث عن اليقين "" . وهكذا كانت معظم مؤلفاته قد بدأت كمحاضرات كان يلقيها فى مناسبات مختلفة ومن ذلك "" الجمهور ومشاكله "" و "" الفلسفة الالمانية والسياسة "" و " الفن خبرة "" . وقد حفلت المجلات والصحف النفسية بمقالاته العديدة على مر السنين .

وقد اتصل ديوى بالاندية والجمعيات الفلسفية والتربوية وأبرز فيهما اتجاهاته الفلسفية والسياسية والتربوية .

وجد نفسه فى نيويورك وسط الاهتمامات الاقتصادية والصراع الحاد بين الديموقراطية السياسية والديموقراطية الاجتماعية . ولهذا نراه يؤكد مفهوم

الديموقراطية بأبعاده السياسية والاجتماعية والتربوية ولا يجزىء بينها ، ومن ذلك أنه انسحب أسفا من "اتحاد المعلمين" بمدينة نيويورك عندما أحس أن هذا الاتحاد قد يتخذ للترويج مبدأ سياسي معين بدلا من قيامه على خدمة أغراضه التربوية .

وكان شعار هذا الاتحاد "التربية من أجل الديموقراطية والديموقراطية من أجل التربية" وهو شعار مأخوذ من كتاباته .[1]

ولعبت رحلات ديوى الى البلاد الاجنبية دورا كبيرا فى تطور آرائه السياسية والاجتماعية ، فزار انجلترا وفرنسا وايطاليا .

وعند انتهاء الحرب العالمية الاولى زار اليابان بدعوة عام ١٩١٩ ليحاضر فى الفلسفة فى جامعة طوكيو الملكية .[2] حيث ألقى محاضراته التى ضمنها كتاب "تجديد فى الفلسفة" ودعته الصين ليحاضر فى جامعة بكين لمدة سنتين . حيث لمس قوة الطلبة والمعلمين فى حركة النهضة وفى تكوين رأى عام ينادى بالتحرر من سيطرة اليابان .

وكان يحضر محاضراته الطلاب والمدرسون والفئات المثقفة كذلك ، كما كانت تنشر هذه المحاضرات فى الصحف والمجلات وتطبع وتوزع على نطاق واسع وساهمت زوجته فى حركة تحرير المرأة الصينية ومطالبتها بالتعليم كالذكور .

---

(١) د . محمد الهادى عفيفى ـ المصدر السابق ـ ص ١٠٦

(٢) د . محمد محمد الشيبانى ـ المصدر السابق ـ ص ٣٣٤

ولم تنته زيارته للصين حتى شهد الفتاة الصينية فى قاعات الدرس مع الذكور ، وقد زادته هذه الزيارة ايمانا بقوة التربية فى احداث الثورة الاجتماعية فى البلاد التى وقعت تحت سيطرة الضغط السياسى وسلطان التقاليد القديمة ، كما دعت الحكومة التركية جون ديوى ليساعدها على اعادة تنظيم تعليمها ، فقام بزيارة لها عام ١٩٢٤م .

كما زار المكسيك عام ١٩٢٦م مما غذا هذا الايمان وقوّاه وأصبح يعتقد أن أى تغيير اجتماعى لابد وأن يسبقه تغير تربوى حتى لا يتحول الى قشور لا تؤثر فى كيان الفرد ومعيشته وعلاقاته .(١)

نال ديوى شهرة فائقة كفيلسوف مفكر وكمصلح تربوى كبير لا فى الولايات المتحدة الامريكية وحدها ، بل وفى جميع أنحاء العالم . وقد دفعت هذه الشهرة كثيرا من البلدان المتقدمة لدعوته ليحاضر فى جامعاتها ، وليساعدها فى تنظيم تعليمها .(٢)

ومما يؤكد تربعه على قمة الفكر التربوى العالمى أن الاتحاد السوفييتى قد دعاه بعد ثورة اكتوبر ١٩١٧م للاستعانة بوجهات نظره فى التربية السوفييتية ، فزار ديوى روسيا السوفييتية عام ١٩٢٨م فاطلع على التغيرات الجذرية

---

(١) د . محمد الهادى عفيفى ـ المصدر السابق ـ ص ١٠٦

(٢) د . محمود السيد سلطان ـ مسيرة الفكر التربوى عبر التاريخ ص ١٧٥

التي صاحبت الثورة فيها ونتجت عنها كما زاد ايمانه بقوة الفربية من حيث أنها السبيل الى تحقيق أهداف التقدم الاجتماعي وبناء أمة جديدة قوية ، وزاد اهتمامه بأمور روسيا بسبب محاكمة تروتسكي المشهورة .

كان تروتسكي من زعماء الثورة الروسية مع لينين ، وعين بعد نجاح الثورة قوميسيرا للشئون الخارجية ، غير أنه أبعد عن الحزب بعد أن آلت السلطة الى ستالين بعد لينين عام ١٩٢٤م ، ثم حوكم ونفي ولجأ الى المكسيك عام ١٩٢٩ وبقي بها حتى وفاته عام ١٩٤٠ ، وكان الخلاف بين تروتسكي وستالين يرجع الى أن ستالين كان يأخذ بمبدأ حكم الفرد وعبادته ، في حين ذهب تروتسكي الى وجوب تحرير الطبقة العاملة في العالم ليصل الفرد الى الديموقراطية الحقيقية.[1]

وقد أتيحت الفرصة لديوى عندما عين عضوا في محاكمة تروتسكي ، فدرس هذه المذاهب السياسية الا أنه خرج من كل ذلك شديد الايمان بفساد كل من الاتجاهين لالغائهما حرية الفرد وتشويههما مفهوم الديموقراطية التي يعتبر ديوى فيلسوفها الاول في النصف الاول من القرن العشرين.[2]

كرس ديوى حياته كلها للتفكير والتدريس بلسانه وقلمه ومؤلفاته ، كما كرسها للنشاط الذى كان يهدف من ورائه الى تحسين ظروف الحياة للجنس البشري كله .. استمر يعمل ويكد حتى آخر نسمة من حياته ، حين بلغ الثالثة

---

(١) د . محمد الهادى عفيفي ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٧

(٢) جون ديوى ـ ايفلين ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٣٠

والتسعين فى اليوم الاول من شهر يونيو عام ١٩٥٢م حيث مات بمدينة نيويورك

ومن الحقائق التى يجب أن تذكر ، هى أن آخر ما نشر له ، كان مقالا قدم به كتابا ألفته احدى تلميذاته هى " الزى و- كلاب " عنوانه "" الافادة من المصادر فى التربية "" كان ذلك فى العام نفسه الذى مات فيه ديوى .(١)

## المؤثرات التى أثرت فى فكر جون ديوى

اتصل جون ديوى بعدد من الفلاسفة والعلماء والمربين اتصال شخصى أو عن طريق كتاباتهم ، كما اتبعت فلسفته من دراسته للمجتمع العصرى وخصائصه العلمية التكنولوجيا والديموقراطية السياسية الاجتماعية ، ومن معطيات الابحاث العلمية المختلفة على المجتمع البشرى والانسان ، بل كل على كل الكائنات الحية.(٢)

تعرض ديوى فى جامعة فيرمونت لكثير من المؤثرات الفكرية ، فقد قرأ فى مكتبتها المجلات الانجليزية التى تناولت حينئذ نظرية التطور بالمناقشة ، وسمع الجدل الذى دار حول العلاقة بين العلوم الطبيعية والمعتقدات التقليدية ، ودرس علم النفس وجمهورية أفلاطون وفلسفته التى كانت تقوم على الفصل التام بين عالم الجسم والحس وعالم العقل . وكانت ترى أن المعرفة هى الوظيفة الأساسية للعقل ، وأن المعرفة الحقة لا شأن لها بالامور العملية والحسية ، وانما هى

---

( ١ ) د . سعد مرسى أحمد - المرجع السابق - ص ٤٦٨
( ٢ ) د . محمود السيد سلطان - المرجع السابق - ص ١٧٥

معرفة الكليات المجردة ، أى المعرفة النظرية التى يصل الانسان اليها عن طريق التأمل العقلى البحت ولا دخل لاى عملية جسمية فى انتاجها .[1]

فأسس الحياة العقلية فى هذه الفلسفة أسس فكرية ، وليس للعمل فيها الا محل ثانوى . والفلسفة التجريبية الانجليزية ، والاقتصاد السياسى ، والقانون الدولى ، والتاريخ . وساعدت كل هذه الدراسات على تحديد اهتماماته العقلية فقد اتسعت قراءاته الفلسفية ، وبرزت اتجاهاته الفكرية فأخذ يفكر فى ضرورة ايجاد وظيفة اجتماعية للمعلم وفى تطبيق العلم والفلسفة. وقد حفزه الى هذه النظرة اطلاعه على نظرية ( أوجست كومت ) والمفسرين الانجليز ، فأهتم بالتفاعل المستمر بين الظروف الاجتماعية وبين الفكر فى العلم والفلسفة . . هذا الاهتمام الذى استمر مؤثرا فى فلسفته ونظرته التربوية .

فى هذه الجامعة تأثر ديوى بالاستاذ (( تورى )) الذى كان يقوم بتدريس الفلسفة وعلم النفس ، وله يدين جون ديوى بالفضل ، اذ ساعده فى استقرار افكاره نهائيا نحو الفلسفة ، وتعمق معه فى نصوص الفلاسفة القدماء والفلسفة الالمانية .

وجاء تشجيع "" وليام تورى هاريس"" حافزا له على استمراره فى هذا الميدان فكتب مقالين فى تلك المجلة ، وبعد عام واحد أى عام ١٨٨٣م نشرت صحيفة (نيوفيلوسوفيك ) الفرنسية خلاصة لمقاله الاول . وكان هذا بداية لشهرته وذيوع

---

( ١ ) د . اسماعيل محمود القبانى ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٤

صيته خارج بلاده ،وهو بعد في سن الثالثة والعشرين من عمره .[1]

كان ديوى في ذلك الوقت مهتما أشد الاهتمام بالفلسفة وفي ظل ما وجده من ( توري و هاريس) من تأييد .

في جامعة جون هوبكنز John Hopkins University التي انشئت حينئذ في مدينة بلتيمور ، وكان ذلك في خريف عام ١٨٨٢م وقد استطاع ديوى أن يتعمق في دراسة الفلسفة ويحرز فيها تقدما وجدارة ملموسة تحت اشراف الاستاذ "جورج سلفستر موريس" كما استطاع الاستاذ " ستانلي هول " أن يشركه في حقل علوم التربية وعلم النفس ، وكان لا يزال علما بكرا جديدا في ذلك الزمان وبعد أن سلح ديوى نفسه بدرجة الدكتوراه العلمية عام ١٨٨٤م برسالته التي أعدها لهذا الغرض عن ( سيكولوجية كانت ) في هذه الجامعة تأثر بأستاذين هما " موريس و هول " وكلاهما قد عاد من دراسته في المانيا ،وكان "موريس" واسع الاطلاع على تاريخ الفلسفة وكان من اتباع مثالية " هيجل " وعن هذا الطريق اعتنق ديوى " الهيجلية " ، التي تركت في تفكيره رواسب دائمة على حد قوله .[2]

وقد شرح هذا التأثير على النحو التالي :

---

( ١ ) جون ديوى- ايفلين ديوى - المرجع السابق - ص ٢٧

( ٢ ) د .محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ٩٩

(( تأثرت بفكرة هيجل عن المؤسسات الثقافية باعتبارها عقلا موضوعيا يعتمد عليه الافراد فى تكوين حياتهم العقلية ، كما تأثرت بكومت وكوند ورسيه وبيكون . ثم تركت الفكرة الميتافيزيقية التى تذهب الى وجود عقل مطلق يتجلى فى النظم الاجتماعية ، وبقيت الفكرة المعتمدة على الاساس التجريبى الخاصة بتأثير البيئة الثقافية فى تشكيل أفكار الافراد ومعتقداتهم واتجاهاتهم الفكرية .

هذه الفكرة كانت عاملا فى تكوين اعتقادى بأن وجود عقل أول أسمى من العالم الطبيعى حسب الزعم الشائع فى علم النفس ليس لها سند تجريبى ، وكانت عاملا على اعتقادى بأن علم النفس الممكن التمييز عن دراسة السلوك ، بيولوجيا ، انما هو علم النفس الاجتماعى ))[1]

أما فيما يختص بالامور الاكثر التصاقا بالفلسفة فان عناية هيجل بفكرة الاتصال ووظيفة الصراع قد استمدت عندى من أسس تجريبية يعد نحو ثقتى السابقة فى الجدل الى الشك ))

ظل الاستاذ "" موريس "" يزعاه الى أن عينه معلما للفلسفة فى جامعة متشجان فى عام ١٨٨٤ م ، حيث وجد وسطا ساعده على تكوين بعض اتجاهاته التربوية .[2]

---

( ١ ) د . محمد الهادى عفيفى _ المرجع السابق _ ص ١٠٠

( ٢ ) د . سعد مرسى احمد _ المرجع السابق _ ص ٤٦٧

فقد كان الاستاذ "انجيل" مدير الجامعة من هؤلاء الذين سعوا الى أن تأخذ جامعته مركزا قياديا خلاقا ، فيوفر للطلاب والاساتذة جوا ديمقراطيا وكان يشجع الحرية والمسئولية الفردية ، وتزاور الطلاب للاساتذة ، والمناقشات الحرة ، ومن ثم بدأت سلسلة الافكار التى كونت فيما بعد نظرية ديوى التربوية .

لقد انبعثت من مؤثرات الفلاسفة والمفكرين التربويين والسابقين لديوى مؤثرات يمكن اجمالها فى الاتى :

١ - الاتجاهات الاجتماعية المعاصرة له ، والتى كانت نتيجة طبيعته الديموقراطية ومفاهيمها . وللحرية وأبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ونتيجة للثورات الصناعية المتلاحقة ، ونتيجة للتغيرات الاجتماعية السريعة ، ونتيجة لارتياد العلم جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية فى المجتمعات الصناعية .

٢ - تأثر بفكر ونظريات مجموعة من المفكرين والعلماء والفلاسفة والمربين السابقين له ، وظهر ذلك واضحا فى فكره التربوى ومنهم :

أ - تعرفه ودراسته لنظرية التطور كما شرحها "تشارلز دارون Charles Darwin (١٨٠٩-١٨٨٢) فى النشوء والارتقاء .

ب - "توماس هنرى هكسلى" Tomas Henry Huxley (١٨٢٥-١٨٩٥م) ( وكتاب علم الفسيولوجيا ) فاستمد من دراسته له صورة قوية عن وحدة الكائن الحى خلقت فى نفسه نموذجا لنظره أشمل وأوسع للاشياء ، تلك النظرة الشاملة التى تتميز بها الدراسة الفلسفية .

جـ ـ "" هيجل "" Hegel الذى تعتبر فلسفته احدى المصادر الهامة لفلسفة جون ديوى التربوية .[1]

د ـ "" فروبل "" قد تأثر به جون ديوى فى اتجاهه التجريبى ، فأخضع أكثر آرائه للتجريب فى مدرسته التجريبية التى أنشأها عام ١٨٩٦ م ملحقة بجامعة شيكاغو .

هـ ـ تأثر "" بهربارت "" Herbart .

و ـ تأثر "" بجان جاك روسو ـ بستالوتزى ـ جورج موريس "" تشارلس بيرس و وليام جيمس "" اللذين كان لهما الفضل فى تأسيس المذهب البراجمانى فى الولايات المتحدة الامريكية .كما تأثر بأفكار ""ستانلى هول"" النفسية و "" جورج موريس "" .[2]

## أعماله ومؤلفاته

من أبرز أعمال ديوى فى الميدان التربوى ، انشاؤه لمدرسته النموذجية فى مدينة شيكاغو سنة ١٨٩٦م .

وقد اتخذ جون ديوى من هذه المدرسة الابتدائية النموذجية حقلا لتجربة نظرياته وآرائه التقدمية فى التربية ، غير أن هذه المدرسة ضمت سنة ١٩٠٢م لكلية التربية بجامعة شيكاغو لتكون مدرسة تطبيقية تجريبية لها .

---

(١) د . سعد مرسى أحمد ـ المرجع السابق ـ ص ٤٦٧

(٢) د . محمود السيد سلطان ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٥-١٧٦

وقد حاولت الاستاذة "" جوتيس لا تروب ميريام "" وهى رائدة مـن رواد برامج النشاط فى أمريكا وتلخص خصائص مدرسة ديوى الفكرية فى النقاط الاتية : (١)

١ - " المبانى المدرسية التى تفيض بالحياة " وهناك يتصل التلاميذ صلة وثيقة بعدد كبير من المعلمين فى مختلف ألوان النشاط المدرسى كل يوم .

٢ - الحياة الاجتماعية التى تتميز بالصلات الديموقراطية المتبادلة وبالتعاون مع الافراد تحت اشراف المعلمين .

٣ - اليوم المدرسى الطويل ( اليوم الكامل ) بشرط أن تكون فترات الراحة بين الحصص ( والفسح ) قليلة العدد قصيرة المدى .

٤ - عدم الاستمرار فى استخدام المادة العلمية التقليدية بوضعها الراهن المعروف .

٥ - تشجيع كل طفل على تحقيق أعلى مستويات التحصيل المدرسى ، ورسم سياسة تحقق استمرار النجاح والانتقال من فرقة الى فرقة أعلى .

٦ - النظام جوهر أصيل فى نفوس التلاميذ ، وليس من الامور التى يفرضها المعلمون عليهم .

٧ - اللعب النافع يعتبر جزءاً كاملا لا يتجزأ من البرنامج المدرسى .

---

(١) جون ديوى - ايفلين ديوى - المرجع السابق - ص ٣٩

٨ - أن يعيش التلاميذ في المدرسة عيشة نافعة بعيدة عن الشكليات .

هذا النمط من المعيشة يحل محل التربية التقليدية الجامدة .

وقد حاول جون ديوى أن يقوم هذه المدرسة وادارتها على مبادىء الفلسفة البراجماتيه التي من بينها الاتصال والتعاون بين المدرسة والمنزل ، ووجوب اتصال خبرات التلاميذ في المدرسة بخبراتهم خارج المدرسة ، وجوب جعل الاطفال يتعلمون عن طريق خبرتهم ونشاطهم الذاتي ، ووجوب احترام الميول لدى التلاميذ وحاجاتهم وحريتهم في التعبيرعن أنفسهم ، ووجوب مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ ، واعتبار التربية عملية اجتماعية ، والتركيز على التعاون بدلا من التنافس الى غير ذلك من المبادىء التي كانت مطبقة في هذه المدرسة التجريبية .

وقد كان لهذه المدرسة أثر بالغ في التمهيد للتربية التقدمية التي سادت أمريكا في النصف الاول من القرن العشرين ، كما كان لها فضل كبير في اقناع الاباء بأهمية المبادىء التربوية التقدمية وبامكانية تطبيقها وقد شجع ديوى بمدرسته هذه انشاء العديد من المدارس التقدمية الخاصة في أمكنة متعددة من الولايات المتحدة الامريكية .(١)

ويمكن أن يضاف الى أعماله التربوية مئات المقالات وعشرات الكتب التي

---

(١) د . عمر محمد الشيباني - المرجع السابق - ص ٣٢٤ - ٣٢٥

كتبها في الفلسفة والتربية ، ومن أشهر كتبه التربوية :

١ - المدرسة والمجتمع

٢ - الطفل والمنهج .

٣ - الديموقراطية والتربية .

٤ - الخبرة والتربية .

٥ - كيف نفكر .

٦ - الطبيعة البشرية والتربية .

وقد شرح في هذه الكتب وفي كثير من مقالاته وكتبه التربوية الاخرى الفلسفة البراجماتية التى ارتضاها فلسفة لنفسه ، وظل يدافع عنها بشتى الوسائل طوال حياته .

وان كان " جون ديوى " قد اشتهر بأعماله وكتبه التربوية كمرب من أعظم مربى هذا القرن فانه قد كانت له نفس الشهرة تقريبا في عالم الفلسفة [1] ، فقد نشر عددا ضخما من الكتب والمقالات وموضوعات البحث كما قام بنقد كثير من الكتب ومراجعة عدد لا يستهان به منها ، خلال حياته كلها . وترجم كثير من انتاجه الى مختلف لغات أوروبا وآسيا وافريقيا ونصف الكرة الغربى . ولقد أصدرت مطبعة جامعة شيكاغو الدليل الكامل الجامع الذى يحوى كل ما ألفه ديوى وتاريخ نشره وقد جمع الاستاذ " جورج أكسل " كل مؤلفات ديوى وأعدها للنشر خصيصا لمطبعة جامعة جنوب الينوى .

(١) د . عمر محمد الشيبانى - المرجع السابق - ٢٣٦

من الواضح أننا لا نستطيع أن نفى كتابات ديوى حقها من التقدير بل ولعل من العسير علينا أن نذكر كل كتبه ومؤلفاته ، معنى هذا أننا لا نستطيع الا أن نشير اشارة عابرة لهذا الانتاج الفنى الضخم .[1]

فمن مؤلفاته فى الفلسفة كتاب (( علم الاخلاق )) الذى اشترك معه فى تأليفه الاستاذ "" جيمس هـ . تنتس "" وأصدراه فى عام ١٩٠٨م وكتاب (( بناء الفلسفة وتكوينها من جديد )) ١٩٢٠م وكتاب (( الخبرة والطبيعة )) ١٩٢٥م وكتاب (( الفلسفة والحضارة )) ١٩٣١م وكتاب (( الفن كخبره )) ١٩٣٤م وكتاب (( المنطق : نظرية البحث العلمى )) ١٩٣٨م . وكتاب (( المعرفة والمعروف )) ١٩٤٩ وهو كتاب ألفه وهو فى سن التسعين بالاشتراك مع "" آرثر . ف . بنتلى "" .

ومن مؤلفاته فى المسائل العامة كتاب (( الشعب ومشكلاته )) ١٩٢٧ م وكتابان أصدرهما فى عام ١٩٢٩ م تحت عنوان (( الاخلاق والاحداث الجارية )) وكتاب (( التحرر والعمل الاجتماعى )) ١٩٣٥م .

ومن مؤلفاته التى أصدرها لارضاء ميول خاصة فى نفسه ، وكانت تعالج أمورا يهتم هو بها اهتماما خاصا ، كتاب (( الطبيعة البشرية والخلق )) ١٩٢٢ والتقرير الذى قدمه عن عمل لجنة تروتسكى بعنوان (( غير مذنب )) ١٩٣٨م ، ونستطيع أن ندرك - من هذه الامثلة والعينات المحدودة العدد - فكرة واضحة عن عمل "" ديوى "" وانتاجه ، وكيف كان غنيا متنوعا الى حد بعيد .

---

(١) جون ديوى - ايفلين ديوى - المرجع السابق - ص ٣٢

أما فى ميدان التربية والتعليم فكم كتب وكم ألف غير أننا لا نستطيع أن نذكر الا النذر القليل وفى كثير من الايجاز أن كتاب (( المبادىء الخلقية فى التربية )) ١٩٠٩م يؤكد الفكرة التى تنادى بأن عمل المدرسة كله زاخرا باحتمالات خلقية لا حصر لها . كما تؤكد أن المعلم فى هذا العمل هو الشخصية التى تعتبر مفتاحا لتحقيق الوظيفة الخلقية للعملية التربوية كلها .

أما كتابه (( كيف نفكر )) يناقش التطبيق العملى لعملية التفكير فى التربية، ظهر عام ١٩١٠م كتاب (( الاهتمام والجهد فى التربية )) أكد أن الانتباه العابر لا يكفى ، بل الواجب أن يستحس هذا الانتباه .(١)

لقد شهد عام ١٩١٥ نشر الطبعة المنقحة من كتاب (( المدرسة والمجتمع )) وظهور كتاب (( مدارس الغد )) وفى العام التالى له نشر "" ديوى "" كتاب ماجنم أوبس ،أى (( العمل الكبير الضخم )) كما نشر كتاب (( الديموقراطية والتربية )) وكتاب (( الخبرة والتربية )) ١٩٣٨م وهو عبارة عن نقد واختيار لمدى التطرف الذى وقع فيه البعض باسم التربية الحديثة وتطورها . نشر كتاب مدارس المستقبل فى لندن عام ١٩١٥م نشرته شركة ج ٠م٠ دنت وأولاده ليمتد ،

حقا ، لقد ألف العديد من الكتب فى الفلسفة وكتب المئات من المقالات فيها وقضى جل حياته فى تدريسها وكان يدعى - ولعله على حق فى ادعائه - أنه الناطق بلسان الفلسفة الامريكية والحامل للوائها . وقد أتى

---

(١) جون ديوى - ايفلين ديوى - المرجع السابق ص ~~٣٣-٣٤-٣٥-٣٦~~ ٢٢ - ٢٦

بتجديدات كثيرة تقدمية فى مفهوم الفلسفة وفى وظيفتها ، وفى تفسير وفهم مشاكلها التقليدية كمشكلة الطبيعة الانسانية ، ومشكلة المعرفة ، ومشكلة القيم الأخلاقية ، وغيرها من المشاكل الفلسفية .

وقد عاب "" ديوى "" على الفلسفات القديمة تركيزها على دراسات نظرية ميتافيزيقية لا تمت للحياة الواقعية بصلة .

وقد نادى من جانب آخر بوجوب ربط الفلسفة بمشاكل الحياة والعالم والحضارة ، وهو يرى أن واجب الفلسفة لا أن ترينا كيف نعرف العالم بل ترينا كيف نستطيع أن نتحكم فيه ، ونحسنه ونتقدم به ، وواجبها أيضا أن تعالج مشاكل المجتمع الحديث ومشاكل الحضارة القائمة .

وضمن آرائه فى صلة الفلسفة بالحضارة والحياة فى بحث قدمه فى مؤتمر الفلسفة الدولى الثالث سنة ١٩٢٧ م ، وقد نشر هذا البحث فى عدة مجالات كما طبع مع مقالات أخرى لها اتصال بالموضوع فى كتابه سنة ١٩٣١ تحت عنوان (( الفلسفة والحضارة )) ومما جاء فى هذا البحث قوله :

(( ان الفلسفة كالسياسة والادب والفنون الجميلة هى نفسها ظاهرة من ظواهر الحضارة الانسانية ، وعلاقتها بالتاريخ الاجتماعى وبالحضارة علاقة ذاتية ملازمة ))

وليست فلسفة الفيلسوف الا مرآة لمشكلات زمانه ، وكذلك اليوم فهى أثر للصراع بين النظم الثقافية القائمة ... أما القائلون بأن الفلسفة تبحث عن الحقيقة الأزلية المطلقة بصرف النظر عن تأثير الزمان والمكان فهم مضطرون الى التسليم، بأن للفلسفة كيانا تاريخيا وطريقا زمانيا ،ومواضيع فى شتى الأمكنة من العالم .(١)

--•--

(١) د .عمر محمد الشيبانى ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٦ - ١٣٧

# الفصل الثانى

## ديوى والفلسفة البراجماتية

- كيف عرف ديوى هذه الفلسفة
- الموضوعات الرئيسية فى هذه الفلسفة .
- ما هى هذه الفلسفة .
- الفلسفة البراجماتية وأثرها فى التربية الحديثة .
- استنتاجات من الفلسفة البراجماتية ومدى موافقتها لمجتمعنا الإسلامى .
- الديموقراطية فى رأى ديوى .

## ديوى والفلسفة البراجماتيـــة

٥٥
٥

### كيف عرف ديوى هذه الفلسفـة ؟

البراجماتية ينظر اليها بوجه عام باعتبارها وليدة الفلسفة الامريكية .. والواقع أنها ترتبط بالتراث التجريبى البريطانى الذى يؤكد أننا لا نستطيع أن نعرف الا خبرتنا الحسية .

أما من حيث ما تنادى به من تغيير فانها ترجع فى ذلك الى هرقليطـى ( أحد الفلاسفة اليونانيين ، عاش قبل سقراط ) .(1)

والبراجماتية استمدت مبادئها وأصولها من مصادر كثيرة كان من بينها على سبيل الاجمال " الحركة الواقعية " التى كانت فى تطور مستمر منذ القـرن السابع عشر ، " والحركة الرومانتيكية الفردية " التى أسسها "" روسو "" فـى القرن الثامن عشر ، و" الحركات النفسية " التى قاد لواءها ""بستالوتزى وهربارت وفرويل "" فى القرن التاسع عشر ، " والحركة العلمية والحركة الاجتماعية" اللتان سادتا فى أواخر القرن التاسع عشر ثم استمرتا فى نموهما وقوتهما فـى القرن العشرين ، والنتائج العلمية الباهرة التى أسفرت عنها البحـوث البيولوجية والنفسية والمبادىء الديموقراطية ، وخصائص المجتمعات الصناعية .

---

(١) ج .ف. نيللر - فى فلسفة التربية - ص ٦٩ .

فمن هذه المصادر كلها اشتقت " الفلسفة البراجماتية" مبادئهـا ونظرياتها وحاولت أن توفق بين ما اشتقته منها .[1]

وقد ساهم في تدعيم الحركة أو ( الفلسفة البراجماتية ) وتوضيح مبادئها والدعاية لها كثير من الفلاسفة والعلماء المربين الامريكان نذكر منهم أربعـة يمكن أن يعتبروا المؤسسين الحقيقيين لهذه الحركة أو الفلسفة ، وهم "" تشارلز بيرس "" Charles S. Pierce ( ١٨٣٩-١٩١٤ ) و"" وليام جيمس "" William James (١٨٤٢-١٩١٠ ) و "" جون ديوى"" John Dewey ( ١٨٥٩-١٩٥٢ ) و ""جورج هربارت ميد "" George. H. Mead ( ١٨٦٣- ١٩٣١ ) وقد أتى بعد هؤلاء كثير من المربين التقدميين الذين حملوا لواء الفلسفة البراجماتية .. كان من بينهم علـى سبيل المثال "" بويد بود "" Boyd Bod و"" وليام كلباتريك"" William Kilpatrick و "" جون تشايلدز"" John childs و "" جورج كاونتس "" George counts فقد ساهم هؤلاء جميعـا بمحاضراتهم وكتبهم ومقالاتهم العديدة في تطوير الحركة البراجماتية وفي توضيح مبادئها .

وبالرغم من اختلافهم في كثير من الافكار الجريئة فانهم يكادون يتفقون فـى الايمان بالمبادىء الاساسية التي تقوم عليها الفلسفة البراجماتية .

---

( ١ ) د .عمر محمد الشيباني- تطور النظريات والافكار التربوية ص٣٣٠-٣٣١

وحيث أننا نتناول العالم الامريكى جون ديوى بالدراسة ، بلعتبـــاره من المؤسسين الأوائل للمذهب البراجماتى ومن أكثر البراجماتيين انتاجا ونشاطا فى سبيل تدعيم هذا المذهب أو الفلسفة .[1]

فاننا سوف نعرض لبعض آراء بشىء من التوضيح والتحليل فى هذا الفصل

من الملاحظ أن العلماء الأربعة والمؤسسين لهذه الفلسفة يختلفـــون الى حد بيّن فى طرائقهم واستنتاجاتهم ، فنظرة "بيرس" pierce عن البراجماتية موجهة الى الفيزياء والرياضيات ، ومن جهة أخرى نجـــد أن فلسفة "جيمس" James شخصية وسيكولوجيا وتحركها اعتبارات دينية

أما نظرة "جون ديوى" John Dewey فتتجه الى العلـــم الاجتماعى والى علم الاحياء .

والبراجماتية تأثرت الى حد أبعد من الواقعية أو المثالية بالاحـــداث المعاصرة ، فخلال فترة التدهور أو الانهيار Depression مثلا ، ركزت اهتمامها الاول[2] على الفردية ودعت الى شعور اجتماعى أكبر .

---

(١) د. عمر محمد الشيبانى - المرجع السابق - ص ٣٢١
(٢) ج. ن. نيللر - المرجع السابق - ص ٦٩

## الموضوعات الرئيسية فى هذه الفلسفة :

١ ) حقيقة التغير على الدوام .

٢ ) نسبية القيم .

٣ ) الطبيعة الاجتماعية والبيولوجيا للانسان .

٤ ) أهمية الديموقراطية كطريقة فى الحياة .

٥ ) قيمة الذكاء الناقد فى جميع السلوك الانسانى .

## ماهى هذه الفلسفة ؟

عرفت البراجماتية Pragmatiam بمجموعة من الاسماء منها البراجماسية Pragmaticism وكان يطلق عليها " بيرس " الاداتية instrumenlatism والوظيفية Functionalism والتجريبية experimentalism . ولقد وجد هذا اللفظ الاخير رواجا بالذات لدى المعلقين المحدثين على علاقة البراجماتية بالمنهج التربوى .

ولقد فضل " جون ديوى " John Dewey فى آخر أيامه لفظ التجريبية على لفظ الاداتية على أساس أن اللفظ الاخير يتسم بالمادية الى حد بعيد .(١)

---

(١) ج.ف. نيللر - المرجع السابق - ص ٦٩

والطريقة للبراجماتية وسيلة لحسم النزعات الميتافيزيقية التي لا تنتهي ( المادة أم الروح : عالم واحد أم عوالم عدة ... الخ ) .

البرجماتية اتخذت عند "" جون ديوى"" اسم الوسيلة Instrumentalism مما دعى البعض الى أن يطلق عليها اسم (( مذهب الذرائع )) لانها تعتبر التصورات الذهنية والنظريات مجرد (( ذرائع )) يتذرع بها الانسان لتشكيل وقائع المستقبل بطريقة محددة .(١)

يحدد "" جون ديوى"" فكرة الوسيلة فى الفلسفة البراجماتية بأنها تعني (( محاولة لتكوين نظرية منطقية دقيقة للمدركات العقلية والاحكام والاستنباطات فى شتى صورها ، وذلك عن طريق البحث أولا فى الكيفية التى يؤدى بها الفكر وظيفته فى التحديد التجريبى للنتائج المستقبلية... )) .

ويؤكد "" جون ديوى"" بناء على هذه النظرة أن التفكير المعاصر يجب أن يقبل أن تكون الاولوية للمعارف الخاصة بالحقائق العادية الواقعية حتى يمكن أن نجعل للفلسفة وظيفة اجتماعية ، بدلا من أن تكون وظيفتها الوصول الى المعرفة المطلقة .(٢)

تشتق كلمة براجماتية من الكلمة الاغريقية Pragma وتعني العمل وتحاول الطريقة البراجماتية أن تنظر الى النتائج العملية للعمل ، فاذا أردت ،

(١) د . سعيد اسماعيل على × دراسات فى التربية والفلسفة ص ٢٩

(٢) د . سعيد اسماعيل على - المرجع السابق - ص ٢٩

أن تتبع الطريقة البراجماتية فعليك أن تبحث عن القيمة العملية للاجابة عن السؤال الاتى : ماذا سنجنى من العمل ؟

وبهذا تصبح الطريقة البراجماتية برنامجا للعمل لا حلا للمشاكل .

ولكى يكون تفكيرنا صائبا فى أمر من الأمور فما علينا الا أن نقدر النتائج العملية المرتقبة والاحاساسات التى تنتظرها ، والاستجابات التى تعدها ، ومجموع هذه التأثيرات المنتظرة تكون مفهومنا عن الأمر .

الفلسفة البراجماتية أساسها أن الانسان لا ينقسم الى جسم وعقل ، بل هو ككل كائن حى ، وحده تسعى باستمرار الى التوفيق بينها وبين البيئة التى نعيش فيها ، هذا التوافق لا يتحقق من ناحية واحدة انما يحدث بتكيف الانسان مع البيئة ، ويحدث بأن يخضع الانسان البيئة لنفسه بتكييفها وفقا لحاجاته .

فهناك تفاعل مستمر بين الفرد وبيئته ، يؤثر فيها وتؤثر فيه ، هذا التفاعل هو أساس النمو . واذا اختل هذا التوازن بين الفرد وبيئته ، نشأت عند الفرد حاجة لاعادته تدفعه الى النشاط كى يحقق ذلك .

هذا النشاط هو العنصر الاصيل فى الحياة النفسية والعقلية . (١)

---

(١) د. اسماعيل محمود القبانى - التربية عن طريق النشاط - ص ١٣٥

بما أننا نعيش في مجتمع اسلامي وندين بالاسلام ، وتبعا لذلك نؤمن بأن للانسان ارادة غير أنها خاضعة لارادة الخالق الباري سبحانه وتعالى . . والعالم الذى نعيش فى جزء منه بجميع كواكبه ومجراته بما فيها من مخلوقات انما تسير وفق نظام محسوب ودقيق خاضع للخالق الواحد عز وجل (( أوليس الذى خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ، انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون )) (١) .

ان التربية فى رأى "" جون ديوى"" John Dewey عملية تجديد لمعانى الخبرة عن طريق عملية نقل أو تحويل جزء منها عرضى نتيجة الصحبة العادية أوالتعامل بين الراشدين والايقاع وجزء آخر منها متعمد لاحداث الاطراد أو الاستمرار الاجتماعى . وقد تبين أن هذه العملية تتضمن النمو والسيطرة بالنسبة لكل من الفرد الناشئ والمجتمع الذى يعيش فيه .

وكان هذا الاعتبار صوريا من حيث أنه لم يعمل حسابا خاصا لنوع الجماعة الاجتماعية المعنية ، أى نوع المجتمع الذى يرمى الى استدامة ذاته عن طريق التربية .

وفى مكان آخر يعرف "" جون ديوى"" التربية بأنها اعادة بناء أو اعادة تنظيم للخبرة التى تضيف شيئا الى معنى الخبرة ، وتزيد القدرة على توجيه سياق الخبرة التالية :

---

( ١ ) سورة يس : آية ٨٠ - ٨٣

١ - زيادة المعنى تقابل زيادة ادراك العلاقات والاتصالات الخاصة بالانشطة ويبدأ النشاط على شكل اندفاعي ، أى أنه أعمى ، فالنشاط لا يدرى مداه ، أى ماهي تفاعلاته مع الانشطة الاخرى .

والانشطة التى تجلب ترهية أو تعليما يجعل المرء منتبها لبعض العلاقات التى كانت غير مدركة .[1]

٢ - جانب آخر من الخبرة التربوية ، هو قوة اضافية التوجيه أو السيطرة ، فقولك أن المرء يعرف ماهو بصدده أو يمكن أن يقصد نتائج معينة ، انما هو بمثابة قولك بالطبع أنه أقدر على التنبوء بما سيقع . وانه بالتالى يستطيع أن يستعد أو يعد مقدما ما يكفل له نتائج مفيدة ويجنبه النتائج غير المرغوب فيها .

انالخبرة التربوية الاصلية اذن هى الخبرة التى ينتقل فيها التعليم وتزداد القدرة مغايرة تماما للنشاط الروتينى من جهة ، والنشاط الصادر من جهة أخرى عن نزوة .[2]

**الوسط الاجتماعى**

ان الوسط الاجتماعى لا يغرس رغبات وأفكار معينة بصورة مباشرة ولا يكتفى بانشاء عادات معينة للفعل عضلية خالصة ،مثل أن تطرف بعينيك ،

---

( ١ ) جون ديوى- الديمقراطية والتربية - ص ٢٨٦

( ٢ ) جون ديوى- المرجع السابق -ص ٧٢ - ٧٣

" غريزيا " بل خطوته الاولى أن يهيىء الظروف أو الشروط التي تثير أساليب خاصة مرئية وملموسة للفعل . أما الخطوة المتممة فهي أن تجعل الفرد شريكا في النشاط المشترك بحيث يشعر نجاحه نجاح له . ومتى استولى عليه الاتجاه الفعلي للجماعة تيقظ لمعرفة الغايات الخاصة التي يرمي اليها هذا الاتجاه والوسائل التي تضمن نجاحه ، وبعبارة أخرى ، سوف تتخذ معتقداته وأفكاره صورة مماثلة لمعتقدات وأفكار غيره من الجماعة .(١)

الوسط الاجتماعي من حيث هو تربوى

البيئة الاجتماعية تشكل الاستعداد الانفعالي للسلوك لدى الافراد باد خالهم في أنشطة تثير وتقوى دوافع معينة ، ولها أغراض معينة ، وتستتبع نتائج معينة . ( فالطفل ) الذي ينمو في أسرة من المتعلمين ، ومحبي القراءة والاطلاع على التقدم العلمي الحديث ، أسرة تستخدم المكتبة وتقرأ مافيها من نفائس وليس مجرد وجودها لكمال الابهة والتباهي .

هذا الطفل أو الاطفال الذين ينشئون في هذا الجو العلمي والمعرفي تستثار قدراتهم العلمية - أيا كانت - وتكون هذه الاستثارة لها أشد - نسبيا - من أي استثارة للدوافع الاخرى التي كان من الممكن ايقاظها في بيئة أخرى .

---

( ١ ) جون ديوى - المرجع السابق - ص ١٧ - ٢٣

خاصة ان كان لدى الطفل موهبة أدبية أو علمية مثل البحث والتحليل ومحاولة تطبيق ما يقرأ من نظريات عمليا ، أو اعادة التجارب معمليا للتأكد بنفسه من النتائج التى توصل اليها الباحثون .

كل ما سبق لن يتأتى مالم يهتم بالقراءة والعلم ويكتسب قدرا معينا منها ، سيكون **خارج النطاق** بالنسبة للاسرة ولن يكون قادرا على المشاركة فى حياة الجماعة التى ينتمى اليها .

**المدرسة من حيث هى بيئة من نوع خاص . .**

هذا النوع من الترابط الاجتماعى له ثلاث وظائف نوعية محددة بالقياس الى ارتباطات الحياة العادية :

أولهما : ان أى حضارة معقدة يحول تعقدها دون تمثيلها أو استيعابها برمتها أو دفعة واحدة ، فلابد من تقسيمها ثم استيعابها بالتجزئة " بطريقة متدرجة " .

ثانيهما : ان مهمة بيئة المدرسة أن تستبعد - الى أقصى حد - السمات غير ذات القيمة حتى لا تؤثر على عاداته العقلية . وبذلك تنشأ وسطا نقيا للطفل واقتلاع ما هو غير مرغوب فيه .

ثالثهما : ان مهمة بيئة المدرسة أن تقيم التوازن بين شتى العناصر فى البيئة الاجتماعية وأن تعمل على حصول كل فرد على فرصته للافلات من حدود الجماعة الاجتماعية التى ولد فيها .

---

( ١ ) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٢٣

**الفلسفة عند ديوى**

لا تسبق التطبيق أو تنفصل عنه ، وانما تتفاعل معه وتستمر فى ارتباطها به ، لان التفكير ينمو خلال الخبرة وفى سياق عملياتها ،فيحول ما هو غامض فيها الى عناصر واضحة ويبرز خطط العمل والافكار التى تواجهها .

وهذه العملية مستمرة لا نهاية لها سواء نظرنا الى الفلسفة من زاوية الفرد أم من منظور المجتمع ؟ اذ أنها تنمو وتتطور مع نمو المجتمع وتطوره وترتبط بعملياته الاجتماعية التى تنمو فيها القيم وتتحقق .

واذا كانت الفلسفة تعالج توجيه الخبرة الانسانية واستخدام الحقائق وما تتضمنه من تفسيرات وما تكشف عنه من اتجاهات مختلفة ، فان فلسفة التربية عند (ديوى) لا تعنى معالجة علم منفصل أو أنها علم من العلوم ، بل انها تهتم بعملية صياغة المشكلات الخاصة بتكوين العادات العقلية والاتجاهات الخلقية الصحيحة عند الافراد عند مواجهة صعوبات الحياة الاجتماعية وتغيراتها .(1)

وقد أكد "ديوى" أنه اذا كانت الفلسفة وفلسفة التربية لازمة لتوجيه التطبيق التربوى وتنمية على الدوام ، فانها أشد لزوما فى أوقات التغير السريع المتلاحق ، اذ تصبح مسئولية التربية المشاركة فى تكوين أفكار التغير الاجتماعى و

(1) د .محمد الهادى عفيفى - لماذا نعلم - ص ١٠٧ - ١٠٨

وابرازها ، ثم البحث عن العمليات والاساليب التي تضمن تنفيذها وتحويلها الى أهداف تربوية وأنماط موجهة ، وتصبح وظيفة فلسفة التربية تعميق هذه المسئولية بحيث يقوم نشاط المؤسسات التربوية على دراسة القوى والتجريب في مجال الحياة الانسانية التي تؤثر فيها وتتأثر بها ، وبيان القيم السليمة المنسقة التي توجه العمل التربوي فيها لاحداث مزيد من التقدم .

وبذلك يسير تجديد الفلسفة التربوية جنبا الى جنب مع التجديد الثقافي[1] وبما أننا مسلمين يجب أن نأخذ ما يوافق شريعتنا في شتى نواحي الحياة .

يقول "" ديوي "" ان مسئولية التربية المشاركة ... وتحويلها الى أهداف تربوية عندما نعود الى العقيدة الاسلامية ونحاول أن نكيف أسلوب حياتنا حسب ماجاء في التشريع ، نجعل الدين هو الميزان والمقياس الذي نقيس عليه وبه أمور حياتنا ، وما وافق الدين أخذناه وما خالفه رددناه .

عندما نعود الى ديننا بنفوس صافية وعقول فاحصة فاننا بلاريب سنجد الحلول لمشاكلنا التربوية والنفسية والاجتماعية حتى الاقتصادية . أما نظرة "" ديوي "" للوظيفة العامة للتربية هي وظيفة للتوجيه أو السيطرة أو الارشاد ، كل تنبيه يوجه النشاط فهو لا يثير النشاط أن يحركه فحسب ، بل يوجهه نحو موضوع ومن الناحية المقابلة ليست الاستجابة مجرد فعل ، أو احتجاج ضد هذا

---

(١) د . محمد الهادي عفيفي - المرجع السابق - ص ١٠٧ - ١٠٨

الازعاج بل هو كما يدل اللفظ "" جواب "" فهى تقابل المنبه وتتراسل معـــه .
اذن هناك تكييف متبادل بين المنبه والاستجابة .(١)

فالضوء منبه للعين كيما نرى شيئا ومهمة العين أن ترى - والعين اذا كانت مفتوحة ، وكان هناك ضوء حدثت الرؤية ، فالتنبيه ماهو الا شرط لنشـــاط الوظيفة الخاصة بالعضو أوالجهاز ، وليست اقحاما من الخارج ، فكل توجيـــه اذن الى حد ما ، أو سيطرة ، فهو ارشاد للنشاط الى غايته الخاصة به وهـــو عون له على تمام قيام العضو بما هو متجه الى القيام به فعلا من قبل ، قصـــارى القول أن التوجيه متأن أو تزامنى وتعاقبى معا .. ففى وقت معين يقتضـــى أن ينتقى من بين كل الميول المستثارة تلك الميول التى تركز الطاقة على الهدف المطلوب .(٢)

لقد هاجم "" ديوى "" النظرة الفلسفية التقليدية التى رأت أن الانسان عقل محمول على جسم ، وأن التربية ينبغى أن تهتم بالعقل وتخضع الجسم له . وعارض الاساليب التربوية وما تقوم عليه من فلسفة تجعل للمعرفة مصدرا غير الخـــبرة الانسانية .

وانبرى بتفكيره لكل الاتجاهات التربوية التى فصلت بين الانسان وبـــين محيط الخبرة الحقيقية التى يعيش فيها ويتعلم منها .

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٢٦
(٢) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١٠٩

ونقد علم النفس الذى قسم عقل الانسان الى ملكات مختلفة ، واتخذ من طرق التدريب الشكلى وسائل لشحذها ، كما هاجم المدارس التى سلمت بهذه الفلسفات والتى وضعت المادة الدراسية فى مقدمة الفرد المتعلم . كذلك هاجم الاتجاهات التى شوهت عملية التربية والتى تفصل بين الانسان والمجتمع وبين المدرسة ووجودها الثقافى . . فكان بذلك رائد الفلاسفة والمربين الذين حاربوا الثنائيات المختلفة التى من شأنها تعطيل قوى الفرد ، وتقسيم الناس طبقات ، وعرقلة التربية عن القيام بوظيفتها فى التطوير الاجتماعى الديموقراطى[1] . وأقام هجومه على هذه الفلسفات على أساس من التطورات الحديثة فى علوم النفس والاجتماع والبيولوجى ، فذهب الى أن الانسان ، من الناحية البيولوجية ، ينبغى النظر اليه على أنه كائن حى فى تفاعل مستمر مع بيئته .

من خلال دراستنا لافكار "" ديوى "" نلاحظ أنه يركز على البيئة وتفاعل الكائن الحى ( الانسان ) خاصة مع بيئته ذلك لانه يعيش فى المجتمع الامريكى حيث يتكون المجتمع هناك من خليط من الشعوب والاديان وتتضح التفرقة العنصرية وطغيان المادة على الروح ، ونظرية البقاء للاصلح أو الاقوى ، حيث الخواء الروحى الذى يتخبط فيه المجتمع ، فى هذا المجتمع ولهذه الاعتبارات - بنى "" ديوى "" آراؤه التربوية التى نادى بها - ولو أنه عرف الاسلام الصحيح وتعاليمه بجميع أبعادها ربما تغيرت كثير من مبادئه ومثله ومعتقداته التى نادى بها والتى استقاها من تجاربه الشخصية ورحلاته المتعددة ومن المجتمع الذى عاش فيه .

---

( ١ ) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١٠٩

يذكر "" ديوى "" عن تفاعل الكائن الحى المستمر مع بيئته فى مكان آخر أنه يمكن النظر الى الكائن الحى على أن البيئة متفردة ومتمثلة فى شخصية هذا الانسان ، ولا نفرق بين الانسان والبيئة الا لمجرد الدراسة والتحليل فقط . اذ الحقيقة العلمية هى الوحدة بين الانسان والبيئة ، وعلى هذا الاساس يؤكد أن الوراثة والبيئة ليستا جانبين منفصلين .

ثم اننا لا نستطيع أن نغير ما عند الفرد من عادات واتجاهات عقلية واجتماعية بالتركيز على الفرد فقط . هذا القول من قبيل الخرافة ، ذلك أن تغييرها يتطلب تغيير الظروف التى يتفاعل فيها الفرد ويعيش ، وهذا هو عمل التربية ووظيفتها . فهى عملية خلقية بمعنى أنها تتضمن الاختبار الذكى والتقويم المتزن للعناصر والبيئة التى تؤثر فى تكوين الفرد المتعلم فى اتجاهات معينة .

ومن هنا جاءت كتابات ""ديوى "" التى حارب فيها كل أنواع الثنائيات والتى تسبح فى طريقها فلسفة ( التربية الحديثة ) أو ( التربية التقدمية ) وأهم هذه الكتابات ما ورد فى " المدرسة والمجتمع " و " الطفل والمنهج "و" الميل والجهد " و " الديمقراطية والتربية " و " الحرية الثقافية " و " الخبرة والتربية "[1]

ومن الملاحظ أن أسماء هذه الكتب تتضمن فلسفته : "" فهو يرى

---

(١) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١١٠

أن المدرسة جزء من المجتمع تتأثر بأوضاعه ، كما ينبغى أن تؤثر فى اتجاهاته وتغيراته ،وان المنهج عملية معيشة يحيا فيها الطفل ،وينبغى أن يبنى من حاجاته ومطالبه فى البيئة التى يعيش فيها ، وأن الميل لا يتعارض مع بذل الجهد فى الدراسة بل ينمو فيه ويزيده قوة واتجاها ،وان الديمقراطية بدون تربية لا تكون الا لغوا وشعارات وقشورا ، وأن الخبرة الموجهة هى مجال النمو الهادى وأن التربية لا تخضع لغرض الا لهذا النمو فهو وظيفتها وهدفها".

لم يقدم "" ديوى "" فلسفته مجردة من الواقع التربوى الذى ساد التعليم فى النصف الاول من القرن العشرين ،ولم ينكر ما ظهر فيه من اتجاهات جديدة. وانما كان على خلاف المفكرين التربويين الذين سبقوه من حيث أنه اشتق فلسفته ونظرته التربوية من الاتجاهات الحديثة التى أخذت تؤثر فى حياة الجماهير فى كل مكان وأهمها العلم والديموقراطية .[1]

## الفلسفة البراجماتية وأثرها فى التربية الحديثة :

يسعى الرجل المثالى لتحقيق أهدافه فى حين أن البراجماتى لا يستطيع أن يتقدم بأهداف تربوية ، لان التربية فى نظره لا تتقيد بمعايير روحية يسعى لتحقيقها ، غير أنها تنشأ أثناء القيام بالتجارب الناجحة ، وتتولد أثناء حل المشاكل المنوعة .

---

( ١ ) د . محمد الهادى عفيفى ـ المرجع السابق ـ ص ١١٠

والغرض العام من التربية عند البراجماتى هو خلق المعايير الجديدة واثارة الطفل ومساعدته على خلق معايير جديدة لنفسه .

فى المذهب البراجماتى ليس للقيم والمعايير الروحية وجود سابق ، ولكنها تنشأ فى اثناء القيام بالتجارب وحل المشاكل ، وبالنظر الى الاسلام فان التشريع الاسلامى يعطى القيم والاخلاق حقها من التأكيد على مكارم الاخلاق والبر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس .

القيم فى الاسلام ثابتة فى حين أن "جون ديوى" يذكر بأنها متغيرة وهذا يرجع كما سبق أن ذكرنا فى مكان سابق لما لمسه "ديوى" فى المجتمع الامريكى خاصة والمجتمعات الاوروبية الغربية بشكل عام ، أما من ناحية الروح فاننا كأصحاب عقيدة سماوية نعتقد ونؤمن بأن الروح من عند الله سبحانه وتعالى ونصدق بكل ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة فى هذا الأمر : (( يسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا ))

ونستنتج من الكتاب الكريم ، القرآن العظيم الذى هو كلام الله سبحانه وتعالى أن الانسان قبضة من طين ونفخة من روح الله .[1]

اذن فالانسان يجمع خصائص الطين ويمثله الجسد بجميع أجزائه ومركباته ومطالب شهواته واحتياجات هذا الجسد ، وألوان نشاطه الحيوى من جوع وعطش وشهوات . . . الخ .

---

(١) محمد قطب - الانسان بين المادية والاسلام - ص ٨٢

كما أنه نفخه من روح الله تتمثل فى الجانب الروحى للانسان فى الوعى والادراك والتفكير والارادة .. تتمثل فى كل القيم والمعنويات التى يمارسها الانسان ، فالخير والبر والتعاون والمودة والحب والرحمة والادخار والعدل والايمان بالله سبحانه وتعالى وبالمثل العليا والعمل على تحقيقها فى واقع الحياة ، والصدق فى كل الامور .. كل ذلك نشاط روحى أو أنه نشاط قائم على قاعدة روحية .(1)

الروح من الامور الغيبية التى يجب علينا الايمان بها وان لم تظهر لنا عيانا لان عقولنا البشرية قاصرة عن ادراك كثير من الامور الغيبية والاحكام الشرعية من تكاليف وواجبات امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم : (( من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه )) .

وفى حديث آخر ما معناه أن الله سبحانه وتعالى سكت عن أشياء رحمة بنا .. قال تعالى : (( يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وأن تسئلوا عنها حين ينزّل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم))(2) لذا يجب الايمان بالله سبحانه وتعالى والتفكير فى خلق الله وعدم التفكير فى ذاته سبحانه وتعالى ..

أما البراجماتى فانه لا يرى أن التربية هى الجانب الفعال للفلسفة أو أنها

---

(١) محمد قطب - المرجع السابق - ص ٨٣

(٢) سورة المائدة - آية ١٠٠-١٠١

صدى للآراء الفلسفية ، بل يرى أن الفلسفة هى التى تنجم عن التربية لا العكس.

الفلسفة فى نظر (( جون ديوى )) ليست تطبيقا لافكار معدة من قبل ولكنها صياغة صريحة للحلول الصحيحة لمشاكلنا العقلية ، والاخلاقية فى نظامنا الاسلامى )) ولعل من أحسن التعاريف للفلسفة أنها نظرية تربوية بأوسع معانيها - ودستور الفلسفة البراجماسية يمكن تلخيصه فيما يأتى :(١)

١ - مبدأ التربية عند البراجماسيين هو (( الطفل )) وبيئته ( الطبيعية ) و( الاجتماعية ) والتفاعل بينهما هو الذى ينتج خبرته ،وهنا تلتقى الفلسفة الطبيعية والنفعية ،وعلى المربى أن يتأكد دائما أن الطفل معرض دائما لهذا التفاعل الحر بينه وبين بيئته الطبيعية والاجتماعية معا .

يبدو أن "" ديوى "" غالى فى تفاعل الطفل بالبيئة بأنواعها المختلفة ، لان البيئة كما نعرف فى كثير من الامثلة الحية ليست الاساس فى تربية وتوجيه الطفل . اذ أن الدين الاسلامى هو الاساس ، وكثيرا ما نصاف من الاسر الاسلامية التى تعيش فى المجتمعات غير الاسلامية (( الاقليات الاسلامية )) تتمسك بالدين الاسلامى ، تحافظ على تعاليمه وتمارسها وتحاول نشر الاسلام .

لا أعتقد أننى أجانب الصواب أن قلت أن بعض هذه الاسر تحافظ على الاسلام أكثر من بعض الاسر - للأسف - التى أصابها الانحراف

---

(١) د .صالح عبد العزيز - التربية وطرق التدريس - الجزء الثالث ص ١٠٧

والانجراف مع التيار الغربي والتي أخذت تقلد كثير من الشعارات والعادات الغربية والغريبة عن ديننا دون التفكير في ابعاد هذا التقليد مستقبلا على أبناءها .

عرفت عن كثب عدد من الأسر المسلمة المستوطنة في لندن* الهندية الاصل* ، تتمسك بالتعاليم الاسلامية وتغرس الايمان بالله واتباع أحكامه في نفوس أطفالها منذ نعومة أظفارهم ، حيث تلقنهم الحروف العربية وبعض الادعية المأثورة . . وقصارى السور من القرآن .

٢ - التربية في نظر البراجماسي هي توجيه الدوافع والقدرات الطبيعية . لا لتحقيق المثل بل نحو تحقيق حاجات الطفولة في البيئة . نتيجة هذه التربية تخرج عقل قابل للتشكل . نشيط منتج في جميع الاحوال والمواقف ، يستطيع أن ينشئ ويبدع .

٣ - يؤمن البراجماسيون ايمانا عظيما بالفرد وبالديموقراطية ، كما يؤمنون بمقدرته العظيمة على التقدم ، واستعداده للوصول الى درجة الكمال .

ويعتقدون أن هذه المميزات لا يمكن تحقيقها الا في جو اجتماعي ، وربما كان تفاؤل هذا المذهب في خصائص الفرد ومقدرته يؤدي الى اغفال الفروق الفردية .

٤ - يهتم البراجماسيون بالطريقة أكثر من اهتمامهم بالأهداف . نظرا لان البراجماسي هاجم طرائق التفكير الخاصة بالفلسفة القديمة، فانه هاجم أيضا طرائق التدريس القديمة والتقاليد القديمة ، وندد بالنظم الموضوعية وعرضها للنقد والتمحيص .

٥ - يعمل البراجماسي على أن يكون الطفل في موقف ايجابي دائما .

يرفض البراجماسي أن يكون الطفل في موقف سلبي يقبل آراء غيره ونتائج تفكير الناس بأن يتطلب من الطفل أن يقف موقف الباحث المنقب عن الحقيقة يفكر ويجرب بنفسه ، ليكتسب دراية بمواجهة مشاكل الحياة وطرق معالجتها .

فالتربية ليست تعليم الطفل مالا بد أن يعرفه ،بل تشجيعه ليعرف نفسه نتيجة نشاطه العقلي والتجريبي .

٦ - فالمعرفة الحقيقية ليست معرفة جافة مستمدة من الكتب ولكنها قوة لمواجهة المواقف الجديدة ، فالبراجماسية تقدم العمل على التفكير.(١)

٧ - رأى البراجماسي في المنهاج : البراجماسي يهاجم التقسيم التقليدى للمنهج الى علوم .

---

(١) د . صالح عبد العزيز - المرجع السابق - ص ١٠٨ - ١٠٩

يجب أن نجعل المعرفة وحدة نشاط حية كما في الطبيعة ، وأن تكون دراستها بحل مشاكل حيوية يسعى الطفل الى حلها ، وينظر اليها من وجهة نظر عمليا .

٨ - يؤمن البراجماسي بمبدأ التكامل في المنهاج .

الرجل العملي يرى أن مبدأ التكامل هو حياة التلميذ وتجربته بوجه عام ، ونشاطه الحالي بوجه خاص . فالمعرفة - المهارة الانسانية لها نواح عدة .. يوجه المربي لتربية عقل واحد ، أن يتكامل هذا العقل عن طريق النشاط الذي يبذله للوصول الى غرض معين .

الطريقة البراجماسية ، تترك الطفل ليس لديه أدنى شك في تداخل العلوم واعتماد بعضها على البعض الآخر .

٩ - التدريب الخلقي عند البراجماسي .

يقدر البراجماسي تقدير المسئولية أكثر مما تقدرها الفلسفة الطبيعية . فالعمليون أو البراجماسيون ، يدعون الى نشاط حر لا يذهب الى حد الاباحية لانه يرى أن النشاط الذاتي يؤدي الى تكامل الشخصية والى تهذيب النفس ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نستطيع أن نقبل المذهب القائل أن النشاط الحي الناجم من ذات الطفل يؤدي الى تهذيب النفس لاستغراقها فى نشاط ذاتي صحيح ، يستدعي قدرا كبيرا من تهذيب الخلق .

١٠- ان طريقة المشروع هى أهم طريقة للتدريس تتميز بها البراجماتية ، وطريقة المشروع تفترض وجود مشاكل عملية فى الحياة تضعها أمام الطفل تتحدى تفكيره ، ويشرع فى حلها بطريقة عملية .(١)

## استنتاجات من الفلسفة البراجماتية ومدى موافقتها لمجتمعنا الاسلامى :

١ - الفلسفة البراجماتية تذكر أن الانسان كائن حى يتكون من جسم وعقل ، فى حين أن الدين الاسلامى الحنيف يؤكد على أن الكائن الانسانى الحى يتكون من جسم وعقل وروح ووجدان ((الحالة الانفعالية فى الانسان)) .

ان جانب الروح مهم جدا فى الانسان ، بالروح الصافية يستشف الانسان مدى قدرة الله سبحانه وتعالى ، بالعقل النير والوجدان الصافى تعرف الانسان على وجود خالق عظيم مدبر للكون واحد أحد سبحانه عز وجل حتى قبيل ارسال الرسل وابلاغ الانبياء الناس بوجود الله وتكليفهم عبادته سبحانه باتباع الشرائع السماوية ، بينما نجد الفلسفة البراجماتية أهملت جانب الروح ، والروح شىء مهم جدا وأساسى من الصعب التغافل عنه أو اهماله .

٢ - اعتنت الفلسفة البراجماتية بالتفاعل المستمر بين الفرد وبيئته ، وبالغت فى ذلك ويرجع ذلك لتأثر فلاسفتها ومفكريها بالمجتمعات التى عاشوا فيها.

٣ - اهتمت الفلسفة البراجماتية بالخبرة ، فالانسان يستطيع أن يتعرف على كثير من المعلومات ويتوصل الى المهارة والحذق فى كثير من الاعمال المعقدة عن طريق الخبرة والمران .

(١) د .صالح عبد العزيز ـ المرجع السابق ـ ص ١١٠-١١١

٤ - بينت الفلسفة البراجماتية مدى أهمية الوسط الاجتماعي .

وهي هنا تتفق مع الاسلام الدين القيم حيث يقول نبي الهدى صلوات الله وسلامه عليه في حديث ما معناه : (( كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه ... ))

٥ - الفلسفة البراجماتية أوضحت دور المدرسة وأهميته في اقامة التوازن بين شتى عناصر البيئة الاجتماعية .

كما تعرضت لاهمية تكوين شخصية الطفل المستقلة وبيان دوره في المجتمع فلا يأخذ بالاشياء كمسلمات ، بل عليه أن يقف موقف الباحث المنقب عن أصل الاشياء - عن الحقيقة - يفكر ويجرب بنفسه ليكسب خبرة لمواجهة مشاكل الحياة ، ومحاولة ايجاد افضل الحلول لمعالجتها أو الحد من خطرها ضمن الامكانيات المتاحة ، وأكد على طريقة المشروع في التدريس والتي تفرض وجود مشاكل عملية في الحياة تضعها أمام الطفل تتحدى تفكيره ويشرع في ايجاد أفضل السبل لحلها بطريقة عملية .

مثلا :

عندنا في السعودية (( البترول )) نستطيع أن نضعه كوحدة تعليمية أو مشروع وتدرس من خلاله جغرافية المكان الذي يوجد به نوعية الصخور الموجودة بين طبقات الارض والازمنة الجيولوجية التي وجد بها وأسباب وجوده في مناطق دون الاخرى .

ومدى ما بلغه العلم الحديث من تقدم تقني في كيفية استخراجه وتكريره والنواحي الاقتصادية في تسويقه وبيعه ، والصناعات البتروكيماوية ، والنواحي الاجتماعية حيث تحول مجتمع المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية - التي وجد بها البترول - من الزراعة الدائمة الى الصناعة ، ودخول بعض العبارات أو الكلمات الانجليزية على لغة أهل المنطقة نتيجة لوجود الشركات صاحبة الامتياز . وكان لوجود البترول السبب في الاسراع بانشاء كلية البترول والمعادن وتحويلها الى جامعة فيما بعد لتخريج المهندسين الوطنيين للعمل في مختلف قطاعات البترول ومستخرجاته .

الغاز الطبيعي واستخداماته الحديثة من حقن الابار به لزيادة قوة ضخ البترول واستعماله في الصناعات الحديثة البتروكيماويات بالاضافة الى استعمالاته المنزلية ، ومشاريع مد الانابيب لنقله بعد أن كان يحرق فيما مضى .

الابعاد السياسية والاقتصادية العالمية والطلب على البترول ، أسعار البترول وارتباطها بأسواق العالم . . وقوة البترول كسلاح وارتباط ذلك بمصائر الامة العربية والاسلامية في كفاحها ضد العدو الصهيوني .

شعور علماء العصر الحديث بأهمية هذه الثروة القومية (( البترول )) والحاجة الماسة اليه .

طبيعة المادة البترولية حيث أنها ناضبة ، ومحاولة البحث لايجاد البدائل عن البترول أو محاولة الحد أو التخفيف من استعمالاته .

وأخيرا توصل أحد العلماء فى اليابان من استخراج مادة من ورق الشجر ،أمكن من خلالها تسيير سيارة والبحث يجرى لمعرفة امكانية استخراج تلك المادة وتسويقها .

ومنذ سنوات ، والعلماء يعكفون فى المعامل للاستفادة من الطاقة الشمسية كبديل للبترول ، وتتعاون المملكة العربية السعودية مع أمريكا فى بناء قرية نموذجية فى السعودية ، تستعمل الطاقة الشمسية كمصدر للطاقة .

٦ - أهمية الفروق الفردية بين الناس :

وهذا ما أدركه أجدادنا الاوائل من المسلمين حيث كان التعليم فى المساجد والجوامع فى حلقات دراسية تقوم على أساس مبدأ الفروق الفردية .

وما نظام الساعات المطبق منذ حوالى ست سنوات فى جامعة الملك عبد العزيز بشطريها فى مكة وجدة والذى أخذ من آخر ما توصل اليه العلم من النظام الامريكى الحديث الا تطبيقا عمليا لهذا المبدأ .

فى هذه العجالة أود أن أوضح أن الجوانب التى لم أتعرض لها فى هذا الفصل أرجىء الحديث عنها فى موضوعات أخرى فى الفصول القادمة .

**نقد الفلسفة البراجماتية :**

كان (( جون ديوى )) رائد الفكر التربوى الفلسفى منذ أواخر القرن التاسع عشر ، اذ أن نظرته الى الفلسفة والى التربية لم تكن ثمرة تأمل مفكر يعيش فى برج عاجى منعزل عن الناس والعالم ، بل نتيجة الاتصال المباشر الوثيق بالناس والمجتمع فى جميع أنحاء العالم ، والاحساس بالثورة العلمية التى خطت خطى جبارة منذ أواخر القرن التاسع عشر والتى لا تزال تعيش فيها .

غير أن التقدم فى العلوم الرياضية والطبيعية والبيولوجيا لم يصحبه تقدم فى العلوم الانسانية ،فكان لابد لفيلسوف كديوى أن ينعم النظر فى تحقيق هذه الصلة بين التيارين .

ولهذا نجد تفكيره يرتكز على الامور الاربعة الاتية :

١ - الاهتمام بالتربية نظريا وعمليا ،وأن التفلسف يجب أن يدور حول التربية من حيث أنها أعلى مراتب الاهتمامات الانسانية .

٢ - اخراج منطق جديد يلغى الثنائية القائمة بين منهج العلوم ومنهج آخر للاخلاق ، باعتبار أن العلم هو التفكير النظرى والاخلاق هو السلوك العملى . هذا المنهج الجديد الذى سماه (( الاداتية )) .

٣ - تخليص علم النفس من النزعات الميتافيزيقية والبحث فى الشعور ،وتطبيق العلوم البيولوجية على دراسة نفسية الانسان .

٤ - تطبيق العلم الحديث ومناهجه على العلوم الاجتماعية مثل الانثروبولوجيا والتاريخ والسياسة والاقتصاد وغير ذلك .(١)

تأثر "" جون ديوى "" منذ البداية بالمبادىء التى نادى بها "" فروبل "" وأهمها احترام نشاط الطفل واعتبار التعليم جزءا من عملية الحياة .

غير أنه رفض مبدأ "" فروبل "" الذى اعتبر النمو عملية تفتح من داخل الطفل كما رفض مثالية "" هيجل "" التى تأثر بها "" فروبل "" .

وقد واجه "" جون ديوى "" فى مطلع حياته خلافا حول أهمية (الميل) و (الجهد) فدعاه هذا الخلاف الى كتابة مؤلفه عن (( الميل وعلاقته بالارادة )) وهو الكتاب الذى أعاد كتابته عام ١٩١٣م باسم (( الميل والجهد )) وكان أول اضافة جديدة لعلم التربية . فقد قدم مناقشة لهذه القضية لعلم النفس جديد يستند الى علم البيولوجيا ، فيرى أن الطفل كانسان يعتبر (( ذاتا )) خلال تفاعله مع بيئته وليس كما ذهب السلوكيون الذين رأوا أن الانسان أكثر الكائنات ذكاء . فان حقيقة ( النفس أو الذات ) تميز الانسان عن الكائنات . وتكوين (الذات) أو (النفس) يعنى قدرة الفرد على صياغة أهداف واعية ، واختيار وسائل لتحقيق هذه الاهداف فى ضوء نتائج مرتقبة .

---

(١) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١٠٨-١١٠

فاذا ما استغرق الطفل فى أهدافه ودأب على تحقيقها نقول ان (ميله) نحو هذه الاهداف شديد .

واذا ما نظرنا الى الطفل وهو ينشط نشاطا واعيا للتغلب على ما يعترضه من صعاب فى سبيل هذه الاهداف نقول أنه يبذل (جهدا) نحو هذه الاهداف ومن ثم فان (الميل) و (الجهد) ليسا قطبين متعارضين ، بل انهما نشاط موحد ، منسق وان اطلقنا على جوانبه المختلفة أسماء مختلفة .

وبذلك أبرز "ديوى" خطأ الفكرتين المتنازعتين حول أيهما أسبق (الميل) أم (الجهد) . وبذا نقل المشكلة الى مستوى آخر وهو مكانة التلميذ والمادة الدراسية فى العملية التربوية . . فأكد ضرورة البدء بالطفل ومساعدته من حيث هو ، كما أنه ينمى شخصية منتجة خلاقة فى اطارها الاجتماعى .[1]

ذلك أن العملية التربوية لها جانبان : أحدهما نفسانى والاخر اجتماعى

ولا يمكن أن يخضع أحدهما للآخر ، أو يغفل أحدهما دون أن يترتب على ذلك نتائج سيئة .

فالطفل الذى نربيه كفرد اجتماعى ، والمجتمع وحده عضوية مؤلفة من أفراد واذا نحن أغفلنا العامل الاجتماعى من حساب الطفل بقى أما شىء مجرد ، واذا

---

(١) د. محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص١١٠ - ١١١

أسقطنا العامل الفردى من المجتمع لم يبق الا جمهور بغير حركة أو حياة .

من أجل ذلك كان لابد للتربية أن تبدأ من قوى الطفل واهتماماته وعاداته وكان لابد أن تنضبط بالرجوع الى هذه الاعتبارات . ولابد أن نفسر على الدوام هذه القوى والاهتمامات والعادات بمعرفة ما تدل عليه ، ولابد من ترجمتها الى نظائرها الاجتماعية .

ان اقامة التربية على هذا الاتجاه الجديد يستند الى عقيدتين أساسيتين فى فلسفة "جون ديوى" التربوية ؛

أولاهما : عقيدته الديموقراطية :

فان البدء بالطفل ومساعدته على بناء نفسه كشخصية سليمة خلاقة ، واحترام قواه وقوى الاخرين يعنى ( الديموقراطية ) ، وليس معنى هذا تدليل الطفل وافساده ، بل معناه معاملته ( كفاية ) والنظر الى المواد والتنظيمات الاخرى على أنها ( وسائل ) لنموه .

ثم ان الطريق الى تحقيق ( الديموقراطية ) بهذا المعنى هو المعرفة بالواقع والحقائق معرفة تمكن الفرد من استخدامها فى صلتها بالاهداف الاجتماعية فالديموقراطية التى جوهرها الحرية تقتضى من التربية تنمية أمور ثلاثة هى :[1]

١ ) الكفاية فى العمل وتنفيذ الخطط وازاحة العوائق .

٢ ) القدرة على تغيير الخطط وتحويل سير العمل ، وتجربة الجديد لمواجهة الواقع المتغير .

---

( ١ ) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١١٢

٣ ) قوة الرغبة والقدرة على الاختيار باعتبار أنهما عاملان مؤثران فى الحوادث.

فالكفاية الصحيحة تعنى أن تعلم الافراد البحث فى الشروط المحيطة بالعمل وتكوين الخطط . ولكن هذا البحث وهذا التخطيط يحتاجان الى الذكاء .. ومن ثم كان الذكاء مفتاح ( الحرية ) و (الديموقراطية) .

ثانيها : **عقيدته فى أصل المعرفة :** (١)

المعرفة تنتج من جهد الانسان فى أثناء معالجته شئون الحياة ، فعندما يسعى الانسان لتحقيق حاجاته ومطالبه ، فانه ينظر الى رصيد خبراته السابقة من معلومات ومهارات وعادات ،فيراجعها ويقومها ،وقد يستنبط غيرها لايجاد حلول سليمة فى الوقت الذى يعيش فيه .

وهنا يكون مجال المعرفة وزيادتها هو الخبرة ،وتكون وسيلة الانسان لتنميتها ـ البحث والاستقراء والتعميم والتقويم والتجريب ، وهى الطريقة العلمية

ان تفكير "" جون ديوى"" التربوى مزج بين مفهوم ( الديموقراطية )ومفهوم (العلم التجريبى ) . وأعتقد أن المسئولية الكبرى تقع على عاتق المدرسة الحديثة فى وضع برامج تربوية تجعل الافراد مؤمنين بالاسلوب (العلمى ) فى التفكير و ( بالديموقراطية ) كأسلوب حياة .

---

( ١ ) د .محمد الهادى عفيفى ـ المرجع السابق ـ ص ١١٢

ومن هذا المزج تنمو القيم الروحية والتربية الخلقية التي هي أساس عمل المدرسة .

## الديموقراطية في رأى ديوى :

الديموقراطية - حكم الشعب .

قال ديوى في معرض حديثه عن المؤسسات الاجتماعية في ظل النظام الديموقراطي يجب أن نهدف الى غاية ، وتحقيق الغاية يكون بتحرير وتنمية قدرات أفراد البشر جميعا ، دون النظر الى جنس أو طبقة أو ناحية اقتصادية أي اتاحة النمو الكامل لكل عضو في المجتمع .(١)

ان قول "" ديوى"" تنمية قدرات أفراد البشر جميعا ،دون النظر الى جنس أو طبقة أو ناحية اقتصادية واتاحة النمو الكامل لكل عضو في المجتمع . هذا يتفق مع جوهر الاسلام ، فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعث للناس كافة وباعتباره آخر الاديان وأكملها بقوله تعالى : "" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا "" ( صدق الله العظيم )

لا فرق بين عربي ولا عجمي الا بالتقوى .

الناس سواسية في نظر الاسلام ،ليس هناك تمييز الا بتقوى الله واتباع شريعته سبحانه وتعالى من المبادىء الديموقراطية التي نادى بها

(١) د . محمد لبيب النجيحي - في الفكر التربوى - ص ٤٨

"" د يوى"" والتى تشمل العدالة ـ المساواة ـ كرامة الانسان ـ احترام شخصيته وحريته . هذه ضمن المبادىء الاسلامية قبل أكثر من أربعة عشر قرنا .

هذا أهم ماجاء عن الديموقراطية كنظام للحكم عند "" د يوى"" فى حين أننا فى الاسلام نجد نظاما وهو نظام الشورى فى المملكة العربية السعودية حيث تطبق الحكومة شرع الله سبحانه وتعالى وهذا سبب الامن الذى يعيشه المجتمع

غير أن مجلس الشورى ليس وحده الذى يستقى أحكامه من الدين الاسلامى الحنيف بل كل قطاعات الدولة .

الشورة أصل من أصول الحياة فى الاسلام .. يقول تعالى"" وشاورهم فى الأمر"" ( سورة آل عمران ) ١٥٩ . "" وأمرهم شورى بينهم "" (سورة الشورى ٣٨)

الشورة بين الحكام والمحكومين أوسع مدى من دائرة الحكم لانها قاعدة حياة الامة المسلمة . أما طريقة الشورى ، فلم يحدد لها نظام خاص وتطبيقها اذن متروك للظروف والمقتضيات .

فقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يستشير المسلمين فيما لم يرد فيه الوحى ، يأخذ برأيهم فيما هم أعرف به من شئون دنياهم ، كمواقع الحرب وخططها .. سمع لرأيهم فى غزوة بدر ،فنزل على ماء بدر بعد أن كان قد نزل على مبعده منه ، وسمع لرأيهم فى حفر الخندق ، وسمع لهم فى الاسرى

فخالف رأى عمر ، حتى نزل الوحى بتأييد عمر . . أما ما كان فيه وحى ، فـــلا مجال فيه للشورى بطبيعة الحال ، فهو مقرر من مقررات الدين .

كذلك سار الخلفاء فى استشارة المسلمين ، استشار أبو بكر فى شأن مانعى الزكاة وأنفذ رأيه فى محاربتهم ، وكان عمر يعارض أولا ، غير أنه فاء الى رأى أبى بكر اقتناعا به ، بعد ما فتح الله قلبه له ، وهو يرى أبا بكر يصر عليـــه ، واستشار أهل مكة فى حرب الشام على رغم معارضة عمر . واستشار عمر فى دخـــول الارض الموبوءة وانتهى الى رأى وجد نصا من السنة يؤيده فالتزمه . . .

هكذا كانت الشورى لا على نظام مقرر مرسوم ، لان الظروف الواقعية كانت تعين أهل الشورى فى كل فترة بحيث لا يلتبس الامر فى شأنهم ، ولكن عموميـــة الامر تدع المجال مفتوحا لاشكال متعددة من النظم والطرق لا يحددها الاسلام اكتفاء بتقرير المبدأ العام .

على أن الحركة الاسلامية فى كل فترة تعين بطبيعتها أهل الشورى مـــن أهل البلاد والسبق والرأى ، فى يسر لا تعرفه الانظمة البشرية .[1] كما يمكـــن أن يأخذ الائمة من المسلمين بالقياس والاجتهاد فى ظل الشريعة الاسلاميـــة كما فعل أبو بكر فى قتال مانعى الزكاة حيث قاس هذا الامر ، منع الزكاة بتـــارك الصلاة لان تارك الصلاة يطلب منه الرجوع والتوبة فان لم يرجع يقاتل .

---

( ١ ) سيد قطب - العدالة الاجتماعية فى الاسلام - ص ١٠٤ - ١٠٥

فقال أبو بكر رضى الله عنه ما معناه لو منعونى عقالا كانوا يعطونـــــه رسول الله لقاتلتهم عليـــه .

ان كلا من الصلاة والزكاة من أركان الاسلام الخمسة التى لا يستقـــيم الدين الا بتكامل واتباع أركانه وأساسياته .

---

# الفصل الثالث

## رأى ديوى فى طبيعة الكون الإنسانى

- نقد للآراء الواردة عن طبيعة الإنسان .
- رأى ~~الإنسان~~ ديوى فى طبيعة النفس البشرية .
- مقتطفات من خصائص الإنسان فى القرآن الكريم .

## رأى ديوى فى طبيعة الكون والانسان

لعل من أهم أفكار "جون ديوى" John Dewey المتصلة بطبيعة الكون هو ايمانه بأن العالم ليس ثابتا جامدا static ولا نظاما مغلقا ، ولكنه عبارة عن عملية ديناميكية dynamic pracess فى التغير والتطور المستمر .

والميزة الاساسية للحياة فى نظره هو التغير .

ان الحياة على الارض فى تطورها وتغيرها المستمر لا تكاد تكون لديه سوى عملية مستمرة من التكيف التجريبى للظروف المتغيرة والمتجددة .

على الرغم من ايمان "جون ديوى" بأن الكون بجميع مظاهره فى تطور وتغير مستمر فانه يتفق مع ما يذهب اليه المحدثون من علماء الاجتماع من أن معدل سرعة هذا التطور والتغير المستمر قد تختلف من مظهر لآخر .

بعض مظاهر الكون فى رأيه أسرع فى تطورها وأسهل فى تغيرها من البعض الاخر ، من بين كتبه الفلسفية التى وضح فيها معتقداته المتصلة بطبيعة الكون والوجود الانسانى والمادى هو كتابه المعروف باسم (( الخبرة والطبيعة )) ومن بين النقاط الرئيسية التى عالجها "جون ديوى" فى هذا الكتاب :

١ ) الخبرة كطريقة .

٢ ) الثقافة كسلسلة من الخبرات الانسانية المتراكمة .

٣ ) استمرارالطبيعة باستمرار الخبرة .

٤ ) ان مظاهر الوجود المختلفة لا تعدو أن تكون سلسلة من الاحداث المترابطة المستمرة .

وقد حاول الاستاذ " جون وين John. W. أن يأتي بملخص واف لما ذكره " جون ديوى " في كتابه سالف الذكر عن هذه النقاط .

أما الافكار المتصلة بالانسان فانها تتفق مع المبادىء الديموقراطية ، ومع المبادىء التى تقررها نظرية التطور والابحاث الطبيعية والبيولوجيا والنفسية . . فهو يحترم الانسان الى أبعد حد ويعتبره غاية في حد ذاته ،ويحترم حريته واختلافه عن غيره .

وهو لا ينظر الى الفرد على أنه عنصر منفصل عن المجتمع الذى يعيش فيه بل ينظر اليه على أنه عضو في جماعة وجزء لا يتجزأ من المجتمع .(١)

وهو كعادته في جميع نظرياته الفلسفية يؤمن بمبدأ الواحدية Monism ويرفض مبدأ الثنائية dualism ومبدأ الكثرة pluralism

---

( ١ ) د .عمر محمد الشيباني ـ تطور النظريات والافكار التربوية ـ ص ٣٣٩-٣٤٠

وتطبيقا لمبدأ الوحدة بالنسبة للطبيعة الانسان فانه لم يعترف بالفصل التقليدى بين الجسم والعقل والروح ، وينظر الى طبيعة الانسان على أنهـا وحدة متكاملة لا فصل بين جوانبها الجسمية والعقلية والروحية .

ولما كانت جميع أنواع الوجود - بما فى ذلك الوجود الانسانى - لا تعدو أن تكون سلسلة من الاحداث .

لذا فان كلا من صفة الجسمية وصفة العقلية للطبيعة الانسانية لا تخرج عن كونهما صفتين لشىء واحد أو مسميين لحدث واحد ،والانسان كما نعلم جسمى وعقلى فى آن واحد ولا يمكن تجزئة الجسم أو العقل فى الانسان .

"جون ديوى" كما يؤمن بوحدة الطبيعة الانسانية فهو يؤمن كذلك بالاتصال الكامل والتوقف أو الاعتماد المتبادل interdependerey بين الفرد والمجتمع وبين الانسان والطبيعة . . ولا يمانه بالتوقف والتأثير المتبادلين بين الانسان والطبيعة فهو لا يرى أن هناك فاصلا بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية ويستدل بها على التوقف المتبادل بين الطبيعة الانسانية هو العلاقة بين ( علم الاجتماع ) و ( علم الجغرافيا ) باعتبار الاول يمثل فرعا من العلوم الانسانية وباعتبار الثانى يمثل فرعا أساسيا من العلوم الطبيعية .[1]

---

(١) جون ديوى- الديموقراطية والتربية - ص ١٨٩ .

فالاحداث الاجتماعية والتاريخية التي تمثل الجانب الانساني وتكون الجانب الاكبر من مباحث علم التاريخ ، انما هى تحدث من دون شك أو ريب على الكرة الارضية التي يعيش فيها بنى البشر وتتأثر بظواهر الطبيعة والتي هى موضوع الدراسات الجغرافية مثل تضاريس المكان الذى يعيش عليه الناس، وما يحيط بهم من النباتات والحيوانات والتأثيرات المناخية والثروة المعدنية وجميع المواد الخام الموجودة في الارض والمصنعة بالمصانع التى اخترعها الانسان وهداه تفكيره بارادة الله سبحانه وتعالى وسخره للانتفاع بخيراتها مصداقا لقوله تعالى "" جعلناكم مستخلفين فيها "" .

ان دراسة الجغرافيا عندما تتضمن الدراسة الطبيعية للارض من حيث الازمنة الجيولوجية وأنواع التربة والمناخ السائد والنبات التي يمكن أن تزرع قد يظهر أمرا متكلفا .

غير أن فى التفكير التربوى ليس هناك الا واقع واحد ،ومن سوء الطالع فان له اسمين عند الممارسة ، لان تباين الاسماء يميل الى اضفاء أو ترجيح واحدية المعنى الحقيقى - أى أن معناهما هو هو ، فالطبيعة والارض ينبغى أن يكونا لفظين متعادلين ، وكذلك ينبغى أن تكون دراسة الارض ، ودراسة الطبيعة اسمين لمسمى واحد .

ان الجميع يعترفون أن دراسة الطبيعة لحقها الضرر فى المدارس من جراء تفتت المادة الدراسية ،لانها تعالج فى عدد كبير من النقاط المعزولة .

فأجزاء الزهرة مثلا درست بمعزل عن الزهرة ككل عضوى ، والزهرة درست بمعزل عن النبات ، والنبات عامة درس بمعزل عن التربة والهواء والضوء وهذه الاخيرة لازمة لحياة النبات ولا يمكن أن يوجد النبات من غير التربة والهواء والضوء فهو يعيش فيها وبها .

ونتيجة لذلك موت لا مناص منه للموضوعات التى تدعو أو لازمة لعملية الانتباه فى التعليم . غير أن الواقع أنها تدرس وهى موضوعات متفرقة فلا تغذى الخيال ولا تجذب الانتباه ، وبذلك يصبح نقص الاهتمام يضحى بكثير من الجهود للوصول الى الغاية المطلوبة لعمليتى التعلم والتعليم .

"" أقترح جديا بعث المذهب الاحيائى "" ( هذا كلام ديوى ) كى تكتسى الوقائع والاحداث الطبيعية بالاساطير كى تجتذب العقل وتستبقى اهتمامه ، وفى عدد لا يحصى من الحالات تم الالتجاء الى تشخيصات متفاوتة السخافة ولئن كانت الطريقة سخيفة أو بلهاء ، الا أنها عبرت عن حاجة واقعية الى مناخ أو جو انسانى .. ذلك أن الوقائع كانت قد مزقت اربا بانتزاعها من سياقها ، فلم تعد تنتمى الى الارض ، ولم يعد لها مقر دائم فى أى مكان . ورغبة فى تعويض ذلك ، تم اللجوء الى ارتباطات صناعية وعاطفية .

( العلاج الحقيقى) أن نجعل دراسة الطبيعة دراسة للطبيعة ، لا لشذرات صارت بلا معنى نتيجة لنزعتها من المواقف التى حدثت فيها ، والتى فيها تعمل .

ومتى عوملت الطبيعة ككل ( مثل الارض في علاقاتها ) ، سوف تزيد ظاهراتها الى علاماتها الطبيعية ، علاقات التعاطف والارتباط بالحياة البشرية ، ولا تكون ثمة حاجة الى تعويضات صناعية .(١)

لقد رد على "" ديوى "" بعض الفلاسفة والمربين المعاصرين له في هـذا الاعتقاد ، ومن بين هؤلاء الفلاسفة والمربين كان الدكتور "" هيرمان هاريـل هورن "" Herman H. Horne الذى يرى أنه لا لزوم من وجـود موقف وتأثير متبادلين بين التاريخ والجغرافيا وأن يكون هناك توقف أو اعتمـاد متبادلان بين الطبيعة والانسان ، بل الموجود هو أن الانسان دائما هـو المتوقف والمعتمد على الطبيعة والمحتاج الى تكييف نفسه معها لتستمر الحياة .

بالنسبة للطبيعة الانسانية يرى البراجماتيين باستثناء "" وليم جيمس"" William James بوجه خاص يرفض معظم طبيعة النفس البشرية ، كما جاء في كتابه ( الطبيعة البشرية والسلوك الانسانى ) عن العادات كوظائف اجتماعية من أن العادة وظيفة وفن .

فالوظائف الفسيولوجية في الجسم كالتنفس والهضم لا ارادية ، أمـا العادات الاجتماعية فمكتسبة .

ويقول في مكان آخر أن الاخلاق هي المقومات الذاتية للشخصية .

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ١٩٢ .

فالوظائف الفسيولوجية من ناحية والعمل الاخلاقى والفنى من ناحية أخرى تجعل من الاخلاق مسألة ذاتية أو فردية ، وبذلك نعود بالاخلاق الى ميدان الواقع .

" الى أن يقول " ان جميع الفضائل والرذائل ماهى الا أنواع من التفاعل بين عناصر يسهم بها التكوين العام للفرد من ناحية ، وبين عناصر أخرى يسهم بها العالم الخارجى من ناحية أخرى ، كما يمكن دراستها موضوعيا كما تدرس الوظائف الفسيولوجية ، ويمكن أيضا أن تعتبر منها العناصر الذاتية أو العناصر الاجتماعية .(١)

"" يذكر ديوى "" أن العوامل الاجتماعية تلعب دورا فى تكوين السمات الشخصية .

" ان عادة " تقسيم الناس الى طبقات اجتماعية ، والتمييز بين الأغنياء والفقراء وسكان الاحياء الصغيرة عن أرباب الصناعة ، وسكان الريف عن سكان الضواحى ، والتى تميز الموظفين والسياسيين وأساتذة الجامعات ، وأفراد الاجناس ، وأعضاء الهيئات والاحزاب هذه الاحكام عادة أبعد ما تكون عن الفائدة المرجوة منها ولكنها توضح بأن السمات الشخصية هى الوظائف التى تؤديها المواقف الاجتماعية .

---

( ١ ) جون ديوى ـ الطبيعة البشرية والسلوك الانسانى ـ ص٩٣-٠٤-١٤

فاذا عممنا هذا المفهوم نكون مضطرين للاعتراف بأن تغييرنا للشخصية من أسوأ الى أحسن لا يتم الا عن طريق تغيير الظروف .

غير أنه لا يمكن تغيير العادة مباشرة ، ويمكن تغييرها بطريق غير مباشر بأن نغير من الظروف بحكمه وذكاء باختيار ووزن الاشياء التى تسترعى انتباهنا والتى تؤثر فى تحقيق رغباتنا .

ويقول ( عن العامل الذاتى ) : ان العوامل تتميز بوضوح بأنها فردية ذاتية تدخل فى تكوين العادة ، فحب الازهار قد يكون خطوة أو بداية حسنة نحو بناء الخزانات وشق القنوات للرى والاهتمام بالزراعة .

ان اثارة الرغبة وبذل الجهد هما بمثابة التمهيد لتغيير البيئة ، بينما يتضح أن الترغيب والنصح والارشاد مؤثرات ضعيفة اذا قورنت بالمؤثرات التى تنشأ مباشرة وعن القوى المادية ، والعادات الاجتماعية .(١)

## نقد للاراء الواردة عن طبيعة الانسان

نظر "" ديوى "" الى طبيعة الفرد من زاوية واحدة ولم تأت شاملة أو علمية ، وحقيقة الفرد أنه كائن بيولوجى ثقافى اجتماعى فى آن واحد ومن المستحيل التمييز الاكبر بين ماهو طبيعى وماهو مكتسب .

---

(١) جون ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٤٧

وهناك ( أمثلة ) يلتبس فيها النظر الى المؤثرات الثقافية بحيث يظن أنها عوامل بيولوجية .

(يقال ) ان الانسان فى نشاطه الاقتصادى يندفع بواقع الكسب والربح وقد (يقال ) أن هذه صفة عامة بين الناس بحكم طبيعتهم ، وبحكم هذا الدافع الفطرى الثابت فى هذه الطبيعة ، غير أن الابحاث التى أجريت على سلوك الافراد فى النظم الثقافية المختلفة قد أثبتت مدى تأثير هذه النظم بما تقوم عليه من قيم وعلاقات اجتماعية فى تشكيل دوافع الافراد وفى توجيه سلوكهم.[1]

ان هذا السلوك وهذه الدوافع تختلف من مجتمع لآخر ، فى التشريع الاسلامى ، ( مثلا ) وفى عمليات ونظم البيع والشراء والملكية ـ الربح والخسارة . . .

حرم الاسلام اكتناز المال من ذهب وفضه وغيره لما فى ذلك من تجميد واحتكار للاموال ، وتأثير ذلك على عمليات العرض والطلب وما يترتب على ذلك من ارتفاع أو انخفاض للاسعار .

كما بين مشروعية الاتفاق والحق المعلوم للفقير فى مال الغنى وأوضح سبل الاتفاق المشروعة وأفضليتها .

---

( ١ ) د . محمد الهادى عفيفى ـ فى أصول التربية ، الاصول الثقافية للتربية ،ص ١٨٦

المجتمع الاشتراكى يختلف عن المجتمع الرأسمالى. فى المجتمع الاشتراكى ( مثلا ) يذوب الفرد فى المجتمع حيث لا حقوق ملكية فى حين أن المجتمع الرأسمالى على النقيض منه. فالرغبة فى الكسب والاغراق فى التنافس والحرص على التملك بكل معانيه وغير ذلك من المظاهر السلوكية عند بعض الافراد فى عدد من المجتمعات لا يمكن اعتبارها قوى بيولوجيا نظرية ، فهم كما ذهب التفكير الرأسمالى الذى حاول أنصاره تبريره ، ولتبرير أنظمته وعلاقاته . فهى لا تعدو أن تكون مكتسبة بحكم حياة الافراد فى مثل هذه الانظمة الرأسمالية التى تقوم فيها العلاقات الاجتماعية على التنافس والملكية الفردية ، وحرية الفرد فى الحصول على أكبر قدر من الربح لنفسه .

على الرغم من أهمية النظرة البيولوجية للانسان ، فهى لا تعتبر العامل الوحيد المحدد لشخصيته . فهو يكتسب هذه الشخصية فى سياق تفاعلاته الاجتماعية فى ثقافة مجتمعه ، ان شخصية الفرد لا تنمو الا فى محيط اجتماعى ثقافى ، ولا تعمل الا فى علاقات مستمرة متصلة بعناصر هذا المحيط ، فشخصيات الافراد تتأثر بالثقافة كما تؤثر فيها .

قبل أن نتعرض لرأى د . محمد الهادى عفيفى أحب أن أنوه لشىء مهم فى تشكيل شخصية الفرد المسلم .

ان التمسك بالشريعة الاسلامية يجعل للانسان المسلم شخصية متفردة

يتميز بها عن غيره ، فالاسلام يحث على مكارم الاخلاق ،"" كنتم خير أمة أخرجت للناس ""[1] كما أنه " الاسلام" راعى طبيعة الانسان البشرية ،بنزواتها البشرية والسمو بها ومعالجة النفس الانسانية فهو يأمر بالصلاة لسبع بالرغم من أن .. الطفل فى هذه السن المبكرة ليس مكلفا شرعا بأداء الصلوات الخمس انما يعود الاسلام ويروض ابناءه حتى يغرس التكاليف الشرعية فى الصغار وتصبح من العادات الملازمة لهم فى حياتهم المقبلة .

فالتكاليف الشرعية انما تهذب النفوس المسلمة وتسمو بها وتكفل السعادة فى الدارين ، والاسلام فى مجمله لم يترك زاوية فى حياة الانسان فى معاملته مع الناس ، علاقاته الاسرية ، علاقته مع الناس جميعا بمن فيهم المسلم وغير المسلم .

لقد رسم الاسلام الخطوط العريضة للحياة البشرية المثالية ، وحتى يعيش الانسان فى وئام مع نفسه ومجتمعه والناس جميعا وقبل كل شىء مع خالقه سبحانه وتعالى، ما عليه سوى التمسك بتعاليم الدين الحق - الاسلام - لان بين ثناياه علاج لامراض المجتمع الخلقية والنفسية - تلك الامراض أشد فتكا ت فى المجتمعات المعاصرة غير المسلمة حتى فى المجتمعات الاسلامية التى ابتعد عن طريق الاسلام المستقيم .

---

( ١ ) سورة آل عمران - آية ١١٠

يذكر د . محمد الهادى عفيفى أنه يمكننا أن ننظر الى طبيعة الفـــرد والسلوك الانسانى بصفة عامة من ثلاث زوايا متكاملة هى :[1]

١ ) الفرد ودوافعه وامكاناته :

ويتميز بخلاياه وأعضائه الفسيولوجية كالدورة الدموية والغدد والجهاز العصبى والكيان "الميكانيزم" الخاص به الذى يتمثل فى ارتباط أجـــزاء الجسم فى تركيب عام واحد وكل هذه الصفات البيولوجية والفسيولوجية تعتـبر المادة الخام التى تتضح وتتشكل بتفاعل الفرد مع بيئته .

٢ ) الطبيعة الانسانية الاجتماعية :

والتى يكتسبها الفرد نتيجة ما يتعرض له من تغييرات فى تفاعله الاجتماعى مع بيئته . بعناصرها المادية والاجتماعية - حيث تتشكل دوافعه البيولوجيـة - ويتكون لديه الكثير من الدوافع والصفات المكتسبة نتيجة التفاعل والتكيـــف والتعلم فى بيئته .

٣ ) البيئة بما فيها من علاقات اجتماعية :

ومواقف الحياة التى يشترك فيها الافراد وتنمو فيها مصالحهم واتجاهاتهم وأهدافهم . والتى ينمو فيها الفرد كعضو يشعر بنفسه ويعبر عن طبيعته الخاصة فى علاقاته مع الاخرين . وتتضح فيها شخصيته كوحدة منفردة لها كيانها الخاص.[2]

---

( ١ ) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١٨٩

( ٢ ) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١٨٩

وفى ضوء هذه الزوايا نفسر طبيعة الانسان على أساس المبادىء الاتية :

١ - الوحدة العضوية بين الانسان والبيئة :

فالحاجات الداخلية التى تتمثل فى الحاجة الى الطعام والتنفس والدفء والحماية انما تعبر عن مطالب للمواد البيئية الخارجية من طعام وهواء ومسكن ويعبر السلوك عن نفسه ، حيث يسعى الفرد لاشباع هذه الحاجات والدوافع حتى يحقق الدوافع بين نفسه ، وبين عناصر البيئة .

٢ - مرونة الانسان اللامحدودة :

وتعنى قدرته على التمييز بين عناصر البيئة المختارة واختياره من بينها حتى يتحقق أفضل مستوى من التوافق لنفسه مع هذه البيئة .

قبل التعرض للعنصر الثالث، يجدر أن نذكر أن الدكتور محمد الهادى عفيفى يبدو أنه متأثرا بآراء "" ديوى"" التربوية الى حد كبير ،صحيح أنه نقل آراءه ومبادئه فى الطبيعة الانسانية، غير أنه لم يحاول أن يعرض لرأى الاسلام فى هذه الناحية .

من قراءة آراء "" ديوى"" فى هذه الناحية نلاحظ أنه يركز على البيئة وتأثر الانسان بها ،وهذا يبدو راجعا للمجتمع والبيئة التى عاشها ،ولعدم معرفته للاسلام .

الاسلام لم يطغى ناحية على غيرها فالانسان المسلم يتأثر بالبيئة التى

يعيش فيها ولكن الى حد ما بحيث لا يتعارض ذلك مع المبادىء الاساسية بالنسبة للسنة المطهرة والكتاب الكريم .

في حين أن "" ديوى"" قد غالى كثيرا في البيئة وتأثيرها على الانسان . ان انسان العصر الحديث بما سخر له الله من ثروات في البر والبحر وبما وهبه الله سبحانه وتعالى من نعمة العقل ، وبتوفيق من الله وارادته ، تمكن الانسان الضعيف ، باذن الله سبحانه وتعالى ، من تسخير الآلة لرفاهيته فاخترع الطائرات النفاثة التي تفوق سرعتها الصوت ، وتمكن عام ١٩٦٧ م من الهبوط على سطح القمر ، وسخر القوى الذرية لمصالحه المعيشية .

من هذا العرض الموجز نلاحظ أن انسان القرن العشرين استطاع أن يتحكم الى حد ما في البيئة المحيطة به . بدأ من أجهزة التكييف والطائرات الحربية التي تسير دون قائد وأجهزة الرادار والصواريخ عابرات القارات ، الى غيره .

وأورد هنا مثلا عن تقدم العلم ومحاولة تقلب الانسان العصرى على البيئة في حرب ٧٣ - ٦ اكتوبر ، وعندما كادت اسرائيل تنهار من هول المفاجأة وعبور القوات المصرية للقتال ، استنجدت بالولايات المتحدة الامريكية فعمدت أمريكا لعمل الجسر الجوى بين كلا من فلوريدا واسرائيل ومع بعد المسافة الا أن تقدم العلم ساهم في مساعدة اسرائيل ، والطائرات الامريكية المجهزة التي اكتشفت نقطة الضعف في الجيش الثالث قد ساهم في ايقاف الحرب وتحسن موقف اسرائيل بعد انزال جنودها في تلك النقطة والتي تمكن العلم من اكتشافها .

من كل ماسبق نخلص أن ارادة الانسان خاضعة لارادة الله عز وجل يستطيع أن يخضع البيئة لارادته وتبعا لمشيئة الله سبحانه وتعالى ، ما وافق عليه الشرع أخذنا به وما خالفه تركناه .

وصدق الله العظيم حيث قال "" يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فأنفذوا لا تنفذون الا بسلطان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان "" . (١)

بعد العرض السابق أعود لاستكمال آراء "" ديوى "" في الطبيعة الانسانية

٣ - قدرة الانسان على التعلم :

قدرة الانسان على التميز والاختيار تعني تميزه بالقدرة على التعلم واستعداده اللامتناهي للنمو والتغير ، فالتعلم عند الانسان يعني قدرته على الافادة مما يفعله وما يعانيه من خبرات الحياة التي يتفاعل فيها ومعها .

فالتعلم ليس مجرد اضافة بعض العادات الى سلوك الفرد ، ولا يعني ذلك أن هذا السلوك عبارة عن مجموعة عددية من ردود أفعال الفرد ، بل هو عبارة عن عملية مراجعة الانسان لخبرته في ضوء نتائج خبراته السابقة ، وتجديده لهذه الخبرات على أساس افادته من هذه النتائج ، ثم استيعابه لهذا كله واستخدامه في مواقف الحياة المستمرة .

---

(١) سورة الرحمن - آية ٣٢

٤ - الانسان مجموع علاقات اجتماعية :

الترابط بين المجتمع والشخصية متلازمان ، فالافراد لا يمكن أن يعيشوا بعيدا عن الثقافة والمجتمع .

والاخير يأخذ صفة الواقعية فقط في شخصيات وسلوك الافراد . فالنشاط النفسي للانسان شعور يتحدد بتفرديته بالعلاقات التي يعيشها ، ولكن الانسان نفسه مجموع هذه العلاقات ، وكذلك انعكاس للعلاقات الاجتماعية . فالعلاقات الاجتماعية للافراد تشكلهم كأشخاص ، وتتخذ صورة مجسمة في شخصيات الافراد لان تلك الشخصيات هي الصورة المادية المتجسدة التي تتخذها هذه العلاقات .(١)

٥ - طبيعة الانسان متعددة وليست واحدة :

الطبيعة الانسانية ظاهرة نامية لا توجد جاهزة عند الميلاد . ولكنها تظهر وتنمو خلال تفاعل الفرد بخصائصه المادية والبيولوجية مع عالمه الخارجي . وتعبر عن نفسها في مظاهر مختلفة ، فاللغة والدين والحروب التي خاضها الانسان ، والامراض العقلية التي يتعرض لها ، والقيم الخلقية التي يناضل من أجلها - كلها معبرات عن الطبيعة الانسانية .

يذكر ( البراجماتيين ) في هذا الصدد أن الانسان في الواقع انما هو كائن حي يعيش في بيئة اجتماعية ، وبيولوجيا نفس النفس .

---

(١) د . محمد الهادي عفيفي - المرجع السابق - ص ١٩٠ - ١٩٥

وهم يؤكدون على الجانب الاجتماعي للطبيعة البشرية والمدى الـــذي قد يتشكل عنده الفرد بالتفاعل الواعي مع الاخرين مدعما بالجهد .

والبراجماتيون خلافا للواقعيين والمثاليين يعتبرون أن الطبيعة الانسانية مرنة طيّعة .

## رأى الاسلام في طبيعة النفس البشرية :

الانسان عابد بطبعه ، فاما أن يعبد الله واما أن يعبد غير اللــــه .. فأيهما أقوم للنفس البشرية ، وأفضل في صلاح شأنها أن تؤمن بالحـــق وتعبد الله وحده لا شريك له ،أو تؤمن بالباطل وتعبد آلهة لا وجود لها فـــي الحقيقة ؟ (1)

الانسان الصالح الذي يربيه الاسلام ، هو الذي وعى وطبق قوله تعالــى : "" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكـــم أو الوالدين أو الاقربين "" (سورة النساء ١٣٥) يذكر القرآن الكريم صفـــات النفس الانسانية العامة وحالاتها وخصائصها ويدعو الانسان الى استجـــلاء أسرارها ويستحثه ليصل الى التفصيلات الدقيقة .

---

(١) محمد قطب - النظرية التربوية الاسلامية - ص ٨٧

يقول تعالى : ""سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم "" (فصلت -٥٣ )

ومن الامور المسلم بها لدى المسلمين هو أن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون وخالق كل شيء بما فى ذلك الانسان .

قال تعالى "" يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون "" ( سورة البقرة - ٢١ )

حينما يتحدث القرآن عن النفس الانسانية فهو انما يصف حال الانسان فى كل زمان ومكان وضع الله سبحانه وتعالى القوانين والسنن التى تصف الانسان فى مجموعه ،وهى قوانين وسنن شاملة ثابتة لا تتغير اذ أنها صادرة من الله خالق الكون سبحانه وتعالى .

يقول تعالى "" سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا "" ( سورة الفتح - ٢٣ ) .

فى القرآن الكريم الكثير من الايات التى تصف النفس البشرية فى مختلف حالاتها ،سوية ،وشاذة صاعدة ،وهابطة ،خيرة ،وشريرة ،مؤمنة وكافرة ، ملتصقة بالطين أو مرتفعة الى عالم الروح .

وهو يشير الى حاجات الانسان الجسمية والروحية والى استعداداته

---

الخيرة والشريرة ، فالانسان اذن ذو طبيعة مزدوجة ، لديه الاستعداد ونقيضه فالقرآن الكريم لا ينكر أيا من صفات الانسان وانما يصف نمط الحياة المتوازنة التى يمكن للانسان أن يحياها فى المجتمع المتوازن ،وهذا لا يهدف لايجاد الانسان الكامل ،فالكمال لله سبحانه وتعالى وما الانسان سوى جسد وروح به خصائصهما .

قال تعالى : "" الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ""(السجدة آيات ٧ ، ٨ ، ٩ )

الله سبحانه وتعالى خلق الانسان الصالح المتوازن الذى يعمل للاخرة والدنيا ، لا افراط ولا تفريط ،مستعينا بقدراته واستعداداته حسب امكانياتها

يقول تعالى"" لا يكلف الله نفسا الا وسعها"") سورة المؤمنون - ٦٢ )
ويقول تعالى"" وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا "" ( القصص - ٧٧ ) .
قال تعالى"" والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قواما"" ( الفرقان- ٦٧ )

والقرآن يهدف الى أن يعيش الانسان الصالح المتوازن فى المجتمع الصالح المتوازن .

قال تعالى : "" وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا "" ( سورة البقرة - ١٤٣ )

نظرة القرآن الكريم للانسان شاملة ، فهو يتلمس النواحي الرئيسية في النفس الانسانية ، ويشير القرآن الى أن أصل الخلق واحد وأن الناس هم ذرية آدم عليه السلام . قال تعالى : "" يا أيها الناس أتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء "" . ( الاسراء - ١ )

يقول تعالى للرسول محمد صلى الله عليه وسلم "" قل أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا "" ( الاعراف - ٨ )

من الايات السابقة نستنتج أن القرآن الكريم حين يتحدث عن الانسان انما يقصد الانسان من كل زاوية ومكان ، وعليه فخصائص النفس الانسانية التى يوردها القرآن ، انما تنطبق على كل انسان وفى كل زمان ومكان .

## مقتطفات من خصائص الانسان فى القرآن الكريم :

### ١ - الانسان ذو طبيعة مزدوجة :

خلق من الطين والروح ، فهو ليس شريرا كما أنه ليس ملاكا ، "" ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها
( سورة الشمس - آيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ )

**٢ ـ الانسان خليفة الله فى الارض :**

خليفة الله سبحانه وتعالى ، الله المبدع المسيطر على كل قوى الكون ، ولا بد للخليفة أن يكون مزودا بأدوات الخلافة والا فلا معنى ولا قيمة لخلافته ولا بد أن يكون فيه قبس من منحه الخلافة والا لما استحق الخلافة .ويجب أن يكون له دورا فى الحياة أكبر وأخطر من جميع الكائنات ،ودور الانسان الخليفة فى الارض وعمارتها . ولقد زوده الله سبحانه وتعالى بأدوات الخلافة :

"" وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون "" (السجدة ـ٩ )

يقول تعالى "" اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم ""(العلق ١ ، ٢ ، ٣ ،٤ ،٥ ) ثم وضع فى الانسان حبب الحياة الدنيا والشهوات حافزا له ومرغبا فيها ولكى يجعل له حرية الاختيار .

يقول تعالى : "" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا "" ( سورة آل عمران ـ آية ١٤ )

وكما فى الانسان جوانب خيرة وطيبة فيه نقاط ضعف وشر :

يقول تعالى : "" ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم "" ( سورة يوسف : آية ٥٣ )

يقول تعالى : انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين

أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان "" (سورة الاحزاب - آية ٧٢)

أمانة معرفة الخالق البارى وعبادته وحده سبحانه لا شريك له ، أمانة العلم والعقل .. قبل الانسان القيام بمهمة الخلافة فى الارض وعمارتها .

٣ - قدرات الانسان واستعداداته محدودة : (١)

هناك فردية وجماعية فى هذه المحدودية ، ولكى تتم عملية تعليم الانسان وحمله لمسئولية الامانة وهى عبادة الله سبحانه وتعالى وعمارة الارض التى استخلف فيها ولا يكون ذلك الا بتقبل المعارف والخبرات التى لديه الاستعداد المسبق لمعرفتها وتحمل مسئوليتها . فالانسان يتأثر ويتشكل عن طريق المؤثرات البيئية والتربوية والاجتماعية والحضارية ويتوقف مقدار تأثر الانسان بهذه العوامل على الحد الذى تسمح به قدراته واستعداداته الذاتية الداخلية .

ولكل من التربية والتعلم اسهاما فى تغيير الحالة الاجتماعية والفكرية لافراد المجتمع ، لذا نلاحظ كثير من الايات الكريمة تتضمن عبارات مثل "" أفلا تذكرون .. أفلا تعقلون .. أفلا تبصرون "" .

ان عمليتى التفكير والاستبصار تلعبان دورا فى التعلم وفى الاختيار من الاختبارات المتعددة .

---

(١) د . أحمد توفيق شاولى - الانسان فى القرآن الكريم - ص ٦٠١-١٦

٤ - الثواب والعقاب :

يلعب كل منهما دورا فى حدوث عملية التعليم ، فالثواب يعزز السلوك المرغوب الخير كما أن العقاب مهم فى منع السلوك غير السوى .

ونلاحظ كثير من آيات الله سبحانه وتعالى يقرن فيها الثواب بالعقاب :
يقول تعالى : "" غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب "" صدق الله العظيم .

٥ - القدرة على السيطرة على النفس وضبطها :

بالاضافة للقدرات سالفة الذكر فان الانسان يستطيع السيطرة على نفسه وضبطها والسير بها الى بر الامان فى الطريق المستقيم طريق الحق طريق الله حتى يجنى الخير فى الدنيا والاخرة ، وذلك بطاعة الله سبحانه وتعالى واتباع سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويكون ذلك التمسك بشرع الله والسير وفق تعاليم الدين الاسلامى . (١)

-٠-

(١) د . احمد توفيق شاولى - المرجع السابق - ص ١٠ - ١١

# الفصل الرابع

## نظرية المعرفة عند ديوى

- تقابل الخبرة والمعرفة الحقيقية .
- النظرية الحديثة فى الخبرة والمعرفة .
- الاطراد مقابل الثنائية .
- الايجابية والسلبية فى المعرفة .
- نمو الطريقة الايجابية .
- التفكير المنطقى فى نظر جون ديوى .

## نظريـة المعرفة عند د يـــوى

من أفكار د يوى المتصلة بنظرية المعرفة ايمانه بأن المصد ر الا ساســى للمعرفة الا نسانية هوالخبرة والنشاط الذاتي .

أى معرفة يكتسبها الفرد انما هي ناشئة - في نظره- عن خبرة الفـر د الا نساني وتفاعله مع عناصر البيئة المحيطـة به وعن نشاطه وكفاحه من أجل البقـاء ومن أجل الحصول على لقمة العيش والكساء والمأوى ومن أجل التغلب علـى مشاكل الحياة التي تواجهه .

وأود أن أضيف الى كلام "" د يوى"" أن هناك معرفةحقيقية وثابتة وصحيحة هذه المعرفة التي يأخذها الانسان من الدين الذي يدينه فمثلا نحن المسلمين نكسب كثير من المعارف عن طريق العقيدة الاسلامية ، وأهم تلك المعرفة معرفة الله سبحانه وتعالى والايمان به وعبادته ومعرفة الله تكون بالتفكر في مخلوقاتـه سبحانه "" وفي أنفسكم أفلا تبصرون"" (صدق الله العظيم) ، كذلك معرفـة كثير من الحقائق الكونية ، من الشمس والقمر ومطالعهما وحساب السنين ومعرفة مواقيت الصلاة واتجاه القبلة ، كل هذه المعارف انما يتعلمها الانسان المسلم كأساسيات لممارسة الشعائر الدينية من صلاة وصيام وتحديد يوم الوقفة بعرفات سنويا الى غير ذلك .

بعد هذا الاستعراض السريع والعاجل نعود الى بادىء ذي بدء ، والـى

الأمثلة التى أوردها "جون ديوى" والتى يمكن أن تضرب لتوضيح معتقده ، مثلا الطفل الذى يمد يده الى النار فتحرقه فانه يكف عن لمسها وعدم الاقتراب منها ويعرف أنها تؤذيه وتحرقه .

واضح من هذا المثال أن نشاط الطفل - مد يده نحو النار - سبب له خبرة الالم والاحتراق هذه الخبرة المؤلمة هى التى اكتسبها معرفة أن النار محرقة ولولا هذه الخبرة أو التجربة ما كان ليكتسب هذه المعرفة .

يؤمن كذلك بأن المصدر الاساسى للمعرفة هو الخبرة وما تستغرقه من نشاط وتفاعل مع عناصر الشىء المراد معرفته . ، فهو يؤمن بأن كسب المعرفة يتطلب من قبل الباحث عن المعرفة شيئا من التفاعل الاجتماعى المباشر أو غير المباشر .[1]

كما يؤمن "ديوى" من جانب آخر بأداتية المعرفة والخبرة ، ووظيفتها واستمرارها ، وذلك تطبيقا منه لمبدأ الاداتية instrumentalism ولمبدأ الوظيفية functionalism ولمبدأ امكانية التطبيق opplicability ولمبدأ الاستمرار continuity التى تعتبر من أهم المبادىء التى تقوم عليها فلسفته التربوية .

---

(١) د .عمر محمد الشيبانى - تطور النظريات والافكار التربوية - ص ٣٤١

الايمان بأداتية المعرفة ووظيفتها وامكانية تطبيقها يستدعي الايمان بأن المعرفة الحقيقية هي التي تساعد الفرد على التغلب على مشاكل الحياة وعلى تكييف بيئته وتطويعها لخدمة أغراضه وارضاء حاجاته ، وبأن لا قيمة لأية معرفة لا يمكن استعمالها وتطبيقها في الحياة الحاضرة والمستقبلة وهو يطبق مبدأ الأداتية ، ومبدأ امكانية التطبيق حتى بالنسبة لمعرفة الماضي ، وفي اعتقاده أنه لا قيمة لمعرفة الماضي اذا لم يساعد على فهم وحل مشاكل الحاضر .

وبالتالي لم يساعد على التنبوء بالمستقبل ولم يعط معنى لهذا المستقبل وتطبيقا منه لمبدأ الاستمرار فانه يرى أن وظيفة المعرفة المكتسبة للفرد هي أن تساعده على توجيه خبراته اللاحقة بحرية .

كلمة ( تجربة ) هي التي تضع الحد الفاصل - في نظره - بين المعرفة والعادة . فبالرغم من أن "ديوى" يعترف بأن كلا من المعرفة والعادة انما تتكون عن طريق الخبرة ، وبأن كلا منهما يحدث تغييرا في سلوك الفرد يساعده على التغلب على المواقف المقبلة بسهولة ، فانه يميز بين المعرفة والعادة على أساس أن ( العادة ) وحدها وبدون ( المعرفة ) لا تسمح لصاحبها بالتغيير ولا بالتجديد ، بل تجبره على أن يسير في عمله على خط سير الماضي .

(فالعادة ) مبنية على الاعتقاد بأن الموقف اللاحق يماثل الموقف السابق له ، كما أنها لا تأخذ في حسابها التغيرات والتقلبات التي يمكن أن تحصل في الموقف في المستقبل .

أما (المعرفة ) فان من شأنها أن تعطى الفرد حرية التصرف تجاه تغيرات وتقلبات المستقبل ، وتزوده بالاسس والحلول المختلفة التى تساعده على التغلب على مشاكل المستقبل ، وتتيح له حرية الاختيار والتصرف تجاه المواقف المختلفة .[1]

ولنوضح الفرق بين ( العادة ) و ( المعرفة) عند "" جون ديوى"" يمكن أن نضرب مثلا بالشخص الذى تعلم كيف يسير ويدير آلة ما ، فانه ان تعلم تسيير هذه الالة عن طريق العادة فانه من البديهى أن يفشل فى ادارتها فى حالة مصادفته ظروف لم تسبقله . أما ان تعلم تسيير هذه الالة عن معرفة وفهم والمام بمحتوياتها واجزاءها الدقيقة فمن الطبيعى أن يكون ملما وعارفا لما هو قادم عليه ، وبمعرفته بالشروط التى تعمل تحتها هذه الالة ، كما أنه فى موقف يسمح له بأحداث تغيير أو تجديد وتعديل فى سلوكه ، اذا اقتضى الأمر ذلك مستقبلا ولدى مصادفة أى عقبات أو مشاكل يمكنه حلها وبالتالى يزاول عمله دون توقف .[2]

**تقابل الخبرة والمعرفة الحقيقية :**

يتقابل كسب العيش والفراغ على نحو ما ، كما تتقابل النظرية والتطبيق ، ويتقابل الذكاء والتنفيذ ، وتتقابل المعرفة والنشاط .

---

(١) د .عمر محمد الشيبانى - المرجع السابق - ص ٣٤٣

(٢) جون ديوى - الديموقراطية والتربية - ص ٣٠٢

فالمعرفة العقلية تامة وشاملة فى نطاقها ، ومن ثم كانت الحياة العملية فى حالة تدفق دائم متصل ، (المعرفة) العقلية تتعلق بالحق الابدى .

هذا التقابل الحاد مرتبط بأن الفلسفة الاغريقية بدأت فى صورة نقد للعرف والتقليد كمعايير (للمعرفة) والسلوك ، وبحثت الفلسفة عن شىء يحل محلها ، فدفعت على (العقل) كمرشد كان للاعتقاد والنشاط ، ولما كان العرف والتقليد موحد عندهم مع الخبرة ، فقد ترتبت تبعا ذلك أن (العقل) أرقى من (الخبرة) ، ولما كانت (الخبرة) غير راضية عن وضعها التابع والخاضع ، لذا أظهرت على أنها الخصم اللدود للاعتراف بسلطان ( العقل ) .

ولما كان العرف والتقاليد المتعارف عليها لدى الناس انما تكبلهم ، فلم يكن من بد أمام ( العقل ) لكسب ( معرفة ) السيادة الشرعية الا بإظهار مافى طبيعة ( الخبرة ) من تزعزع أصيل فيها ، وعدم كفاية .[1]

ولعل أفضل وجه نفهم عليه عبارة أفلاطون القائلة : (( ان الفلاسفة ينبغى أن يكونوا هم الملوك )) هو أن الذكاء العقلى ، لا العادة والشهوة والاندفاع والعاطفة هو الذى ينبغى أن ينظم الشئون البشرية .

(فالذكاء العقلى ) هو الذى يكفل الوحدة ، والنظام والقانون ، أما الاشياء الاخرى فتعنى الكثرة والتنافر والتذبذب غير العاقل من حالة الى أخرى .

---

( ١ ) جون ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣٥

ولا نحتاج الى أن نمضى بعيدا للبحث عن أسس التوحيد بين (الخبرة) والحالة غير المرضية للامور ، وهى الحالة التى يمثلها سلطان العرف وحده .

فأقسام التجارة والاسفار والمستعمرات والهجرات والحروب قد وسع الافق الفكرى واتضح أن أعراف ومعتقدات المجتمعات المختلفة تختلف اختلافا حادا فيما بينها ، واتجه الموقف الى اثارة السؤال عن وجود أى شىء ثابت وكلى فى مملكة الطبيعة والمجتمع .

وكان العقل هو الملكة التى تم بها الادراك للمبدأ الكلى والماهية ، أو الحواس فكانت بذلك وسائل لادراك التغيير الحادث .

وهكذا صار المتزعزع والمتنوع مقابلا للدائم والمطرد ، وصارت نتائج عمل الحواس ، وقد حفظت فى الذاكرة والمخيلة وطبقت فى المهارات التى تتيحها العادة . هى المكونة (للخبرة). الممارسة داخل ( الخبرة ) فالعمل يصدر من الاحتياجات ويرى الى التغيير وأن تعمل أو تنتج معناه أن نغير شيئا ، وأن نستهلك معناه أن نغير .

أما ( المعرفة ) فدائمة كموضوعها ، فان ( نعرف ) شيئا أو تدركه (فكريا ) أو ( نظريا ) معناه أن تكون خارج دائرة التقلب ، والصدفة والتباين ، فالحق ليس فيه نقص ، ولا تمسه مقلقات عالم الحس ، لانه يتعامل مع الابدى والكلى ، ولا يمكن وضع عالم (الخبرة) تحت السيطرة ، وتثبيته وتنظيمه أو ترتيبه الا باخضاعه لقانون (العقل) .

( فمعرفة ) الحقيقة الواقعة كان معناها أن تكون على علاقة بالحقيقة العليا أو الله سبحانه وتعالى ، وأن نستمتع بالنشوة الابدية لهذه العلاقة .

وكان تأمل الحقيقة العليا أو العظمى هو الغاية القصوى للانسان ، ولها تخضع الأفعال . أما علاقة (الخبرة) فبالامور الدنيوية الزائلة ،وهى ضرورية حقا عمليا ،ولكنها قليلة الاهمية بالقياس الى موضوعات ( المعرفة) الخارقة للطبيعة .

ومن ذلك نفهم التفصيل بين ماهو ( فكرى ) على ماهو ( عملى ) .[1]

**النظرية الحديثة فى الخبرة والمعرفة :**

( الخبرة) لدى أفلاطون تعنى العقود ،أو حفظ الناتج الصافى لقدر من المحاولات الماضية التى نمت بالصدفة .

أما (العقل ) فكان يعنى مبدأ العرف أو (العادة) والوصول الى الاشياء كما هى حقا .

أما لدى ( المصلحين المحدثين ) فكان الموقف عكس ذلك تماما . (فالعقل ) والمبادىء الكلية ، والمعانى القبلية صار معناها ،أما صور فارغة يجب أن تملأ ( بالخبرة) ، أى بملاحظات حسية كى يكون لها معنى وتكون لها معنى وتكون لها شرعية ،والا كانت آراء مسبقة راسخة ومعتقدات جامدة فرضتها

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٢٣٨ - ٢٣٩

السلطة ، ثم تقنعت ووجدت الحماية تحت أسماء براقة .

وكانت الحاجة الكبرى الى التخلص من الاسر والتوجه الى مفهومات يقول عنها ( بيكون ) أنها ( تسبق الطبيعة أو تتوقعها ) ، وتفرض عليها آراء بشرية مع اللجوء الى الخبرة كما نعرف ماهى الطبيعة . واللجوء الى ( الخبرة ) كان ايذانا بالانفصال عن السلطة والانفتاح على انطباعات جديدة والتلهف على اكتشاف الاختراع بدلا من الاستغراق فى جدوله ومذهبه أفكار متلقاه واثباتها بواسطة علاقاتها فيما بينها .

فكان ذلك اقتحاما للعقل من جانب الاشياء كما هى ، خالصة من قناع الافكار المتصورة سلفا (١) .

وكان هذا التغير مزدوجا ، ففقدت ( الخبرة ) المعنى العملى الذى كانت تحمله منذ زمن أفلاطون . ولم تعد تعنى سبل الفعل والانفعال ، وصارت تسير على شىء فكرى ومعرفى ، وتعنى الادراك المادى الذى ينبغى أن يوازن ويراجع عمل الاستدلال .

وصار منظور الى الخبرة ، من جانب التجريبى الحسى ، ومن جانب خصمه على السواء ، على أنها سبيل للمعرفة ، والسؤال الوحيد المثار هو : الى أى حد هى سبيل جيد للمعرفة . وكانت نتيجة ذلك مذهبا عقليا أو فكريا أكبر مما كان موجودا فى الفلسفة القديمة ، اذا ما جعلنا هذه الكلمة تعنى اهتماما مؤكدا

---

( ١ ) جون ديوى . المرجع السابق - ص ٢٣٨-٢٣٩

وقصريا بالمعرفة فى ذاتها ،أى بمعزل عن الممارسة ، ولم تعد الممارسة خاضعة للمعرفة ،بقدر ماهى نوع من النهاية أو الاثر للمعرفة .

وأدى الاهتمام بالخبرة كوسيلة لاقامة الحقيقة على الاشياء ،وعلى الطبيعة الى النظر الى العقل باعتباره متقبلا محضا .

وكلما كان العقل سالبا ،زاد انطباع الاشياء فيه بصدق ، واذا ما قام العقل بدور فى هذه العملية ، أفسد عطية المعرفة نفسها ،أى هدم غايته والغرض منه .

ولما كانت انطباعات الاشياء فى العقل تسمى عادة احساسات ، صار المذهب التجربى هو المذهب الحسى ، أى المذهب الذى يوحد بين المعرفة وتقبل وربط الانطباعات الواردة من الحواس .

ولدى "جون لوك" وهو أعظم التجريبيين الحسيين نفوذا ،نجد هذا المذهب الحسى مطلقا بالاعتراف بملكات عقلية معينة مثل التمييز أو التفرقة ، والمقارنة ،والتجربة ،والتعميم ،التى تحول مادة الحس الى صور محدودة منظمة بل وتتضمن أفكارا جديدة قائمة بنفسها ،مثل المفهومات الاساسية للاخلاق والرياضيات .

ولكن بعض خلفائه ، لاسيما فى فرنسا ، مضوا بمذهبه الى أقصاه واعتبروا التمييز والحكم احساسات جزئية يحدثها فينا الحضور المشترك لاحساسات أخرى . وكان لوك قد قال ان العقل صحيفة بيضاء . أو لوح من الشمع خال من النقوش

عند الولادة ، فيما يتعلق بأى محتويات فكرية ، ولكنه مزود بنشاطات تمارس على المادة المتلقاة .

فأنكر خلفاؤه الفرنسيون هذه القوى وجعلوها أيضا مستمدة من الانطباعات المتلقاة .(١)

هذه الفكرة تبناها الاهتمام الجديد بالتربية ، لطريقة الاصلاح الاجتماعى فكما كان العقل فارغا فى البداية ، سهل صنع أى شىء منه ، بواسطة المؤثرات الصحيحة .

ولذا يذكر أن ( هلفسيوس ) أعلن ولعله أكثر الحسيين تطرفا وتماسكا أن التربية يمكن أن تصنع أى شىء . أى أنها كلية القدرة ، وقد وجدت التجربة الحسية فى مجال التعليم المدرسى دورها النافع مباشرة على صورة الاحتجاج على الاكتفاء بالتعلم من الكتب .

ولئن كانت المعرفة تأتى من انطباعات الاشياء الطبيعية فينا ، فمن المحال تحصيل المعرفة بدون استخدام الاشياء التى تنطبع فى العقل .

فالالفاظ وكل الرموز اللغوية لا تستطيع فى غياب امتثالات سابقة للاشياء يمكن أن تقترن بها ، أن تفيد أولا توصل شيئا سوى الاحساسات بشكلها ولونها ،

---

( ١ ) جون ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠

وهذا قطعا ليس ضربا من المعرفة جد تعليمي ، ولقد كان المذهب الحسي سلاحا طيعا جدا لمحاربة المذاهب والاراء القائمة كلية على التقاليد المرعية والسلطة . وعلى هذه الاعتبارات مجتمعة أقامت الحسية اختبارا أو امتحانا .

هناك ثلاثة أوجه رئيسية للنقص في النظرية التجريبية الحسية كفلسفة تربوية للمعرفة :

أ - القيمة التاريخية للنظرية انها نقدية :

تهدم المعتقدات الجارية في زمنها من العالم والمؤسسات السياسية وهي بذلك تعتبر أول أداة نقد هدام للعقائد الجامدة . ولكن العمل التربوي كما نعلم ، عمل بناء ، وليس عملا نقديا هداما ، والتربية لا تفترض استئصال العقائد القديمة من جذورها ومراجعتها . بل تفترض الحاجة الى بناء خبرة جديدة داخل العادات الفكرية السليمة بقدر الامكان ومن البداية .

فالمذهب الحسي غير ملائم لهذه المهمة البناءة ، والعقل أو الفهم يدل على الاستجابة للمعاني لا على الاستجابة لمنبهات مادية مباشرة . (١)

ب - مع أن الانطباع المباشر له مزية الاتصال المباشر بالاشياء :

الا أنه محدود المدى ، وأن التعرف على البيئة الطبيعية في الوطن يضفي الواقعية على الافكار المتعلقة بأجزاء الارض فيما وراء نطاق الحواس ، وهو أيضا وسيلة لاثارة الفضول الفكري .

---

(١) جون ديوي - المرجع السابق - ص ٢٤١

جـ - ان آراء المذهب التجريبي الحسي سيكولوجيا خاطئة تماما للنمو العقلي :

فالخبرة في الحقيقة مسألة نشاطلته ، غريزية ، واندفاعية ، في تفاعلها مع الاشياء . فما يختبره الطفل ليس صفة تلقاها في سلبية ، انطبعت فيه من جانب شيء ما ، بل هو الاثر الذي يتركه نشاط يقوم به من الامساك بالشيء وقذفه وطرقه وتخزينه ... الخ .

والأثر التالي للشيء في توجيه نشاطاته والواقع أن الفكرة القديمة عن الخبرة كمسألة عملية أصدق من الفكرة الحديثة القائلة أنها نوع من المعرفة بطريق الاحساسات واغفال العوامل الناشطة والحركة العميقة والجذور في الخبرة نقص فظيع في الفلسفة التجريبية التقليدية . وما من شيء أشد عداء للاهتمام وأكثر آلية من مشروع درس الاشياء الذي يتجاهل ويستعبد ما استطاع الميل الطبيعي لتعلم ما يتصل بخصائص الاشياء عن طريق الاستخدامات الممكنة لها ذلك بمحاولة صنع شيء ما بها .

الاطراد مقابل الثنائيـة :

نظرية "" ديوي "" في المعرفة تفترض الوحدة والاطراد ، بينما النظريات ، الاخرى تصرح أو توصي بانقسام أو تناقض أو فصل ، مما يطلق عليه اصطلاحا اسم (الثنائية) ، وقد اتضح أن مصدر هذه الانقسامات مرجعه الى الفواصل التي بين الطوائف والطبقات الاجتماعية ، كفواصل الغني والفقر ، والرجال والنساء والحاكمين والمحكومين .

ومؤدى هذه الفواصل أنه ليس هناك تعامل حر ،وبذلك تقوم انواع من الخبرات الفلسفية الحياتية لكل خبرة منها مادتها ،وهدفها ومعيار قيمها .

وكل حالة اجتماعية لا مناص من التعبير عنها بفلسفة ثنائية .

اذا أريد من الفلسفة أن تكون تعبيرا صادقا عن الخبرة ،فاذا تعددت الفلسفة هذه الثنائية لم يتسن لها ذلك الا بتجاوز ماهو موجود في الخبرة ، أى بارتفاعها الى مافوق الخبرة ومؤدى هذا أنها تجحد الثنائية اسما غير أنها تؤكدها فعلا .(١)

هناك مفاهيم متباينة متصارعة تنطوى عليها نظرية المعرفة :

التفاعل والتعارض بين المعرفة التجريبية والمعرفة العقلية الراقية :

المعرفة التجريبية ترتبط بالشئون اليومية ، وتخدم أغراض الفرد العادى الذى ليست لديه مساع فكرية متخصصة .

ويصل عمليا بين احتياجاته وبين البيئة المباشرة ،مثل هذه المعرفة قليلة القيمة ، تفتقر الى المغزى الثقافى ، أما المعرفة العقلية فالمفروض أنها شىء يلامس الحقيقة الواقعية بأسلوب فكرى أقصر ، وانها مطلوبة لذاتها وتنتهى الى بصيرة نظرية خالصة ،ولا يحط من قدرها تطبيقها فى السلوك .

---

(١) جون ديوى- المرجع السابق - ص ٢٩٦

هذه التفرقة تقابل اجتماعيا تلك التفرقة بين الذكاء الذى تستخدمه الطبقة المتعلمة البعيدة عن الاهتمام بوسائل العيش ، والفرق - فلسفيا - يدور حول التمييز الجزئى والكلى - فالخبرة تجمع بين جزئيات متفاوتة الانعزال . فلابد أن يتم التعرف على كل منها على حدة . أما (العقل) فيتناول الكليات : وبمبادىء عامة وقوانين وكلها فوق التفصيلات العينية .

ومقابل ذلك فى التربية نجد الفرض القائل :

(( ان على التلميذ أن يتعلم كثيرا من المعلومات المقررة بعينها ، وفى الوقت نفسه يجب أن يألف كمية معينة من القوانين والعلاقات العامة )) .

وكثيرا ما نجد أن الجغرافيا تعلم على الصورة الاولى كما نجد أن الرياضيات - فيما بعد أوليات الاعداد - تعلم على الصورة الثانية ، وهما تمثلان عالمين مختلفين من ناحية الاغراض العملية .

وهناك تناقض آخر ، يوحى به ما لكلمة " التعلم" من معنيين ، فمن جهة نجد أن التعلم هو (العلم) أى حاصل جمع ما هو معلوم ، على نحو ما نتلقاه من الكتاب وأهل العلم ، فهو شىء خارجى وتراكم للمعلومات على نحو ما يخزن المرء الاشياء المادية فى مخزن ، والحقيقة بهذا المعنى توجد جاهزة فى مكان ما .

والدراسة حينئذ هى العملية التى بها يسحب الفرد ما هو مخزون ، ومن جهة أخرى نجد " التعلم" يعنى شيئا ما يصنعه الفرد حين يدرس ، فهو مسألة ناشطة أو فعالة تؤدى شخصيا .

والثنائية هنا بين المعرفة لشيء خارجي ، أو كشيء موضوعي ، وبين المعرفة كشيء داخلي محض ، وذاتي ، ونفسي ، فهناك في أحد الجانبين مجموعة حقائق جاهزة وفي الجانب الاخر عقل جاهز مزود بملكة المعرفة ، ان عزم على استخدامها وهو ما يزهد فيه أحيان كثيرة .

والمقابل التربوي لهذه الثنائية هو التفرقة بين مادة الموضوع أو المادة الدراسية أو الطريقة . أما اجتماعيا فهذه التفرقة لها علاقة بجانب الحياة ، المعتمد على السلطة . وهو ذلك الجانب الذي يكون للافراد فيه حرية التقدم.[1]

## الايجابية والسلبية في المعرفة :

هذه ثنائية أخرى ، فالاشياء التجريبية والمادية البحتة ، كثيرا ما يفترض انها تعرف بطريق تلقي الانطباعات .

فالاشياء المادية تطبع نفسها على نحو ما في العقل أو توصل نفسها الى الوعي بواسطة أعضاء الحس .

أما المعرفة العقلية ومعرفة الاشياء الروحية فالمفترض على العكس ، أنها نابعة من نشاط يبدأ داخل العقل . وهو نشاط يجري بصورة أفضل اذا ما ظل بعيدا عن كل ما يمس الحواس والاشياء الخارجية .

---

( ١ ) جون ديوي - المرجع السابق - ص ٢٩٧

والتمييز أو التفرقة بين تدريب الحس وتدريبات العمل وبين الافكار التى تضمها الكتب ويتم اكتسابها بواسطة طاقة عقلية ذات ثمرة اعجوبية هو التعبير الصحيح فى مجال التربية عن هذا التمييز أو هذه التفرقة ، وهو تمييز يعكس أو يمثل اجتماعيا القسمة بين من يسيطر عليهم الاهتمام المباشر بالاشياء ، وبين من هم أحرار متفرغون لتثقيف أنفسهم .

هناك تعارض يقال أنه موجود فى الذهن والعاطفة .
الفكر يتجه الى الخارج نحو الحقيقة .
والعواطف تتجه الى الداخل نحو اعتبارات الربح والخسارة الشخصيتين

وهكذا نجد لدينا فى التربية ذلك التحسس المنظم أو المنهجى للاهتمام بالاضافة الى ضرورة اللجوء الى الممارسة - الى الثواب والعقاب لا صلة له بالموضوع كى تغذى الشخص الذى له الفعل ، يجب عليه أن يستخدم هذا العقل فى البحث عن الحقائق المراد معرفتها .

هكذا نلاحظ المربين لا يرغبون الالتجاء الى الاهتمام بينما هم يتمسكون بالحاجة للاعتماد على الامتحانات ونظمها ، والدرجات والترفيعات والجوائز.[1]

فيما يلى نورد تلخيصا للقوى التى تتجه الى جعل مفهوم الثنائية غير قائم على أساس سليم وتحل محله فكرة الاطراد :

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٢٩٨

(أ) أن تقوم الفسيولوجيا وما صاحب ذلك من تقدم السيكولوجيا "علم النفس" صلة النشاط العقلى بنشاط الجهاز العصبى ،فالمنح لا يتيح للنشاط المعنوى أن ينصب على أى موضوع فى البيئة - استجابة لمنبه حسى فحسب - بل ان هذه الاستجابة تحدد ماهو المنبه .

فالمنح هو الاله التى تقوم باعادة تنظيم مستمر للنشاط كى تحفظ عليه اطراده ،أى لتحدث التعديلات فى الاعمال المستقبلة بما يوافق المطلوب بسبب ماسبق عمله . ان النشاط الاعتباطى الذى لا تراكم فيه نحو ذروة معينة مما يجعله مطردا وتعاقبيا أو مركزا ،أن كل عمل سابق يمد الطريق لاعمال لاحقة ، بينما هذه الاعمال اللاحقة تتفق مع أو تحسب حساب النتائج التى سبق الوصول اليها وهذا هو أساس كل مسئولية .

وما من أحد أدرك مدى ما تنطوى عليه صلة المعرفة بالجهاز العصبى ، وصلة الجهاز العصبى بتكييف النشاط باستمرار ليواجه الشروط أو الظروف الجديدة ، يمكن أن يشك فى أن المعرفة لها صلة باعادة تنظيم النشاط ، بدلا من أن تكون شيئا منعزلا عن كل نشاط .

(ب) علم الحياة (البيولوجيا) مذهب التطور :

انما هو التركيز على اطراد الاشكال العضوية الابسط والاكثر تعقيدا وبزيادة تعقد النشاط نجد الذكاء يزداد بروزا ،لان لديه فسحة أكبر فى المستقبل يتوقعه ويخطط له .

وأثر هذا على نظرية المعرفة أنه يزيح الفكرة القائلة أن المعرفة نشاط متفرج أو شاهد لهذا العالم ، وهذه الفكرة التى تتمشى مع القول بأن المعرفة شيء تام فى ذاته .

فمذهب النمو أو التطور العضوى يعنى أن الكائن الحى جزء من العالم يشارك فى تقلباته ، ويشكل أنشطته الخاصة وفقا لذلك .

وان كان الكائن الحى والمختبر مشارك صميم فى أنشطه العالم الذى ينتمى اليه فالمعرفة اذن نوع من المشاركة وهى ثمينة بقدر ماهو فعال .

## نحو الطريقة التجريبية :

من حيث هى طريقة لتحصيل المعرفة واليقين بأنها معرفة وليس ظنى أو رأى - وهى طريقة الاكتشاف والاثبات معا ، هى القوة الباقية العظمى لاحداث تعديل فى نظرية المعرفة . وللطريقة التجريبية جانبان :[1]

(( الاول ))

يعنى أنه ليس لنا الحق فى تسمية أى شيء معرفة ، الا حينما يكون نشاطنا قد أحدث بالفعل تغييرات مادية فى الاشياء ، تتفق مع مفهومنا عنها ، وتؤكده .

---

( ١ ) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٢٩٩

وبدون هذه التغييرات المعينة تكون اعتقاداتنا مجرد فروض ونظريـــــات ومقترحات وتخمينات ، ويجب النظر اليها بتردد ووضعها قيد التجربة واعتبارها مؤشرات الى تجارب تجرى .

((الثانى ))

ان الطريقة التجريبية فى التفكير تعنى أن التفكير نافع ـ نافع الى المـــدى الذى يكون فيه توقع النتائج المستقبلة على أساس الملاحظة التامة الدقيقـــة للظروف الراهنة .

يمكن أن نقول أن التجريب ليس معادلا لرد الفعل الاعمى ، انما هـــو عامل لا مفر منه فى سلوكنا كله ، ولكنه ليس تجريبيا الا اذا لوحظت النتائج واستخدمت لعمل تنبؤات وخطط لمواقف ماثلة فى المستقبل .

وكلما زاد ادراك معنى الطريقة التجريبية زاد تجسيد محاولتنا استنبـــاط أسلوب معين لتناول الموارد المادية والعقبات التى تواجهنا .

الطريقة التجريبية العلمية تعكس تجربة أفكار ، لذا عندما تفشل عمليـــا أو فوريا تظل على ذلك طريقة فكرية ومثمرة . لاننا نتعلم من أخطائنا حينما تكون محاولات مصحوبة بأعمال جدية للفكر . والطريقة التجريبية جديدة من حيث هـــى مورد علمى ، أى كوسيلة منظمة أو منهجية للحصول على المعرفة ، وان كانت قديمة قدم الحياة من حيث هى حيلة عملية . ولم يزل الناس ميالون الى ترك العقائــد الجامدة التى جمدتها السلطة ، لكونها تريحهم من عناء التفكير ومسئولية توجيـــه

النشاط بواسطة التفكير .

بمرور الزمن لابد لنظرية المعرفة أن تستمد من الممارسة وهى الانجح في صنع المعرفة . وعندئذ ستستخدم هذه النظرية لتحسين الطرق الاقل منهما نجاحا .(١)

مدارس الطريقة :

هناك نظم فلسفية لها مفاهيم متغايرة متميزة لطريقة المعرفة :

١ - المذهب المدرسى
٢ - المذهب الحسى
٣ - المذهب العقلى
٤ - المذهب المثالى
٥ - المذهب الواقعى
٦ - المذهب التجريبى
٧ - المذهب البراجماتى ... الخ

ثم نقد الكثير من هذه المذاهب عند مشكلة تربوية ما ، ونحن معنيون هنا بهذه المذاهب من حيث احتوائها على انحرافات عن الطريقة التى ثبت أنها أشد الطرق فاعلية فى تحقيق المعرفة .

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٣٠١

ذلك أن النظر فى الانحرافات قد يزيد توضيح المكان الحقيقى للمعرفة فى الخبرة .

ان وظيفة المعرفة أن تجعل خبرة ما متاحة بحرية فى خبرات أخرى ، وكلمة (بحرية) تعين الفرق بين مبدأ المعرفة ومبدأ العادة ، وهناك جانبان

١ ) الملموس أكثر من الآخر هو تزايد القدرة على السيطرة ، فما لا يمكن تدبيره مباشرة يمكن تدبيره بصورة غير مباشرة ، فالمعرفة الصحيحة لها كل القيمة العملية المرتبطة بالعادة الفعالة .

٢ ) تزيد المعنى ، والمغزى المختبر ، المرتبط بالخبرة حينما تقوم المعرفة بدور فى تحديد خبرة فهناك جزاء عقلى .

ان محتوى أو مضمون المعرفة هو ما حدث ، وما يعد منتهيا ، نجد أن مرجع المعرفة هو المستقبل أو التطلع الى الامام ، فالمعرفة تقدم وسيلة فهم أو اضفاء المعنى على مالم يزل جاريا وما سيتم عمله .

ولا يهم أن تكون مادة الموضوع مختلفة تماما ما دام لها نفس التنظيم المتناغم اننا نفترض اطراد الماضى فى المستقبل ، ولا نستطيع أن نتصور العالم الذى تكون معرفة الماضى فيه غير معينة على توقع المستقبل واضفاء المعنى عليه.[١]

---

( ١ ) جون ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٣٠٣

بيد أن الكثير من المدارس الفلسفية للطريقة التى أشرنا اليها عدلت هذا الجهل أو التجاهل الى انكار ، فهى تعد المعرفة شيئا تاما فى ذاته بصرف النظر عن كونها متاحة فى المتناول مالم يحدث بعد ، هذا الاغفال ، وهو الذى يعيب هذه المدارس ، ويجعلها تبدو قصيرة للطرق التربوية التى يدينها المفهوم الوافى للمعرفة . فما لم تكن للمعرفة ثمرة فى حياة المرء فهى أشبه بتعلم شىء عن بلد وهمى .

ويجب ألا ننسى أن الطريقة المدرسية ، كانت لها فى الزمن الذى تمت فيه صلة بالظروف أو الاحوال الاجتماعية ، فقد كانت طريقة تنظيم واضفاء صيغة عقلية على المادة المقبولة من السلطة .

هذه المادة الدراسية كان لها معنى كبير ، حتى أنها بثت الحياة فى ما فرض عليها من تحديد أو تعريف أو تنسيق أو مذهبه ، أما فى الظروف الحالية فالطريقة المدرسية تعنى شكلا للمعرفة ليس له صلة خاصة أى مادة دراسية معينة وتتضمن اقامة التعريفات والاقسام والتصنيفات لمجرد اقامتها وبدون هدف فى الخبرة . وما القول بأن الفكر نشاط محض له اشكاله الخاصة التى تطبق على أى مادة . وهو القول الذى يكمن وراء مايسمى ( المنطق الصورى ) انما هو الطريقة المدرسية معممة .

ان مذهب الانضباط الصورى فى التربية هو المقابل الطبيعى ( للطريقة المدرسية ) أما النظريتان المتفارقتان فى طريقة المعرفة واللتان يطلق عليهما

اسم ( المذهب الحسي والمذهب العقلي ) متقابلان التركيز القصري على الجزئي والكلي . أو الخاص والعام أو على الوقائع المجردة من جانب ، العلاقات المجردة من جانب آخر . وفي المعرفة الواقعية توجد وظيفة للتخصيص ووظيفة للتعميم تعملان معا ،فانه ما دام موقف ما مبلبلا ،فلابد من توضيحه ولا بد من حله أو فكه الى تفصيلاته المحددة بدقة بقدر الامكان .

والوقائع والخواص المعينة المحددة تشكل عناصر المشكلة ،وهي تعين وتحدد عن طريق أعضائها ،ومن حيث تكوينها للمشكلة يمكن أن نطلق عليها اسم الجزئيات لانها أجزاء . ولما كانت مهمتنا اكتشاف صلاتها فيما بينها واعادة تجميعها فهي مجرد جزئيات تحتاج الى اضفاء المعاني عليها لانها على ماهي عليه بدون معنى .

والواقع أن كل ما نريد معرفته ولم نستنبط معناه بعد ،يلوح لنا شيئا جزئيا ،فكل واقعه هي عامة اذا استخدمناها لاضفاء المعنى على عناصر خبرة جديدة وليس العقل سوى القدرة على استعمال خبرة سابقة لادراك معنى الخبرة الجديدة .

والمرء ليس عاقلا الا بقدر استعداده العادي لرؤية حدث يستدعي حواسه لا باعتباره شيئا منعزلا ، بل من حيث صلاته بالخبرة المشتركة للجنس البشري .(١)

---

(١) جون ديوي - المرجع السابق - ص ٣٠٤

وبدون الجزئيات من حيث هى متميزة عن طريق الاستجابات الناشطة للحواس لا وجود لمادة المعرفة ولا للنمو الفكرى .

وبدون وضع هذه الجزئيات فى سياق المعانى التى تسبح فى خبرات أوسع للماضى ، وبدون استعمال العقل أو الفكر تظل الجزئيات مجرد اثارات أو تهيجات والخطأ المتشابه للمدرستين الحسية والعقلية ، أن كلا منهما يفوتهما أن نرى أن وظيفة التنبيه الحسى والتفكير مرتبطة باعادة تنظيم الخبرة فى تطبيق القديم على الجديد ، وبذلك نحافظ على اطراد الحياة وتماسكها .[1]

ان المعرفة بمعناها الدقيق كشىء تمتلكه انما تتكون من مواردنا الفكرية أى من كل العادات التى تجعل فعلنا ذكيا .

ولا يدخل فى تكوينها الا ما انتظم فى استعداداتنا ، بحيث تتيح لنا تكييف البيئة وفقا لحاجاتنا . . وتكييف أهدافنا ورغباتنا وفقا للوقت الذى نعيش فيه .

فالمعرفة ليست مجرد شىء نعيه الان ، بل تتكون من الاستعدادات التى تستخدمها عمدا أو عن وعى لفهم ما يحدث لنا الان .

والمعرفة من حيث هى فعل أو عمل هى ابراز بعض استعداداتنا الى نطاق الوعى بقصد تبديد حيرة ما ، عن طريق فهم الصلة بيننا وبين العالم الذى نعيش فيه .

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٣٠٥

ومن المسائل الفلسفية والنفسية التي اهتم بها "" جون ديوى"" والتي لها صلة وثيقة بنظرية (المعرفة) هي مسألة (التفكير) وقد عالج ""ديوى"" هذه المسألة في كتابه المعروف باسم "كيف نفكر How we think "

ففي هذا الكتاب قد حاول جون ديوى أن يحلل الشروط والظروف التي يقوم (العقل) تحتها بالتفكير .

وهو يرى أن ( التفكير ) لا يتم في فراغ ولا في انعزال عن شئون الحياة ، ولكنه يتم في بيئة اجتماعية وثقافية مليئة بمميزاتها ودوافعها التي تحمل الفرد على التفكير ليتغلب على مشاكل الحياة التي تواجهه ، وليعيد لنفسه التوازن والتكيف النفسيين .

وهو يرى من جهة أخرى أن (التفكير ) لا يحدث نتيجة للتأمل البحت ، كما كان يعتقد ( أفلاطون ) وغيره من الفلاسفة المثاليين ، ولكنه يحدث نتيجة لنشاط الفرد وتفاعله مع بيئته ، ونتيجة لوجود مشكلة يرغب الفرد في التغلب عليها وايجاد الحل المرضي لها ليحقق لنفسه التكيف والسرور .[1]

**التفكير المنطقي في نظر ديوى :**

يسير في الخطوات الخمس التالية :

---

(١) د . عمر محمد الشيباني - المرجع السابق - ص ٣٤٤

الخطوة الاولى :

ان يحدث لدى الفرد شعور بصعوبة أو بمشكلة أو بحاجة ما .

الخطوة الثانية :

ان يأخذ العقل في دراسة الموقف وتحليل عناصره حتى يصل الى قلب المشكلة ويحدد أهم عامل يكمن وراءها .

الخطوة الثالثة :

أن تستعرض الاقتراحات والفروض المختلفة كحلول ممكنة للمشكلة .

الخطوة الرابعة :

ان يختبر كل فرض أو كل حل مقترح للمشكلة ، وان يتأكد من وجاهته أو عدمها .

ثم الحل الذى يرى فيه أنه أعظم الحلول احتمالا يقدم للتجربة .

الخطوة الخامسة :

أن تؤدى الملاحظة الدقيقة والتجربة الى قبول أو رفض الفرض أو الحل المقترح .(١)

فيما سبق استعرضنا بعض آراء جون ديوى حول "المعرفة" ونظرية المعرفة وسنكتفى بهذا القدر الذى أرجو أن تكون فيه الفائدة .

-•-

---

(١) جون ديوى – المرجع السابق – ص ١٣٥ – ١٣٦

# الفصل الخامس

## رأى ديوى فى الأخلاق (والقيم الأخلاقية)

- التقابل بين الواجب والاهتمام أو المصلحة .
- الذكاء والطبع والخلق .
- ماهو اجتماعى وماهو خلقى .
- مراحل النمو الأخلاقى فى نظر « جون ديوى » .

## رأى ديوى فى الاخلاق و ( القيم الاخلاقية )

النظرية الاخلاقية عند "جون ديوى" John Dewey ليست بلسما يوضع على كل جرح أخلاقى ،فلا يلبث أن يشفيه ،وليست كتابا يحتوى مفهومات أخلاقية محددة يمكن أن ينتقى منها الانسان ما يريد لما يرغب ويرجو ويريد من المواقف والمشاكل ، فيحل بها مشكلاته فى سهولة ويسر . ولكن هذه النظرية هى طريقة قبل كل شىء .

مثلا ( الاخلاق ) أو القيم ( الاخلاقية ) فى الاسلام تعد دستور حياة قال سبحانه وتعالى فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم (( وانك لعلى خلق عظيم )) وذكرت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها فى معرض حديثها رضى الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ( كان خلقه القرآن ) .

الاسلام يحث على مكارم الاخلاق ،والمسلمون الاوائل فى كثير من أجزاء العالم انما نشروا الاسلام بحسن أخلاقهم وتمسكهم بشريعتهم وتمثلهم الاخلاق الاسلامية السامية .

بعد هذه النبذة القصيرة جدا عن أهمية ودور (الاخلاق ) فى الاسلام أعود من ذى بدء الى النظرية الاخلاقية عند "ديوى" أنها اتجاه لمعالجة

المشكلات الاخلاقية ، تمكن صاحبها من أن يختبر الاحكام الخلقية علميا .

فاذا كان ميدان العلوم الطبيعية له نمط خاص من البحث وله طريقته الخاصة به ، فهل في الامكان استخدام هذه الطريقة العلمية في ميدان الاحكام الخلقية ؟

وهل اذا استعملت هذه الطريقة في الميدان الخلقي تضمن لنا حل مشكلاتنا الخلقية ؟

أما أفكاره المتصلة بالقيم الاخلاقية فان من أهمها "" ايمانه بأن القيم الاخلاقية هي أمور انسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الانسان على ظهر هذه الارض ، وليست أخلاقا متعالية تفرض على الانسان فرضا من جهة عليا""" بهذا الاعتقاد يخالف "" جون ديوى"" الاديان السماوية والنظريات الاخلاقية القديمة ، التي تقوم على الاعلاء من شأن الحياة الروحية ، وعلى فرض معايير أخلاقية تعد مثلا عليا ينبغى على الانسان أن يتسامى اليها ويتمثل بها ، وعلى أن سعادة المرء هي في صفاء النفس وتزكية العقل . وهو يؤمن بأن المصدر الاساسي للقيم الاخلاقية هي الخبرة والتجربة .

ان الفرد عنده عندما يكتسب قيمة الاخلاقية وضميره الاخلاقي عن طريق خبرته وتفاعله مع البيئة المحيطة به مثلها في ذلك مثل بقية معارفه ومهاراته وعاداته واتجاهاته التي يكتسبها هي الاخرى عن طريق الخبرة.(١)

---

(١) د . عمر محمد الشيباني - تطور النظريات والافكار التربوية - ص ٣٤٦

ويتصل بهذا المعتقد ، معتقد آخر قريب منه وهو ايمان ديوى بأن القيم الأخلاقية أو الاخلاقيات ، انما هى اخلاق اجتماعية ، لا تنبع من الذات أو الضمير أو العقل ، غير أنها انما تكتسب نتيجة لتفاعل الفرد وأعماله .

القيم الاخلاقية تكون أخلاقية اذا ما ساعدت الفرد الانسانى على النمو الكامل وساهمت فى النهوض بالمجتمع ، وحل مشاكله ، وعلى تحقيق المصلحة العامة وفى ايمان "ديوى" بأن الاخلاق ظاهرة اجتماعية وبأنها من باب الدافع لا من باب ما ينبغى أن يكون كرد صريح على الاخلاقيات القديمة ، التى تقوم على الهروب من عالم الواقع الى عالم المثال وعالم الزهد ، أو على أساس الانغماس فى الملذات ، والمبالغة الواقعية والمادية .

ويترتب على الايمان بأن الاخلاق ظاهرة اجتماعية "" أننا اذا شئنا تحسين الاخلاق فعلينا أن نعدل النظم الاجتماعية وأن نحسن تربية الفرد الانسانى "" وفى ذلك يقول جون ديوى (( اذا كانت موازين الاخلاق منحطة فذلك ناشىء من نقص التربية التى يتلقاها الفرد فى تفاعله مع بيئته الاجتماعية ))[1]

الاحكام والقيم الاخلاقية فى نظر (ديوى) ليست مجرد انطباعات فردية ذاتية ولكنها أمور موضوعية تخضع للاختبار والتقييم ، بل والتعديل ان اقتضى الامر ذلك ، وتطبق عليها الطريقة العلمية كما تطبق على أية ظاهرة طبيعية .

---

(١) د . احمد فؤاد الاهوانى - جون ديوى - ص ١٢٥

وتظهر هذه الموضوعية واضحة فى المبادىء التى تقوم عليها الديموقراطية كالعدل - والمساواة - وكرامة الانسان ، واحترام شخصيته - وحريته ، الى غير ذلك من المبادىء الديموقراطية التى تظهر فيها الموضوعية وعدم التأثر بالعنصر الذاتى .

وتطبيقا منه لمبدأ ( الواحدية ) فى مجال القيم الاخلاقية فانه أنكر كثيرا من التقسيمات والثنائيات والتمييزات التقليدية ، وذلك مثل التمييز بين ماهو عالم مثالى أخلاقى وبين ماهو عالم واقعى ، والفصل بين ماهو دنيوى أرضى وبين ماهو سماوى ، وبين ما يتعلق بقيم ومكاسب مؤقتة هادئة زائلة ، وبين ما يتعلق بأشياء وقيم أبدية خالدة ، والفصل بين الطبيعة الجسمية والطبيعة الروحية للانسان .

لقد أنكر " ديوى " كل هذه التقسيمات الموجودة فى الفلسفات التقليدية لانها فى نظره تخالف الواقع المتحد فى جميع جوانبه والمتوقف بعضه على البعض الآخر .(١)

فى كتاب " ديوى " المعروف والموسوم (( بالديموقراطية والتربية )) فى الفصل السادس والعشرون والذى يتحدث فيه " ديوى " عن نظريات الاخلاق يقول (( ان الاخلاق الداخلية الخالصة هى أخلاق " حسنة النية " أو الاستعداد الطيب بصرف النظر عما يتجم عنها ، أو ما يؤدى اليه بطبيعة الحال الى رد فعل )) .

---

(١) د . عمر محمد الشيبانى - المرجع السابق - ص ٣٤٧

هذا ما يعرف عادة اما باسم "مذهب اللذة الحسية" واما باسم مذاهب اللذة الحسية ، واما باسم مذاهب "النفعية" .

وقيل فيها ان المهم خلقيا ماهو بداخل وعى الانسان ، بل ما يفعله ، أى العواقب التى تصدر عنه ، والتغييرات التى يحدثها .

وقد هوجمت الاخلاق الداخلية - أو الباطنية - من حيث أنها عاطفية ، وتحكمية وجامدة وذاتية ، لانها لا تبيح للناس توقير وحماية أى عقيدة جامدة توافق مصلحتهم الذاتية ، أو أى نزوة تخطر بالمخيلة بأن يسموها حدسا أو الهاما أو مثلا أعلى للضمير ، فالنتائج أو السلوك هما ما يعتد به ، لانهما مقياس الخلقية الوحيد .

الخلقية العادية ، خلقية قاعة الدرس ، من المرجح أن تكون حلا وسطا ، غير متماسك بين هاتين النظرتين فمن جهة نجد مبالغة فى قيمة حالات شعورية معينة . فالشخص يجب أن يكون ، " حسن النية " .

فاذا كانت مقاصده حسنة ، ولديه الوعى العاطفى الصحيح ، فقد يعطى من النتائج الكاملة لسلوكه ، ولكن بما أنه هناك أشياء معينة لابد من عملها لمواجهة راحة ومتطلبات الاخرين ، وبالتالى متطلبات وراحة النظام الاجتماعى عموما . لذا نجد اننا معرضون لالحاح كبير على صنع أشياء معينة ، بصرف النظر عن اهتمام الشخص بصنعها أو اشتغال ذكائه بها .

فلابد له من بلوغ هذه الغاية ، وتكون عادات معينة قد تكون غامضة المرمى وعليه أن يتعلم ضبط النفس بالاضافة الى ذلك .

هذه التعاليم تؤخذ على محمل التركيز على الفعل الملموس بصورة مباشرة بصرف النظر عن روح التفكير والرغبة ،وبصرف النظر عن أثر ذلك في افعالهم الاقل ظهورا .

**التقابل بين الواجب والاهتمام أو المصلحة :**

"" المصلحة الخاصة "" مالم توجد مصلحة أو اهتمام بالشيء أو الفكرة فلن تكون هناك قوة دافعة . حتى ان ادعى المرء أنه يعمل بناء على مبدأ الاحساس بالواجب ،فهو في الواقع يعمل لان في العمل " شيء ما " لمصلحته فالعمل عن مصلحة يعني محاولة احراز مزيد من الممتلكات للذات ، سواء من طريق الشهرة ،أو الاستحسان من قبل الاخرين أو السلطة عليهم أو المنفعة المادية أو اللذة .

ورد الفعل من هذه النظرة ومن حيث هو ساخر للطبيعة البشرية ، يؤدي الى القول بأن من يعمل بدون مصلحة ذاتية على الاطلاق .

غير أنه من زاوية غير متحيزة يبدو واضحا أن المرء لابد أن يكون ذا اهتمام بما يفعله والا لما فعله .

فالطبيب الذى يخدم مرضى الاوبئة المحجرية ، معرضا لخطر يكاد يكون محققا يحيق بحياته ،لابد أن يكون مهتما بالاداة الفعالة لمهنته ،و أن يكون أشد اهتماما بذلك من اهتمامه بسلامة حياته البدنية ، بيد أنه من التشويه للوقائع أن نقول : "" ان هذا الاهتمام انما هو قناع للاهتمام بشىء آخر يحصل عليه من مواصلة خدماته المعتادة "" . كالمال أو السمعة الحسنة أو الفضيلة ، وأن ما يصنعه انما هو وسيلة لغاية أنانية لاحقة .

وفى اللحظة التى تعترف فيها بأن الذات ليست شيئا جاهزا ،بل هى شىء فى تشكل متصل أو مطرد عن طريق اختيار الفعل ،يتضح الموقف كله .

فاهتمام المرء بالاستمرار فى عمله ،برغم الخطر الذى يحدق به ،وعلى حياته معناه ان ذاته موجودة فى هذا العمل ،حتى اذا تخلى فى النهاية عن عمله وأثر سلامته الشخصية أو راحته البدنية ،معنى ذلك أنه يفضل أن يكون ذلك النوع من الذات والخطأ يكمن فى احداث فصل بين الاهتمام وبين الذات ، وافتراض أن الذات هى الغاية التى ليس الاهتمام بالاشياء والافعال والاخرين الا مجرد وسيلة اليها . والاهتمام معناه الهوية الناشطة أو المتحركة التى توجد بين الذات وبين موضوع ما .وعدم اللانهائية ليس معناه عدم الاهتمام بما يصنع ولا عدم الذاتية ،التى تعنى نقص الهمة والطبع .[1]

---

(١) جون ديوى- الديموقراطية والتربية -ص ٣١٢

أ ) ( الذات السمحة أو الكريمة ) تطابق بين نفسها - عن عمد أو عن وعي - وبين المدى الكامل للعلاقات المتضمنة في نشاطها .

ب ) ( تعيد تكيّف وتوسيع أفكارها الماضية ) عن نفسها لتدخل فيها عواقب جديدة كلما أدركت هذه العواقب .

فالطبيب عندما بدأ حياته العملية لعله لم يكن قد فكر في الوباء ، ولعله لم يكن قد طابق بين نفسه وبين الخدمة في مثل هذه الظروف ، بيد أنه اذا كانت له ذات نامية بصورة سوية أو ناشطة ، أي فعالة ، فانه يجد أن مهنته تنطوي على مثل هذه المخاطر ، فيعتنقها عن طيب خاطر ، كأجزاء متكاملة لنشاطه أو فاعليته .

والذات الاكبر التي تعني احتواء العلاقات بدلا من رفضها ، متطابقة مع الذات التي تتسع كي تعتنق روابط لم تكن منظورة أو متوقعة من قبل .

وفي هذه الازمات التكيفية ، يمكن أن يوجد صراع محول بين (المبدأ و المصلحة) أو ( الاهتمام ) .

العمل عن مبدأ في مثل هذا الطارىء ليس هو العمل عن مبدأ مجرد . . أو عن الواجب . . اطلاقا ، بل أن تعمل بناء على مبدأ سياق الفعل ، بدلا من العمل بناء على الظروف التي صاحبته ، ان مبدأ سلوك الطبيب هو روح هذا السلوك وهدفه الحسي ، وهو العناية بالمرضى .

فالمبدأ ليس ما يبرر نشاطا ما ، لان المبدأ ليس الا اسما آخر لاتصال

أو اطراد النشاط ، فاذا كان النشاط كما يبدو في عواقبه غير مرغوب فيه ، فالعمل على مبدأ من شأنه أن يزيد من شره ، والمرء الذى يزهو بأنه يعمل بناء على مبدأ من المرجح أن يكون أمرا يصر على انقاذ مشيئته ، من غير أن يتعلم من الخبرة ماهو السبيل الامثل ، ويتوهم أن مبدأ مجرد تبرير مسار فعله من غير أن يعترف أن هذا المبدأ بحاجة الى تبرير .[1]

## الذكاء والطبع و الخلق :

من المفروض أن معرفة الاخرين شيئا يقضي بالمرء الى عمل ما يكسب به استحسان الاخرين الذين يعرفونه بأعمال معينة . . أو على الاقل لاعطاء الاخرين الانطباع بأنه يتفق معهم .

وليس هناك ما يدعو للقول بأن هذه المعرفة ينبغى أن تقضى الى المبادأة والولاء الشخصيين ازاء المعتقدات المعزوة اليهم .

يكفى للاغراض التربوية أن تلاحظ الخواص أو الصفات المختلفة التى يغطيها مصطلح المعرفة ، ونتأكد أنها معرفة مكتسبة بطريق مباشر من خلال مقتضيات الخبرة التى تؤثر فى السلوك من طرق لها وزنها أو مغزاها . فاذا تعلم تلميذا أشياء من الكتب لانها ذات صلة بدروس المدرسة ، ولتسميع ما تعلمه عند ما ينادى على اسمه فالمعرفة عندئذ سيكون لها تأثير على بعض سلوكه أى على تكرير أقوال معينة ، بناء على طلب الغير .

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٣١٥

ولا غرابة في أن مثل هذه المعرفة ينبغي ألا يكون لها كبير تأثير في حياته خارج المدرسة ، ولكن هذا ليس سببا في التفريق بين المعرفة والسلوك .

ولتقدير هذا النوع من المعرفة يمكن أن يقال عن المعرفة المرتبطة بتخصص معزول وتقني ، فهي تعدل العمل في حدودها الضيقة فحسب .

والحقيقة أن مشكلة التربية الخلقية في المداوس هي مشكلة ( كفالة المعرفة ) أي تلك ( المعرفة ) المرتبطة بنظام الاندفاعات والعادات .

فاستخدام أي واقعة معروفة يتوقف على ارتباطاتها ، فمعرفة الديناميت بالنسبة لمحطم الخزائن بقصد سرقة مافيها قد تكون متطابقة من حيث الصيغة اللفظية مع معرفة الكيميائي بها .. ولكنها في الواقع مختلفة عنها - فهي مرتبطة بأهداف وعادات مختلفة - ولذا فهي ذات أهمية مختلفة أو معنى مختلف .

أن دراسة التاريخ والجغرافيا ثم المعرفة المنظمة علميا مبنية على أساس فكرة المحافظة على الارتباط الحيوي بين المعرفة والنشاط .. فما يتم تعلمه واستخدامه في عمل ذي هدف ، وينطوي على التعاون مع الاخرين ، فهو معرفة خلقية ، سواء كان منظور اليها هكذا أم لا .. لانها تبني اهتماما اجتماعيا ، وتمنح الذكاء المطلوب لجعل هذا الاهتمام فعالا في مجال الممارسة. (١)

---

( ١ ) جون ديوي - المرجع السابق - ص ٣١٦

ان دراسات المنهج تعد وسائل للتعريف بالقيم الاجتماعية ،لمجـــرد أنها تمثل عوامل معيارية فى الحياة الاجتماعية .

أما من حيث أنها مجرد دراسات مدرسية فاكتسابها ليست له الا قيمـــة تقنية ، واذا تم اكتسابها فى ظروف تحقق فيها مغزاها الاجتماعى ، غـــذت الاهتمام الخلقى ونمت البصيرة ، وفضلا عن هذا فان خواص العقل خلقية فـــى ذاتها ، فتفتح العقل والاقبال على العمل بكل همة ونشاط واخلاص ، واتســـاع فى الافق واجتهاد ،والاضطلاع بالمسئولية عن تنمية الافكار المقبولة ،كل هـــذه سمات خلقية .

وعادة المطابقة بين السمات الخلقية المميزة وبين الانقياد الخارجـــى للوصايا التسلطية قد تؤدى بنا الى تجاهل القيمة الخلقية النظرية لهذه الاتجاهات الفكريـــة .

بيد أن هذه العادة نفسها تميل الى النزول بالاخلاق الى مستوى الروتـــين الآلى فى حين نجد لهذا الاتجاه نتائج خلقية ،نجد النتائج غير مستطابـــة خلقيا ، ولا سيما فى مجتمع ديموقراطى ،حيث يتوقف الكثير على الاستعداد أو الميل الشخصى .

## ماهو اجتماعى وماهو خلقى :

ماسبق ذكره ينظر الى الاخلاق نظرة مفرطة فى الضيق ، أما أن تضفى عليها مسحة عاطفية من الطيبة المسرفة ، بدون الرجوع الى القدرة الفعالة على عمل ماهو مطلوب اجتماعيا .

وأما بفرط التركيز على العرف والتقاليد بما يحصر الاخلاق فى قائمة من الاعمال المحددة ، والواقع أن الاخلاق من الرحابة بقدر ماهى أعمال متصلة بعلاقتنا بالغير ، وهذا تنطوى فيه كل أفعالنا ، حتى ولو لم يخطر ببالنا أثرها الاجتماعى لحظة القيام بها ، فكل عمل ، بناء على مبدأ العادة ، يعدل الاستعداد أو الميل ، ويقيم نوعا من الاتجاه أو الرغبة .

من المستحيل أن نتنبأ متى يكون للعادة التى قويت بهذا العمل تأثير مباشر وملحوظ مع ترابطنا الاجتماعى بالآخرين .

وبعض سمات الطبع لها صلة واضحة بعلاقاتنا الاجتماعية ، بحيث نصفها بأنها " خلقية" بالتأكيد ، كالصدق ، والامانة ، والعفة ، والدماثة ... الخ ...

ولكن هذا لا يعنى سوى أنها ذات أهمية رئيسية بالقياس الى الاتجاهات الاخرى ، أى أنها تحمل معها اتجاهات أخرى ، فهى خلقية بمعنى مؤكد قوى لا لانها منعزلة ومانعة ، بل انها متصلة اتصالا وثيقا بآلاف الاتجاهات الاخرى التى لا تعترف بها صراحة ، ولعلها أيضا بدون أسماء ، واطلاق اسم

الفضائل عليها فى عزلتها أشبه باعتبار الهيكل العظمى جسما حيا .[(١)]

لا شك أن العظام لها أهميتها ، ولكن هذه الاهمية لانها تدعم أعضاء الجسم الاخرى ، بحيث تجعلها قادرة على النشاط الفعال المتكامل .

وهذا بعينه ما يصدق على خصائص الطبع التى نطلق عليها اسم الفضائل فالاخلاق تتعلق بالطبع بأسره ، والطبع بأسره هو الانسان بكل مكوناته ومظاهره العينية ، وامتلاك الفضيلة لا يعنى أن تكون لك بضع سمات دون سواها ، بل معناه أن يكون المرء بصورة كافية ، قادر على أن يصير أو يصبح عن طريق الارتباط الاجتماعى بالاخرين فى كل مهام الحياة .

ان الخاصتين الخلقية والاجتماعية للسلوك متطابقتان فيما بينهما - غير أن الخطر الذى يهدد العمل المدرسى هو غياب الظروف التى تجعل التشرب بالروح الاجتماعى ممكنا ، ذلك أن هذا الروح الاجتماعى لا يمكن أن يكون حاضرا بفاعلية الا عندما توجد ظروف أو شروط معينة .

أ - يجب أن تكون المدرسة نفسها حياة اجتماعية بكل ما تتضمنه :

ولا يمكن تنمية الادراكات والاهتمامات الاجتماعية الا فى وسط اجتماعى صحيح ، حيث يوجد أخذ وعطاء فى بناء خبرة مشتركة . وبذلك تتكون جماعة اجتماعية ، مصغرة تكون الدراسة والنمو فيها معرضين للخبرة المشتركة ، بدلا من أن تكون معزولة عن الحياة ، ومكان لتعليم الدروس .

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٣١٧

فالملاعب والورش وقاعات العمل والمعامل لا توجه ميول الشباب الناشطة الطبيعية فحسب ،بل تتضمن التفاعل ،والاتصال ، والتعاون ، وهذه مجتمعة توسع ادراك الروابط .(١)

ب ـ التعليم في المدرسة ينبغى أن يكون متصلا مع التعليم خارجها ومتفاعلا مع المجتمع الخارجى :

ينبغى أن يوجد تفاعل حر بين الاثنين ، ولا يمكن أن يتم هذا الا عندما تكون هناك عدة نقاط للاتصال بين اهتمامات أحدهما الاجتماعية واهتمامات الاخر الاجتماعية ،لان غياب البيئة الاجتماعية التى يعد التعلم من حاجاتها ، هو السبب الاساسى فى انعزال المدرسة ،وهذا الانعزال يجعل المعرفة المدرسية غير قابلة للتطبيق على الحياة وعقيمة من حيث تكوين الطبع أو الخلق .

ان النظرة الخلقية الضيقة الى الاخلاق مسئولة عن الفشل فى معرفة أن كل الاهداف والقيم المنشودة فى التربية خلقية بذاتها ،فالانضباط ،والنمو الطبيعى والثقافة ، والفاعلية الاجتماعية ،سمات خلقية ، وعلامات على أن الشخص عضو قيم فى ذلك المجتمع الذى من شأن التربية أن تعمل على تقدمه .

هناك قول مفاده (( أنه لا يكفى أن يكون المرء صالحا ، بل يجب أن يكون صالحا لشىء ما )) وهذا ((الشىء ما )) هو الذى يجب أن يكون

---

( ١ ) جون ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٣١٩

المرء صالحا له هو القدرة على الحياة كعضو اجتماعي ،بحيث أن ما يحصل عليه من الحياة مع الاخرين يتوازن مع مايسهم به ،وما يأخذه ،وما يعطيه ككائن بشري ، أي ككائن ذي رغبات وعواطف وأفكار ليس ممتلكات خارجية ، بل اتساع وتعميق للحياة الواعية ،وليس الانضباط ،والثقافة والفاعلية الاجتماعية ، والترهف الشخصي وتحسن الطبع ، سوى أوجه لنمو القدرة نموا نبيلا على المشاركة في خبرة متوازنة .

والتربية ليست مجرد وسيلة ، بل ان التربية هي الحياة ،وتعزيز القدرة على مثل هذه التربية هو جوهر الاخلاق .(١)

مراحل النمو الاخلاقي في نظر جون ديوي :

حيث يكون الفرد فيها خاضعا لنفوذ الجماعة وتأثيرها ،يخضع لعاداتها وتقاليدها ، ولا يستطيع منها فكاكا لا لانه يحاول ذلك ويفشل بل لان تأثيرها اللاشعوري فيه يسمه بطابع "روتيني" حيث لا يترك له مجالا للتفكير .

هذه المرحلة يطلق عليها "جون ديوي" الاخلاق التي يكون أساسها العادات(٢) وهي لا تخرج عن كونها تمدنا بمستويات واتجاهات للسلوك داخل الجماعة وتتسم بطابع الجمود ،وعدم الفاعلية للتغير .

---

(١) جون ديوي - المرجع السابق - ص ٣١٩

(٢) د . محمد لبيب النجيحي - في الفكر التربوي - ص ٤٢ - ٤٣

وبمرور الزمن أخذت تزداد عددا وتعقيدا ،ثم تنتقل الى مرحلة يتصل بالفرد ( يصبح فيها السلوك الاخلاقى مبنيا على تفكير الفرد وحكمه بنفسه لنفسه هو الذى يحدد أن كان السلوك خيرا أم شرا ) .

وهو فى كل ذلك لا يتقبل مستويات الجماعة ، التى يعيش فيها وضمنها دون تفكير .

هذه المرحلة يطلق عليها " جون ديوى" ((مرحلة الاخلاق التأملية ))[1] فيها يعرف الفرد الخبرة ، ويختارها عن حرية ،وينصب نفسه محاميا لنفسه ، ويوجه جهوده - عن اخلاق واعتقاد - لتحقيق ما يريد ، ويعمل عن طريق ذلك على تقدم المجتمع تقدما يشترك فى جنى ثماره كل فرد من أفراد المجتمع .

في المرحلة الاولى : الجماعة توضع القيم ، وتقدم المستويات وتلقنها أفرادها بالممارسة والتدريب ،عن طريق اللذة والالم ، ثم عن طريق العادة . . ولا يكون ممارسة الفرد لهذا كله من تفكير أو اختيار .

أما في المرحلة الثانية: يحاول الفرد فيها التخلص من جمود عاداته وتقاليده ويسبغ عليها طابعا فرديا من شخصيته .[2]

فالتقدم يتطلب تعديل الجمود الى عقلية تمكن من وضع المستويات وتكوين القيم .

---

( ١ ) جون ديوى- المرجع السابق - ص ٣١٩
( ٢ ) د .محمد لبيب النجيحى- فى الفكر التربوى- ص ٤٢ - ٤٣

هذه الطريقة تضمن حرية الفرد واختياره وميله ، وتشجع النمو الفردى وأن يشترك الجميع فى هذا النمو الفردى ، فمبدأ القياس هنا هو قيمة وسعادة الفرد .

المرحلة الثانية أخذت مكانها وبدأت تغزو عقل الفرد وتفكيره ، وانعكس ذلك على الجماعة التى يعيش فيها ، نظمها ، عاداتها ، تقاليدها ، قيمها ، فانه يحدث نتيجة لذلك صدام من نوع معين .

صدام بين سلطة المجتمع وميوله ، وبين استقلال الفرد وميوله الخاصة .

ويحدث صدام بين النظام الموجود والسائد فى المجتمع ، والذى يسير الافراد ويحقق لهم حاجاتهم مع قليل من التفكير عن طريق العادات السائدة والمرعية ، وبين التقدم الذى نرمى اليه عن طريق اعادة تنظيم العادات ومراعاة تكوينها . هذا النزاع يمتد بين الجماعات المختلفة داخل المجتمع الاكبر ـ حيث كل جماعة تؤمن بمبادئها ايمانا راسخا ولا تعتقد أن هناك مبادىء أخرى أفضل أو أحسن منها وأن وسائلهم وطرقهم الخاصة بهم بتحقيق هذه المبادئ والاهداف هى الوسائل والطرق الوحيدة الصحيحة ، والتى يجب أن تتبع ، مما سبق نخلص أن كل له أهدافه ووسائله وطرائقه ، وكل يعتقد اعتقادا جازما وراسخا فى هذه الاهداف والوسائل والطرق .(١)

ويتضح ذلك جليا بين طبقة الملوك ، وطبقة ذوى الاجور ، بين الرجال

---

(١) د . محمد لبيب النجيحى ـ المرجع السابق ـ ص ٤٤

والنساء ، بين الشبان والشيوخ ،كل منهم يلجأ الى حقه هو ،ومستواه هو الذى وضعه لنفسه ونصب عينيه ، كل يعتقد أن الاخر انما يبحث عن مصلحته الذاتية الانانية ،وانه مكابر ،وعلى الفرد فى هذه الاحوال أن يختار ،أن يصمم ويقرر دون ضغط من أحد أو تحسين لما هو مقدم عليه ، ودون اجبار من سلطة أو مجتمع ، معتمدا فى هذا التقرير ، وهذا الاختيار مع التفكير الصحيح واللجوء الى استخدام الذكاء .

هذه النقطة تجرنا الى حقيقة الموقف الاخلاقى الذى يظهر فيه هذا التفكير ،ويوضح لنا " جون ديوى " فى كتابه (( الاخلاق )) اذ يقول :
(( هناك نوعان مختلفان من أنواع السلوك ، نوعان مختلفان من أنواع النشاط الذى تدفعه وترشده أفكار لها نتائج ذات قيمة :
فالنوع الاول : من هذين النوعين يكون الهدف فيه مرغوبا فيه ،أى أنه لا يحتمل مناقشة أو جدل ،وانما المشكلة تكون فى وسائل تحقيق هذا الهدف وفى مثل هذه الحالة يكون الهدف مقطوعا بصحته دون اعتبار لعلاقته بأهداف أخرى .

هذه اذن ليست مسألة أخلاقية ، ولكنها مسألة فنية ،مسألة تتعلق بالذوق والمهارة لان الهدف هنا واضح محدد مرغوب فيه ،صحيح صحة مطلقة وتؤدى الى تحقيقه طرق عديدة .

والمسألة تتوقف على اختيار هذا الطريق ، أو ذاك ،وهذا الاختيار مسألة عقلية مهارية لا مسألة أخلاقية.

" النظرية الاخلاقية " - اذن - لا تحتاج الى الظهور فى هذا الموقف ، ذلك لان الفرد يؤمن ايمانا ايجابيا بما هو الخير - وماهو الشر - ولا يحتاج الفرد هنا الى تأمل أخلاقى .

أما النظرية الاخلاقية تظهر عندما تتعارض أنواع الخير المختلفة ، كل منها على قدم المساواة مع الاخر أخلاقيا ، وكل منهما يتطلب نوعا من العمل له تبرير أخلاقى . فاذا كانت قيمة الهدف تتعارض مع قيمة هدف آخر فى نفس الوقت ، يتكون عند نا موقف أخلاقى - تكون فيه أهداف متغايرة متباينة تتطلب الاختيار بينها . والخروج بهدف واحد من بين هذه الاهداف المتصارعة .

هنا فى هذه الحالة فقط تظهر النظرية الاخلاقية وهى لا تؤدى عملها ولا تقوم بوظيفتها الا عندما تتعارض القيم بعضها بعضا ، وتتنازع الاهداف بعضها بعضها بعضا ، ويصبح الفرد الانسانى بالتالى حائرا بين هذا وذاك من القيم والاهداف ، وتظهر المشكلة أمامه ، ما الذى يجب أن يفعله ؟ (١)

وكيف يختبر هذه الاهداف ، وهذه القيم ؟
وكيف نصل الى أن هدفا من هذه الاهداف " أفضل " من الهدف الاخر ؟
وانه هو الذى يمكن الاعتماد عليه فى هذا الموقف .
يمكن الاجابة على هذا السؤال بطريقتين:

---

( ١ ) د . محمد لبيب النجيحى - المرجع السابق - ص ٤٣-٤٥

الاولى : الطريقة الميتافيزيقية .

الثانية: الطريقة التجريبيــة .

يمكننا أن نقول حسب الطريقة الاولى ، أن هذا الخبر يعتمد علـــى الحدس ، أو أنه يؤكد الضمير ،أو أنه يتفق مع طبيعة الوجود ، أو أنه يجـــد أساسا له من العقل ، أو أنه يتفق مع الامر المطلق " اعمل بحيث يكون عملـــك قاعدة عامة لكل الناس " ويمكننا أن نقول حسب الطريقة الثانية ، أن هـــذه المستويات ، وهذه الاهداف تتحقق تجريبيا في العمل .

هذه الاخيرة هي الطريقة البراجماتية أو طريقة الذرائع ،وهي الطريقـــة التي تحكم على معنى الافكار ،وقيمتها ، والعادات ،والمؤسسات والاهداف ومدى صلاحيتها ،ذلك في ضوء النتائج التي تنتج عنها ،ليست النتائج العاجلــــة الشخصية فقط ، ولكن النتائج الاجتماعية على أوسع مدى .

ان تنمية أهداف شاملة دائمة هو أهم شيء يرمى اليه في استعمـــال التفكير والتأمل في السلوك .

فالتأمل والتفكير يعني وضع أهداف شاملة وهي أسماء لمسمى واحد .

ان الاهتمام بالمجموعة الانسانية التي يكون الفرد أحد أعضائها يحمـــل معه الاهتمام بذاته .

فما دام كل واحد منا عضوا في جماعة ،وما دامت هذه الجماعة لا تقوم الا بوجود أفرادها ، فلن يكون هناك اعتبار للجماعة وشئونها ومصالحها مالم يكن هناك اعتبار أيضا لمصلحة الفرد ونموه .

واذا فكرنا على هذا الاساس تفكيرا صحيحا يعتمد على الذكاء ، لا نجد تعارضا بين الجماعة ، والفرد ، ولا اختلاف بين مصلحتيهما .. لان كل خير يصيب الفرد في صحته ، وتكامل شخصيته وذكائه ، ونموه له ناحية اجتماعية لا شك في ذلك ، وليس من حق المجتمع أن يعوق هذا الخير ، وأن يمنع هذا النمو ،ما دام ينعكس اجتماعيا على الجماعة .

وكل تقدم يصيب الجماعة لابد وأن ينعكس على الفرد مؤثرا فيه في نفس الاتجاه ، فالفرد من الجماعة والجماعة انما هي مجموعة الافراد ،ولا يمكن للتفكير الصحيح أن يفصل بينهما .[1]

ان المشكلة ليست " مشكلة مراعاة مصلحة الفرد أو مراعاة مصلحة الاخرين" انها مشكلة فرد في جماعة ،وهذا الفرد يرمي الى مصلحة المجموعة وتكاملها كما يرمي الى مصلحة نفسه وتكاملها ،الى قيمة ذاتية ونحوها ، كما يرى ألى قيمة ذات كل شخص عداه ونحوه .

---

(١) د .محمد لبيب النجيحي - المرجع السابق - ص ٤٦ - ٤٧

انها باختصار خطة شاملة تدخل فى اعتبارها كل العلاقات ، وكل الروابط وجميع الافراد ، انها خطة تتسع فتشمل الماضى والحاضروالمستقبل بل وربما المستقبل البعيد كذلك .

وليس كل اهتمام يبذله الفرد نحو نفسه يكون اهتماما أنانيا ،وان كل اهتمام يبذله للاخرين يكون أخلاقيا .

فاهتمام الفرد بصحته ،وبتقدمه فى عمله ،وبكفايته ، لا يمكن أن تكون أعمالا أنانية لمجرد أنها تتعلق بالفرد وبذاته ،بل انه من الناحية الأخلاقية يجب عليه أن يفعل ذلك ، ولكن هذه الافعال جميعها ، تتصف بصفة الأنانية الاخلاقية فقط ، عندما نغفل ونهمل مطالب الاخرين وحقوقهم .

ان العمل يصبح عملا خاطئا لانه يعمل على سعادة الذات وخيرها ،ولكن عندما يكون غير عادل ، غير مدخل فى اعتباره مطالب الاخرين وحقوقهم .

ان الاخلاق ليست قائمة من القواعد والفضائل ، صالحة لشتى المناسبات والظروف ،غير أننا نحتاج فى الاخلاق الى طرق للبحث تقضى على الصعوبات وتزيل أسباب النزاع والصراع بين القيم والاهداف .

اننا نحتاج الى وسائل ترسم لنا الخطة وتقودنا الى الطريق الصحيح . ان البحث يبدأ بملاحظة مكونات الموقف الذى نجد أنفسنا فيه ،تحليل عوامله

المختلفة ، وتوضيح ماهو غامض في هذا الموقف ،ومعرفة طرق العمل المختلفة وتتبعها حتى نتائجها ،على أن يكون القرار الذى نصل اليه فرضا ،حتى نصل الى تحقيقه بالنتائج العملية الحقيقية ،

وطريقة البحث هذه هي طريقة الذكاء بعينها .

هى الطريقة العملية التجريبية ـ الطريقة التى تتضمن الأخلاق التأملية تلك الاخلاق التى تتطلب ملاحظة للمواقف الخاصة لا الاعتماد على مبادئ قبلية سابقة على كل خبرة، ثابتة دائمة ، والتى يخضع فيها البحث الحر ، والتى تعطى فيها الحرية للجميع للبحث والاستنتاج ،ومقارنة النتائج بغيرها . (١)

انها الطريقة الديموقراطية الصحيحة ، التى تقوم على قيمة الشخصية الانسانية ،وتقدير الذكاء الانسانى ، وتقدير آراء الاخرين مهما كانت معارضة لآرائنا ،والاعتماد على البحث العلمى فى اختيار صحة الأفكار .

ان المؤسسات الاجتماعية ،فى ظل النظام الديموقراطى ،يجب أن تهدف الى غاية، تحققها ،هذه الغاية هى أن ( تحرر وتنمى قدرات أفراد البشر جميعا دون النظر الى جنس أو طبقة أو ناحية اقتصادية ) ،أى بمقدار ماتقدمه لكل فرد من فرص تنمية قدراته ،واستعداداته الى أقصى حد ممكن .

---

(١) د . محمد لبيب النجيحى ـ المرجع السابق ـ ص ٤٨

هذا هو المعنى الاخلاقى للديموقراطية ،أى أن يكون ما تسهم بـه المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من اتاحة النمو الكامل لكل عضو فى المجتمع هو أساس اختيار قيمتها .

هكذا نلاحظ كيف ظهرت مبادئ وآراء " جون ديوى " الفلسفية بوضوح فى الميدان الخلقى ،فالخبرة فى الموقف ،يكون بحل المشكلة وازالتها بعد اعادة تكوين عناصرها .. والمستويات والمثل ، انما هى فروض علمية ،هى مشروعات للعمل ، وعن طريق التجريب يتوقف مدى مساعدتها لنا للسيطرة على عناصر الموقف المختلفة ، والوصول الى حل لهذا الموقف .

فعند ما نواجه موقفا معينا ، تتصارع فيه الحاجات والرغبات ، وتتنازع فيه القيم والاهداف ،كل منهما يؤدى به الى طريق يسلكه من يريد أن يحققه ،فأن الوصول الى الخير المناسب لهذا الموقف ، الذى يحل المشكلة ويزيل الصراع يكون عن طريق البحث العلمى .(١)

ويبدأ هذا البحث بموقف معين ، يواجه الانسان على أنه مشكلة تتطلب الحل ، ويجذب انتباهنا اليه ، ويفرض نفسه علينا ثم بعد ذلك نحاول أن نحدد المشكلة ونعرف مكانها ،ونحاول بعد ذلك أن نجرب أفكار أو آراء على أنها وسائل لحل هذا الموقف ، وهذه الآراء ، وتلك الافكار ، تؤدى بنا الى اقتراح طرق

---

(١) د . محمد لبيب النجيحى ـ المرجع السابق ـ ص ٤٩

للعمل ، نقوم بها ، والوصول الى حلول ندخلها فى حسابنا ،ثم نقارن بين مختلف النتائج التى توصلنا اليها عن طريق الافكار المختلفة ،ونستقر فى النهاية على فكرة بعد فحص كل النتائج المترتبة على الافكار المختلفة وهذا هو ما يسميه " جون ديوى " rwasoning أى اختيار فكرة فى النهاية والاعتقاد فى النتيجة التى تؤدى اليها بعد مقارنات مختلفة بين الافكار ونتائجها .

هذا كله يحدث دون عمل فعلى ،أو هو عمل دون عمل ،كما يقول " ديوى" وعند الانتهاء الى هذه الفكرة ، نبدأ تجربتها بالفعل ، أى بالعمل الفعلى لنرى مدى مطابقة النتائج الواقعية ، للنتائج التى قدرناها ،عن طريق الرموز والافكار ، وتنتهى المشكلة الى الحل ، عندما نقضى على الصعوبات التى نشأت منها هذه المشكلة .

وليس معنى ادخال الطريقة ( العلمية ) فى ميدان الاخلاق ،أن علم الأخلاق قد أصبح جزءا من ( العلوم الطبيعية ) ، وذلك لان العلوم الطبيعية لا تتمسك بالقيم ،ولا يعنى هذا أن مادة البحث فى كل من علم الاخلاق والعلوم الطبيعية واحدة ، فمادة البحث فى علم الاخلاق هى أنواع التقويم المختلفة للافعال ، ومعنى تقويم الافعال المختلفة هو أن فعل عن طريق البحث الى أن هذا العمل فى ضوء النتائج التى توصلنا اليها هو خير أو شر ، بالنسبة الى حاجات الموقف الذى استدعى حدوثه . غير أن هذا يعنى أن طريقة البحث فى العلوم الطبيعية يمكن أن تنقل فكرتها ومنطقها الى علم الاخلاق .

ان " ديوى " لا يعطينا ضمان فى أن استعمال هذه الطريقة العلمية لا تنشأ منها نزاع وطرح بين القيم والاهداف ، كما يوجد ضمان لها فى العلوم الطبيعية .

فمن يضمن لنا فى العلوم الطبيعية أن مشكلة من المشاكل يمكن أن نصل الى حل لها باستعمال الطريقة العلمية ؟ لا شىء ، ولكننا نقول فى ميدان علم الاخلاق .

لا شك أن استعمال الطريقة التجريبية فى ميدان علم الاخلاق قد أنتج آثار كثيرة متعددة فى هذا الميدان .(١)

فطريقة البحث العلمى ، تأخذ طريقها مثل العلوم ، فالتحقق من صحة شىء يكون عن طريق التجريب والنتائج .

ويدخل الذكاء فيقدم خطط ومشروعات النمو . .

والهدف الذى نصل اليه يصبح فرضا علميا حتى تؤكده النتائج المقبلة ، وبذلك تنمو الاهداف وتتحسن مستويات الحكم ، وتنمو الحياة الاخلاقية من الجمود والتكرار الممل ، وتصبح مرنة ، حيوية ، نامية ، وتستبدل بالحياة الساكنة الجامدة عملية نمو وتقدم وتحسن مستمرة .

---

(١) د . محمد لبيب النجيحى ـ المرجع السابق ـ ص ٥٠

فليست الصحة مثلا غرضا نهائيا ثابتا محددا ،ولكن الخبرة والهدف الذى تتجه اليه هو عملية تحسين مستمر فى الصحة ، عملية تغير ايجابى مستمر فى الموقف الراهن ، وليس الكمال هو الهدف الاسمى النهائى الذى يجب أن نتجه اليه ، ولكنه عملية تضج وتحسين دائم للهدف من الحياة .

فليست الامانة والعدل ، أغراضا محددة نهائيا ،ولكنها اتجاهات لتغير نوع الخبرة اتجاهات للنمو المستمر . ان النمو هو الغرض الاخلاقى الوحيد.

نتج عن ذلك ان زالت التفرقة التقليدية بين ما يسمونه خيرا أخلاقيا ،خيرا طبيعيا .

الخير الاخلاقى عندهم هو الفضائل ، الخير الطبيعى ، الصحة مثلا الامن الاقتصادى ، الفن ، العلم ... الخ .. وتعنى استعمال الطريقة العلمية ، فى هذا الفصل بين النوعين .(١)

المشكلة الاخلاقية لا تظهر الا حين يتعرض الانسان لموقف ، تتعارض فيه الغايات ،ويحار المرء أيها يختار ،وأى الوسائل يتبعها ،لتحقيق ما يختاره من الغايات . أما حين يذعن المرء لغاية واحدة ، دون اعتبار للغايات الاخرى فلا يسمى المسلك عندئذ أخلاقيا .

---

(١) د .محمد لبيب النجيحى ـ المرجع السابق ـ ص ٥١ ـ ٥٢

ويقول "ديوى" أنه مسلك فنى أكثر منه أمرا اخلاقيا ..

انه ذوق ومهارة ،وايثار شخصي وحكمة عملية ، أو مسألة اقتصاد مناسبة فهناك طرق مختلفة كثيرة تؤدى الى نتائج كثيرة ، وايثار هذا الطريق دون ذاك على اساس أن أى واحد منهما يؤدى بالعقل الى الغاية ،أمر فكرى ،أو اجمالى ، أو عمل اكثر منه أمرا أخلاقيا .

فقد يحصل أن أوثر منظرا بحريا على منظر جبلى ، وهذا ضرب من الاهتمام الجمالى ،ان أى غاية من الغايات الجمالية أو الفكرية أو الصحية عندما تقوم وحدها نجد أنها صالحة وفى موضعها .

ولكن المشكلة الاخلاقية لا تظهر الا حينما تتعارض قيمة غاية مع قيمة غاية أخرى ، وحين نشعر بهذا التعارض ،شعورا يستدعى ضروبا مختلفة من الاهتمام والايثار ، وصراعا فى الميول والانفعال وعندئذ يوجد "الموقف الاخلاقى" وهذا يستدعى ايثار غاية على أخرى وتصبح المشكلة مشكلة قيمة .

ماهى طبيعة القيمة ، والمرغوب فيه ،وما لابد للفرد أن يحكم به ، هذه هى فى جوهرها ( المشكلة الاخلاقية ) .(١)

(( السلوك الذى يتجه نحو الاجدر طبقا لاحكام قيمة حيث تكون القيم موضع النظر متعارضة تعارضا يحتاج الى نظر وايثار .. ))

---

(١) د . احمد فؤاد الاهوانى - المرجع السابق - ص ١٢٦

وقد نحل الموقف طبقا لشهواتنا ، عندئذ لا يكون الحل أخلاقيا ، ولا يسمى صاحبه انسانا فاضلا .

فالرجل الفاضل أو الانسان الفاضل هو الذى ينظر فى الميزان الذى يزن به الاعمال ، حسنة هى أم قبيحة ، ولا يكفى أن يكون سلوكه موافقا لميزان معروف بل لابد من امتحان هذه الموازين ، والرجل الفاضل هو الذى يتحلى بفضائل الحكمة والشجاعة ، والعفة والعدالة .

ينظر " ديوى " الى هذه الاربعة من وجهة مذهبه ، أى من جهة الموقف الأخلاقى ، فهى مظاهر مختلفة لموقف واحد كلى ، وفى الوقت نفسه ليست أى فضيلة قائمة بذاتها ، بل هى مناهج تتجه بالمرء ، نحو السلوك ، فصاحب القلب الصادق والاهتمام الشامل ، يتصف بالعدالة والمحبة ، وصاحب النشاط الدائم يتصف بالشجاعة والعزم والقوة ، من يهتم بالخير كان حكيما ، والعفة طلب اللذة غير ممتزجة بشىء آخر . فهى فضائل تتصل بالطريقة أكثر مما تتعلق بالموضوع .(١)

بعد زوال التفرقة بين نوعين من القيم ، كانوا يعتبرون أحدهما يعنى به علم الاخلاق دون الآخر .

فالقيم صنفان ، صنف يلتمس لذاته ويطلب كفايته ، ويكون مطلقا لا يحده

---

(١) د . أحمد فؤاد الاهوانى - المرجع السابق - ص ١٢٧

زمان ولا مكان ، وصنف نسبى ينشده الناس كوسيلة لتحقيق غاية ، ولهذا يختلف باختلاف حاجات الناس ومطالبهم .

الصنف الاول يسمى **قيم ذاتية** ، أما الصنف الثانى فيسمى **قيم خارجية** .

القيم الذاتية هو ما يعنى به علم الاخلاق ، فهو يتحدث عن الخير باعتباره غاية فى ذاته لا وسيلة ، لتحقيق غاية . لذا كانت غايات عليا ودنيا ، الاولى تقوم لذاتها ، لا تحت الى عالم علوى ، أبدى فيه الخير ، أما الدنيا تتعلق بعالمنا الذى نعيشه من ثم فهى وسائل لتحقيق الغايات الاولى .

هكذا كان هناك ميدان الخبرة وميدان المثل التى تقوم بها هذه الخبرة ميدان القيم وميدان الطبيعة . جاءت " نظرية ديوى " نظرت اليهما على أنهما ميدان واحد الخبرة وقيمتها الطبيعية ، ولا يمكن فصلهما .

ان الخبرة الانسانية هى الميدان الذى تنبع منه القيم ، وهى الميدان الذى تخرج منه طرق اختبار هذه القيم ومستوياتها .

ان الفضائل هى أهداف لانها تعتبر وسائل هامة للقضاء على موقف مشكل فان تكون أمينا ، شجاعا ، رؤوفا ، هذه ماهى الا وسائل للوصول الى الخير الطبيعى . ان الخير الطبيعى والخير الاخلاقى لهما نفس القيمة الأخلاقية مادام كل منهما ينهى مشكلة ويزيل نقصا .(١)

(١) جون ديوى – الطبيعة البشرية والسلوك الانسانى – ص ٤٠

ان القيم الاخلاقية الذاتية : التى ينادون بها لا تمثل ميدانا مستقلا منفصلا عن الحياة ، ولكنها جزء لا يمكن فصله أبدا عن عملية الحياة .

ان القيم والوسائل والتى يقولون بفصلها عن ميدان القيم العليا ليست ( سقالة ) للبناء يمكن فصلها عن البناء بعد انتهائه ، غيرأنها مثل حجر من الاحجار ، هو وسيلة لا تمام البناء ولكنه يكون فى النهاية جزءا لا يتجزأ من تكوينه .

ما مكان القيم العليا من نظرية " جون ديوى " هل يتركها جانبا ؟ أم أنه يجب أن يكون لدى الانسان قبل البدء فى البحث أشياء مفروض صحتها ؟ [1] هذه القيم كالسعادة والصحة والشجاعة والعدل والحكمة والرأفة ، على الرغم من صحتها من قبل ، فليس واحدا منها فى هذه النظرية ، هدفا نهائيا ، وليس لاحد منها السيادة على غيره من الاهداف لمجرد أنه نهائى . وليس لاحد امنها نحو عملية اخضاعها للخبرة ، اذا ما تعرضت صحتها لفقدان قيمتها ، اذ لا يمكن فى موقفين مختلفين أن نصل الى حل للصراع ، بين أوجه الخير وأنواع القيم بطريقة واحدة .

فعلى الرغم من أننا نستخدم الاهداف والقيم ، التى أثبتت صحتها فى المواقف السابقة ، فان هذه الاهداف والقيم لا يمكن أن تتخذ من ذلك ذريعة حتى تفرض نفسها على أنها الخير الوحيد لهذا الموقف بالذات .

---

( ١ ) د . محمد لبيب النجيحى - المرجع السابق - ص ٥٣

حقا اننا بغير هذه الاهداف والقيم السابقة ،التى ثبتت صحتها نكون كمن يبدأ بحثا علميا دون أن تكون لديه بعض المعلومات التى يفترض صحتها .

أفضل ما يمكن عمله اتباع طريقة البحث التأملى ، فليس هناك خير عام مطلق ، وليس هناك حق مطلق . هذه الفكرة صادقة فى هذا الموقف لانها ناتجة عن استعمال (الطريقة العلمية فى البحث ) هذا الخير صالح لهذا الموقف بالذات بعد أن قامت الطريقة العلمية ،بتقويم مختلف أنواع القيم وتقديرها ، ومعرفة نتائج كل منها ، فليس هناك اذن قيم عامة مطلقة ، ولكن هذه القيم تكون تحت يدنا لتساعدنا فى حل الموقف المشكل ، وتتوقف صحتها فى كل موقف على مقدار اسهامها فى هذا الحل .

لقد كان لهذه النظرية فضل كبير فى ازالة التفرقة والفصل بين الدوافع والنتائج ، فقد رأى بعض الفلاسفة أن الدوافع هى التى يمكن أن تكون أخلاقية ورأى البعض الاخر أن النتائج هى التى تكون أخلاقية .

يقول أصحاب الرأى الاول ، ان النتائج ليس لها قيمة أخلاقية طالما كانت لا تعتمد على الارادة وحدها ،لان الارادة هى التى يمكن أن تكون أخلاقية ، ولا شىء غير ذلك ، وينادى أصحاب الرأى الثانى بأن الاخلاق تنحصر فى احداث النتائج التى تسهم فى الصالح العام ، أما الدوافع فلا قيمة لها . (١)

---

(١) د . محمد لبيب النجيحى ـ المرجع السابق ـ ص ٥٤

ولقد استطاعت نظرية " جون ديوى " أن توحد بين الناحيتين وأن نقول (( أن كلا الفريقين ينظر من زاوية واحدة دون أن يدخل في اعتباره الجوانب الاخرى ، فليست الذات أو الارادة وسيلة لتحقيق النتائج لان النتائج تدخل في تكوين الذات والذات تؤثر في هذه النتائج )) كل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به ، ان الدافع أو الذات ماهو الا اتجاه على نحو هدف ، اتجاه كلى يشمل الناحية النفسية والعقلية ،مقدرا للنتائج مدخلا في اعتباره الاحتمالات المختلفة لهذه النتائج ، فالدافع والنتائج كل لا يتجزأ ولا ينفصل ،وانما نحن نفصلها من أجل البحث العلمى .

فالنفس الخيرة لا تسعى ولا تجاهد الا للوصول الى النتائج الخيرة ، هذه النتائج الخيرة بدورها هى سعادة وخير ،تنعكس عليهم ومن بينهم الذات نفسها ان المفتاح الصحيح للنظرة الاخلاقية الحقيقية فى هذا المجال ،هو الاعتراف بالوحدة التى لا مناص منها ، بين الذات وافعالها ،اذا أردنا أن يكون لهذه الافعال مغزى أخلاقى .

فلقد قضت هذه النظرية على ذلك الفصل المفتعل بين الاهداف والوسائل هذا الفصل الذى يقوم على زعم خاطىء مؤداه أن هناك أهدافا وقيما ذاتية ، لا تتوقف قيمتها الاخلاقية على الوسائل التى تتخذ لتحقيقها والوصول اليها .

وتقوم نظرية " جون ديوى" على أساس أن هناك استمرار بين الوسائل والاهداف .(١)

---

(١) د . محمد لبيب النجيحى ـ المرجع السابق ـ ص ٥٥

فالهدف ما هو الا مجموعة من الافعال تتطور الى مرحلة بعيدة، أما الوسائل فهى مجموعة من الافعال ينظر اليها من قريب ، أى أنها أهداف قريبة فالرابطة قوية بينها وبين الهدف ،ويقول أصحاب مبدأ الفصل أن الانسان عندما يقوم بعمل يكون لديه هدف ،فالهدف هو الاساس ويختار له الوسائل لتحقيقه .

وقد تفلح بعض الوسائل فيختار أخرى ،وعلى هذا تكون الوسائل متغيرة أما الهدف فثابت باق .

وينتج عن ذلك المبدأ الذى يقول ( ان الاهداف تبرر الوسائل ) أى أن الاهداف تبرر استعمال أى وسيلة ممكنة للوصول الى الهدف .

لكن كيف نعرف كنه الهدف الذى يرى اليه الفرد ؟

هل نعرفه بمجرد اختياره أيانا ، ان هذا هو هدفه ؟

او نعرفه بما ينوى عمله وبالنتائج التى يؤدى اليها هذا العمل ؟

اننا لا نعرف معنى لاى هدف كما يقول " جون ديوى" دون أن نعرف الوسائل الضرورية لتحقيقه والوصول اليه .

فاذا كنا حقا أذكياء فاننا لا نريد هدفا دون أن نعرف الوسائل المؤدية الى تحقيقه ، ان الهدف اذا ما انفصل عن الوسيلة واعتبرت الوسيلة المؤدية اليه هى الوسيلة الصحيحة مهما كانت ،فان هذا الهدف لابد وأن يقوم على حساب أهداف أخرى .

فالرجل قد يفقد ماله على حساب شرفه ، وعلى حساب وطنه ، والرجل قد يصل الى المركز المرموق على حساب أصدقائه ، وعلى حساب كرامة الآخرين .

ان هذا التطبيق لهذا المبدأ ( الغاية تبرر الوسيلة ) معناه أن .. ( الهدف ) الذى نرمى اليه يبرر تضحية جميع ( الاهداف ) الاخرى ، فما لم ندخل فى اعتبارها ( الهدف ) الذى نرمى اليه وكل ( هدف ) وغاية أخرى لها علاقة بالموقف ، فنحن لا نسير على الطريقة ( المنطقية التجريبية ) .

اننا اذا كان لدينا هدف وغاية ، وبحثنا لهذه الغاية وهذا الهدف عن وسيلة لتحقيقه ، فلم نعثر بعد طول البحث والتنقيب عن وسيلة تحققه ، أفلا نكون خياليين ، قد ابتعدنا عن الواقع وبنينا قصورا فى الهواء ؟ ان هذا الهدف الذى لم يمكن تحقيقه ان هو الا هدف نظرى . فاذا أردنا أن يكون هذا الهدف النظرى ( هدفا ) فى الحقيقة والواقع فلابد أن يتطلب تحقيقه والوصول اليه وسائل طبيعية واجتماعية ، تحول هذا الهدف النظرى الى هدف واقعى . وقد يقول قائل اننى غالبا ما أرغب فى هدف دون أن أرغب فى الوسائل التى تحققه ، فأنا أرغب فى أن تكون أسنانى ناصعة جميلة سليمة ، ولكنى لا أرغب فى أن أمر بذلك النظام الدقيق المؤلم الذى يجريه طبيب الاسنان على كل يوم تقريبا .

ان المسألة هنا ليست مسألة رغبة فى جزء وعدم رغبة فى جزء آخر ، بل الموافقة تكون على الكل بما فيه الاجزاء ، فالمشكلة هل أنا راغب فى الوصول الى

أسنان سليمة أم لا ؟ وهذا يدخل فيه الوسائل ، فأنا أن أوافق على الاهداف والوسائل ككل ، أو أرفضها ككل ، وليس الوصول الى الهدف يكون ميسورا فى كل الاحيان . بل انك لتجد فى كثير من الاحيان شيئا لا تحبه ولا ترغب فيه ، ولكنك تقوم به ، لانك مؤمن بأن الهدف والوسيلة متلازمان وكيف ترمى الى هدف دون أن تدخل فى حسابك وسيلة بلوغه ، الا اذا كنت كما يقول جون ديوى تحلم أحلام اليقظة . (١)

أما ان فكرت فى وسائل دون هدف فانك تقوم بأعمال السحر ، ذلك لان الساحر يقوم أمامك بعدة أشياء على أنها وسائل ، وهو يعرف أنها لا تحقق شيئا البتة .

وهكذا يكون الهدف والوسائل سلسلة متصلة الحلقات متتابعة الدرجات تكون كلا واحدا متكاملا لا يمكن تمزيقه .

وهكذا كانت هذه الطريقة العملية أو ( طريقة الذكاء ) ، هى طريقة البراجماسية أو طريقة مذهب ( الذرائع ) .

هذه الطريقة التى تصر على اختيار كل معنى ، وتقويم كل فكرة وكل عادة وكل هدف وكل مؤسسة اجتماعية وذلك على ضوء النتائج التى تترتب على استعمالها

---

(١) د . محمد لبيب النجيحى - المرجع السابق - ص ٥٦ - ٥٧

لا النتائج العاجلة الشخصية ،ولكن النتائج الاجتماعية على أوسع مدى .

تلك النتائج التي تأتي نتيجة خطة شاملة تدخل في اعتبارها نمو الفرد وشخصيته ،وتؤدي بنا استعمال هذه الطريقة الى مجتمع جديد يعتمد على عالم سماوي خارجي عنه يكون فيه الفرد كاملا متكاملا ،لا يتنازعه عالمان ، ولا يسوده نوعان من القيم ،ويكون الخير الذي يهدف اليه ناشئا من خبرته ، ويتعرض دائما للتغير والتبديل داخل خبرته ،ويجد صحته وقيمته عن طريق خبرته .

وهكذا يصل " جون ديوي" الى حل لتلك المشكلة الاساسية التي أخبرنا عنها في كتابه (( البحث عن اليقين )) وهي اعادة التكامل والتعاون بين معتقدات الانسان عن هذه الدنيا التي يحياها وبين معتقداته وقيمه وأهدافه التي يجب أن ترشده في سلوكه .(١)

نستنتج مما سبق أن "جون ديوي" يتفق مع الاسلام في عدم قبوله لمبدأ " الغاية تبرر الوسيلة " .

الاسلام يطالب بأن تكون الغايات شريفة وسليمة ، والوسائل التي توصلنا اليها بالتالي يجب أن تكون مشروعة وسليمة ، أما قول "ديوي" في أن الخير الذي يهدف اليه يكون ناشئا عن خبرته ،ويتعرض دائما للتغيير والتعديل ،داخل خبرته ويجد صحته وقيمته عن طريق خبرته .

---

(١) د .محمد لبيب النجيحي - المرجع السابق - ص ٥٧

وفى نظرة سريعة فى الاديان ، نرى أن المسيحية فيها قيم لا منهج فى حين أنه فى اليهودية نجد أنهم غرقوا فى المادية ( ... لا نؤمن حتى نرى الله جهرة ) (صدق الله العظيم) وكان المفروض أن تتعاون المسيحية واليهودية.

لذا كان لابد من ظهور الاسلام آخر الاديان وأكملها على الاطلاق ، جاء الدين الجديد جامع لحركة المنهج فى الحياة المادية ولكن بقيمها : قال تعالى : {" محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا ..."} وفى مكان آخر قال تعالى : "" أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل "" .

مما سبق نلاحظ أن القيم لدى "جون ديوى" متغيرة حسب مشاهداته فى المجتمع الامريكى والغربى نظرا لاختلاف الاديان والاجناس وفساد العقائد التى يدين بها الناس .. فى حين أن الاسلام يؤكد على ثبات القيم.

ما كان يمس العقيدة والتشريع فهو ثابت ولا يتغير البتة ، ماعدا ذلك من الاعمال الدنيوية البحتة فان الاسلام يبيح التعديل والتغير ، لفائدة ومصلحة المسلمين من الامور المادية الدنيوية فيما لا يمس جوهر العقيدة الاسلامية الصحيحة فان الحلال بيّن وان الحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد اتقى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وان لكل ملك حمى الا وأن حمى الله محارمه .

( صدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم )

فى هذا الفصل تم استعراض سريع لأهم المفاهيم الاخلاقية عنـــد " جون ديوى " كما تطرقنا لجوانب منها ومدى مطابقة ومخالفة آراءه الاخلاقية التربوية للعقيدة الاسلامية .

-٥-

# الفصل السادس

## أهداف التربية عند "ديوى"

- ما هية التربية في رأى « ديوى » .
- طبيعة التربية .
- التربية الخلقية .
- آراء "ديوى" فى التربية .
- الفرد والثقافة .
- ما هى طبيعة الأهداف عند ديوى .
- أفكار متعلقة بأهداف التربية .
- أفكار عن الأهداف .
- الوسائل والأهداف .
- نقد لآراء ديوى فى الأهداف .

# أهداف التربية عند ديــوى

٥٥٥

## ماهية التربية فى رأى ديوى :

هى كل تربية تقوم على مشاركة الفرد فى الوعى الاجتماعى للجنس البشـرى وتبدأ منذ الولادة بطريقة لاشعورية ، ثم تشكل قوى الفرد بصورة مستمـرة ، بتغذية شعوره وتكوين عاداته وتهذيب أفكاره وتنبيه مشاعره وانفعالاته ،وعـن طريق هذه التربيـة اللاشعورية يصل الفرد تدريجيا الى المشاركة فى الـتراث الذى نجحت الانسانية فى التوفيق بين جانبيه الفكرى والخلقى ،ويرث الفـرد بما جمعته الحضارة من رصيد .(1)

وتنشأ التربية الصالحة المثمرة من اثارة قوى الطفل نتيجة شعوره بمـا تتطلبه المواقف الاجتماعية التى يواجهها ، فتنبهه هذه المطالب الى العمـل كعضو فى وحدة والى الانبثاق والخروج من محيط سلوكه وشعوره الضيق الى ادراك نفسه من جهة مصلحة الجماعة التى يعيش فيها وينتمى اليها .

وللعملية التربوية جانبان ، جانب نفسى وآخر اجتماعى وهما متلازمان .. لا يمكن الاستغناء عن أحدهما ، ولما كانا متصلين عضويا فلا يمكن التوفيق بينهمـا أوتغليب أحدهما على الاخر وقيل أن التعريف النفسانى للتربية شكلى من حيـث أن هذا التعريف يقدم لنا فكرة عن نمو القوى العقلية ، دون أن يعطينا أيـة

---

(١) د .سعد مرسى أحمد - تطور الفكر التربوى- ص ٤٧٣

فكرة عن استخدام هذه القوى ، ومن جهة أخرى يقال أن التعريف الاجتماعي للتربية هو تهيئة الفرد للتوافق مع الحضارة ، هذا التعريف يجعل منها عملية قهرية وخارجية ، وينتهي هذا الضرب من التربية باخضاع حرية الفرد لحالة اجتماعية وسياسية مقررة من قبل .(١)

خلاصة القول أن " جون ديوى " يعتقد أن الطفل الذى نريد تربيته فرد اجتماعى ، وان المجتمع وحدة عضوية مؤلفة من أفراد واذا نحن أغفلنا العامل الاجتماعى من حساب الطفل بقينا أمام شيء مجرد ، واذا أسقطنا العامل الفردى من المجتمع ، لم يبق الا جمهور بغير حركة أو حياة .

من أجل ذلك كان لابد للتربية أن تبدأ بالنظر فى قوى الطفل ، واهتماماته وعاداته ، وكان لابد أن تضبط بالرجوع الى هذه الاعتبارات ، ولابد أن نفسر على الدوام هذه القوى والاهتمامات والعادات بمعرفة ما تدل عليه .. ولابد من ترجمتها الى نظائرها الاجتماعية أى الى اللغة التى تستطيع القيام بخدمة اجتماعية .

## طبيعة التربية :

ترتبط مسألة الطريقة بترتيب قوى الطفل واهتماماته ، وتعتمد معالجة ووسائل تقديم المادة للطفل على طبيعة نموه ، ولذلك فان ديوى يلقى أهمية

---

(١) د . أحمد فؤاد الاهوانى - جون ديوى - ص ١٥٤

عظمى على الاحكام الاتية فى تحديد للروح التى تسيّر للعطية التربوية :

١ - يسبق الجانب الايجابى الجانب السلبى فى نمو طبيعة الطفل ،فالتعبير يظهر قبل الانطباع الواعى .

٢ - يسبق النمو الحسى ،والحركات تسبق الاحساسات الشعورية . والحالات الشعورية تميل الى إظهار نفسها فى حركة .

ان اهمال هذا يلقى بالطفل فى احضان اتجاهات السلبية ويجعله فـردا مستقبلا مستوعبا لما يلقى عليه ،وفى هذا ضياع لوقت ومجهود المدرسة .

تنشأ الاهداف والافكار من العمل وتتطور من أجل سيطرة أفضل على العمل ، وفى محاولة تنمية قوى الاستدلال وقوى الحكم يجب تنظيم واختيار وسائل العمل الصالحة ، والا واجهنا الاطفال برموز لا تعنى شيئا لهم لانها فرضت عليهم من الخارج ،بل يجب أن تقدم لهم فى معنى ويجب أن يشجع الطفل نفسه على تكوين المدركات والمفاهيم .

يجب على المربى ملاحظة اهتمامات الاطفال على أنها مظهر لحالة النمو التى بلغها الطفل ، انها تنبىء بالمرحلة التى سوف يجتازها .

ومن خلال الملاحظة المستمرة لاهتمامات الطفولة يستطيع الراشد أن ينفذ الى حياة الطفل ، ويعرف مدى واتجاه استعداده وتشوقه .

ويجب أن نشجع اهتمام الطفل بنمو حبه للاستطلاع ويقظته ومبادأته .. ان السخرية من اهتماماته هو استبدال العابر بالدائم . . وثمرته احلال النـــزوة والهوى محل الاهتمام الاصيل .

لو أمكننا غرس عادات حسنة فى العمل والفكر تعتمد على الخير والحـــق والجمال لسارت الانفعالات من تلقاء نفسها فى الطريق السليم . . وأعظم شـــر يصيب التربية بعد الجمود والبلادة والشكليـــة والروتين ، هو العاطفية وهى النتيجة الحتمية لمحاولة الفصل بين الوجدان والعمل .(1)

غير أنه باعتبارنا مسلمين ، يمكننا الوصول الى الافضل والاحسن ، ذلـــك باتباع شرع الله سبحانه وتعالى والدليل على ذلك أن المسلمين فى صـــدر الاسلام عندما تمسكوا بالعقيدة الاسلامية الصحيحة سادوا العالم وكونوا حضارة عظيمة فى فترة زمنية قصيرة وقياسية .

## التربيـــة الخلقية :

وهى تدور حول فكرة أن المدرسة انما هى لون من ألوان الحياة الاجتماعية وأن أفضل تدريب خلقي وأعمقه هو الذى يحصل عليه المرء من الاتصال بغـــيره ، صلة ملائمة فى وحدة من العمل والفكر مع ادراك أن التربية انما هى تجديد مستمر للخبرة ، وأن عمليـة التربية وغايتها صنوان .

---

(١) د . سعد مرسى أحمد - المرجع السابق - ص ٤٧٩

## آراء ديوى فى التربية :

التربية هى عملية من عمليات الحياة ، وليست اعداد لحياة مستقبله ،أما رأيه فى مادة التربية فيقول (( ان الحياة الاجتماعية للطفل هى الركيزة ، وليس المركز الصحيح للربط بين المواد الدراسية هو العلم أو الادب أو التاريخ أو الجغرافيا ،بل النشاط الاجتماعى الخاص بالطفل )) .

أما وجهة نظره فى طبيعة التربية فيقول (( وتعتمد معالجة وسائل تقديم المادة للطفل على طبيعة نموه ويرى أن يسبق الجانب الايجابى الجانب السلبى فى نمو طبيعة الطفل )) . (( وان الحركات سابقة للاحساسات الشعورية )) .

كما يرى أن التربية هى الطريقة الاساسية للتقدم والاصلاح الاجتماعى غير أن بعض المربين المحدثين تطلعوا الى عقيدة ديوى التربوية بانفعالات مختلفة ومتشابكة .

ورأى بعض المربين الامريكيين المحدثين أن عقيدة ديوى تعكس الروح البراجماتية ، فما هو صدق انما يتولد عن البحث فى نتائج الفعل أو العمل ويرون أن عقيدة ديوى تعبر عن ايمان ثابت ليس فقط على قدرة الفرد على النمو ، ولكن على قدرة المجتمع لتشكيل الانسان على أحسن صورة يريدها هذا المجتمع .

كما أنهى ديوى عقيدته بقوله (( وليست مهمة المعلم مجرد تدريب الافراد بل تكوين الحياة الاجتماعية الصحيحة )) .

يجب أن يعرف كل معلم كرامة مهنته ، انه خادم اجتماعي انفرد بحفظ النظام الاجتماعي الصحيح وتأمين النمو الاجتماعي الصادق .

ومن هذا الطريق فالمعلم دائما هو رسول الحق والهادي الى ملكه سبحانه وتعالى .. وان أردنا فحص آراء ديوي مهتدين بما نعرفه اليوم عن العالم وما شهده من تقدم تكنولوجي هائل ، واكتشاف الفضاء ، يجب أن نعيد النظر الى ما كتب وانصافا له فان ديوي كتب ما كتب ، انما كان يحكم على ماكان دائرا حوله من عقم وجمود تربويين ..[1] وكان ذلك في التسعينات من القرن الماضي .

فعندما أكد أهمية الخبرة المباشرة والعمل الاجتماعي كان ينقد الشكلية الفارغة للعمل المدرسي وتقتئذ ، هذه الشكلية التي لم تربط بين ما تعلمه التلميذ في المدرسة وبين خبرته خارج المدرسة .

غير أن بعض آراء ديوي قد أسيء فهمها ، بل تدخلت العاطفة أحيانا في وصفها المبالغ فيه ، بل ان ديوي نفسه كتب في عقيدته قائلا (( ان أخطر ما يهدد التربية خضوعها تحت رحمة الاهواء العاطفية )) .

والمقصود بالعاطفية هنا الانسياق والتهافت على الجديد دون وعي تام أو شبه كامل به .

---

(١) د . سعد مرسى أحمد ـ المرجع السابق ـ ص ٤٨١ - ٤٨٣

فقد انتشرت مشروعات الفصول الدراسية ، وذاعت على كل لسان عبـــارة " التكيف للحياة " كما أصبح من الشائع التقليل من أهمية المادة الدراسيـة . وصار الانغماس فى التعلم بالعمل ، واذا صح هذا فى بداية القرن العشرين فهل يجوز أن يصح فى الثلث الاخير منه مع الانفجار السكانى المروع ومع التقـدم التكنولوجى الرهيب .

الفــرد والثقافــة :

مهمة التربية مزدوجة فهى - أى العملية التربوية - تنقل الى الفــرد جزءاً من المعرفة التى جمعها الانسان ، وجزءاً من القيم وطرائق السلوك ، وهذه كلها الى جانب مكونات أخرى تكون ثقافية . وبهذا فان التربية تشكل احساسات ووعى وطريقة حياة الفــرد .

ولكن على التربية أن تنمى السلوك الذكى حتى يستطيع الفرد أن يتخطـى مسالك عالمه الاجتماعى والثقافى ويقدر على التجديد والخلق والابتكار على أبسط صورة ممكنة . وهذا أضعف الايمان بعملية الخلق هذه يستطيع الطفل أن يكون لنفسه ما يمكن أن نسميه ثقافته الداخلية أو الباطنية قد يكون من الممكن أن يكون كل فرد لنفسه غنيه ما ، فالمجتمع يصبح بمختلف أصناف وألوان الفنون ، والفـرد يتخير منها ، وفى داخليته يعاد تشكيل أو صياغة ما تخيره ليخرج فنا خاصـا بهذا الفرد ، كذلك الحال عندما يدرس التلميذ مادة كالجغرافيا أو الفيزيـاء .. الخ ولا يستطيع فرد أن يلم بكل مكونات المعرفة أو بكل ما تحويه الثقافة الـتى

يعيش فيها .[1]

يعيش الفرد بامتصاصه بعض مكونات الثقافة أن يعيد تشكيلها بحيث تخرج منه وهى تعكس نظرته الى الحياة ، ويتمكن الفرد من تكوين هذه النظرة عن طريق التربية .

غير أن بعض المحدثين الامريكيين ممن رفضوا الديوية يرون أن متطلبات التكنولوجيا تلح على تأكيد حرية الفرد لخلق صور عن العالم ترضيه ، كما أن هذا العصر شهد أيضا بزوغ ايديولوجيات تخضع الفرد لاهداف المجتمع المحددة وتطلب من الفرد أن يكون كاملا مهما فى تقدم المجتمع ، وهذا واجب أساسى عليه ، ومع اختلاف وجهتى النظر ، مما لا شك فيه ان فهم الانسان لنفسه ولعالمه الطبيعى والاجتماعى قد زاد كما وكيفا ، وهذا يدعو الى تعميق مناهجنا ليس فقط لاثراء المجتمع بل ايضا لاثراء الفرد .

ربما كان ديوى على حق عندما نادى باشتراك الفرد فى الوعى الاجتماعى للجنس ، ولكن قوله حق لان التربية الخبرة منها والشريرة تتطلب اشتراك المتعلم فى الوعى الاجتماعى للجماعة التى هو جزء منها ، بل اننا نعلم أن اللغة التى يتحدث بها ، التى ينطقها كفرد تحدد وتشكل طريقة تنظيم تفكيره وخبرته وقد تكون بداية تكوين هذا التشكيل والتنظيم منذ بواكير طفولة الفرد ، ويلعب الحوار الدائر بين الطفل وغيره من الاطفال وبينه وبين الراشدين دورا أساسيا

---

(١) د . سعد مرسى أحمد ـ المرجع السابق ـ ص ٤٨٤

فى هذا الشأن باللغة والتفكير تصبح عملية التربية ممكنة .[1]

ولكن لان التربية تمنح خبرتنا شكلا وتعبيرا ، فانها أيضا يمكن أن تكون الادارة الرئيسية لوضع الحدود أمام مهمة العقل ، والضمانات التى يمكن أن تستخدم مقابلة هذه الحدود هى وضع بديلات للاعمال .

على التربية ألا تكون ناقلة للثقافة ولكنها مورد لوجهات النظر البديلة عن العالم وعاملا مدعما للارادة لمناقشة هذه البديلات .

قال ديوى (( ان التربية يجب أن تبدأ بالتبصر النفسى فى قدرات الاطفال واهتماماتهم وعاداتهم ، لكن نقطة البداية ليست هى خط السير ، ومن الخطأ أن نضحى بالراشد من أجل الطفل . ))

ومن المبالغة العاطفية الافتراض بأن تعليم الحياة للاطفال أمر يمكن أن يتمشى مع ميولهم واهتماماتهم كما أنه من الشكلية الفارغة ارغام الاطفال على ترديد شعارات مجتمع الراشدين ))

يمكن خلق واثارة الاهتمامات ولن نحيد عن الصواب اذا قلنا أن الغرض يخلق الطلب .

---

( ١ ) د . سعد مرسى أحمد - المرجع السابق - ص ٤٨٥

ان تحدى ماهو موجود يخلق استجابات ، علينا اذن أن نجهز الاطفال بطرائق أشد عمقا وفعالية لمعرفة العالم الذى يعيشون فيه ... ومعرفة أنفسهم .

الخلاصة :

ان التربية ليست مجرد نقل الثقافة ، ولكنها شكلا لقوة وحساسية العقل حتى يستطيع كل فرد أن يتعلم كيف يبحث بنفسه ويكون ثقافة داخلية خاصة به ان المدرسة مدخل لحياة العقل ، بما يتضمنه هذا من الثقة فى استخدامه

ان مادة التربية هى المعرفة عن العالم وارتباط أجزائه بعضها بالبعض معرفة لها تكوينها وهيكلها وتنظيمها وتاريخها .. هذا يسمح بايجاد نظام وامكانية التنبوء فى الخبرة .

طريقة التربية متضمنة أن أى فهم مجرد مجهود منضبط ليعرف الفرد بنفسه ويحول ما فهمه الى تمثيل العالم تمثيلا منطقيا يأخذ فى اعتباره الجزئيات ولكن يعترف فى نفس الوقت بالاهمية القصوى للمعنويات والمجردات ، وهذه لا يمكن الاستغناء عنها .[1]

---

(١) د. سعد مرسى احمد ـ المرجع السابق ـ ص ٤٩٢

## ماهى طبيعة الاهداف عند جون ديوى :

جون ديوى خالف كثير من المربين ولم يسلك أى من السبل التى سلكوها فى محاولتهم تحديد الاهداف العامة والخاصة للتربية ، بل ذهب الى أن التربية ليس لها أى هدف خارج عن عطية التربية نفسها .

وان تحديد طبيعة الهدف من حيث هو من صميم النشاط بدلا من اقحامه عليه من الخارج .

وحتى نكون على قرب من التعريف بتوضيح المباينة بين النتائج والغايات ان كل طاقة تبذل لها نتائج ، فالرياح تثير رمال الصحراء ، فيتغير وضع مبانيها ، هنا أثر الطاقة أو نتيجتها ، ولكن ليس لها غاية ، لانه فى هذه الحصيلة شىء يتمم ماكان قبله ، فهو مجرد اعادة توزيع فى المكان وبالتالى ليس هناك أساس يتم بالقياس اليه انتقاء الحالة الاولى كبداية أو منطلق ، والحالة الثانية كفاية أو نهاية ، والقول بأن ما كان فيما بينهما عطية تحول وتحقق ولما كانت الاهداف متصلة دائما بالنتائج ، فأول ما نبحث عنه عند ما يتعلق الأمر بالاهداف ، هل العمل المعين ذو أطراف أو اتصال ذاتى ، أم هو مجرد سلسلة متجمعة من الافعال ، وهذا يتم أولا ثم سواه بعد ذلك .(١)

ومما يقضى على الاهداف قضاءً مبرما ، أن نسمح بفعل تمليه النزوة أو فعل

---

( ١ ) جون ديوى - الطبيعة البشرية والسلوك الانسانى - ص ٥٧

مفكك ، غير متصل بغيره باسم التعبيرالتلقائي عن الذات ، فالهدف يتضمن نشاطا منظما مرتبا ونظامه عبارة عن اتمام للعملية .[1]

والهدف معناه التنبوء مقدما بالغاية أو الختام الممكن لها .

الهدف كفاية متوقعة أو مستبصرة ، يمتد النشاط في كل الاتجاهات فهو ليس منظرا يستروح المشاهد بالنظر اليه ،بل يؤثر في الخطوات التي تتخذ للوصول الى الغاية .

ويعمل الاستبصار بثلاث طرق :

أولا - يتضمن ملاحظة مدققة للاحوال أوالشروط المعطاة ، كي يتبين المرء ما هي الوسائل المتاحة لبلوغ الغاية واكتشاف العقبات التي تعترض الطريق .

ثانيا - يقترح النظام الصحيح للتسلسل في استخدام الوسائل ، بذلك ييسر انتقاء وترتيبا اقتصاديين .

ثالثا - يختار البدائل الممكنة فان استطعنا حينئذ التنبوء بنتيجة الفعل على هذا النحو أو ذاك ،استطعنا حينئذ أن نقارن بين سياقي الفعل من حيث القيمة ،واستطعنا أن نحكم على مقدار الرغبة في كل منهما .

فان عرفنا أن الماء الآسن يربي البعوض ، وأن البعوض يحمل الامراض، استطعنا أن نتخذ الخطوات لتلافيها لاننا كرهنا النتيجة . ولما كنا لا نتوقع

---

(١) جون ديوى - الديموقراطية والتربية - ص ٩٢ - ٩٤

النتائج كمشاهدين ذهنيين ،بل كأشخاص معنيين بالنتيجة ، فنحن اذن مشاركون فى العملية التى تحدث النتيجة .

الخلاصة :

ان الفعل يهدف وهو بعينه الفعل الذكى ، وأن يرى ختام فعل معناه أن يكون لدينا أساس نبنى عليه الملاحظة والانتقاء وترتيب الاشياء ، وترتيب قدراتنا .

ان وضع هذه الامور معناه أن لديك عقلا ،لان العقل انما هو على وجه التحديد نشاط غرضى مقصود ،تحت سيطرة أدراك الوقائع وعلاقات كل منها بالاخرى .

وان تعتزم بعقلك صنع شىء معناه أن تستبصر مكانا مستقبلا ،وأن تكون لديك سمات التدبير أوالروية والملاحظة والتخطيط الواعى القابل للتنفيذ مع ملاحظة العقبات التى تعترض سبيلها ،أو اذا كان ما لديك اعتزام وليس توقعا غامضا ،أن تكون لديك خطة يدخل فى حسابها الموارد والصعوبات .

فالفعل باستطاعته ربط الشروط الراهنة بالنتائج المستقبلية وربط النتائج المستقبلية بالشروط الراهنة .

وهذه السمات هى المقصودة بالضبط بقولنا ـ ان لدينا هدفا أو غرضا .

والمرء غبى أو غير ذكى رأى ناقص العقل - بمقدار عدم معرفته فى أى نشاط هو بصدده ، أى النتائج المحتملة لافعاله ، والمرء الذكى ذكاء غير تام عندما يكتفى بتخمينات مفككة عن النتيجة ، مقدما بذلك على تجربة خطة ، أو عندما يضع خططا معزولة عن دراسة الشروط الفعلية ، بمافيها قدراته الخاصة. (١)
ومثل هذا الافتقار الى العقل من شأنه أن يجعل مشاعرنا مقياسا لما سيحدث فلكى نكون أذكياء ، ينبغى أن نقف وننظر ونسمع ونحن نضع خطة نشاط ما .

## أفكار متعلقة بأهداف التربية :

الهدف الاعلى للتربية عند " جون ديوى " هو تحقيق استمرار التربية بمعنى أن هدف التربية هو أن تساعد الفرد على أن يستمر فى تربيته ، وبالتالى فى نموه وتعلمه وتكيفه مع بيئته وحياته .

ويرى " جون ديوى " أن التربية ينبغى ألا تكون لها أهداف مفروضة عليها من الخارج ، لان الاهداف المفروضة من الخارج ، لا تمثل أهداف التلاميذ الحقيقية ، ولا تنبع من خبراتهم ونشاطهم .

والاهداف الحقيقية للتلميذ هى ما حددها بنفسه ، أو على الاقل اشترك فى تحديدها فى ضوء خبراته السابقة وحاجاته . (٢)

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٩٤ - ٩٥
(٢) جون ديوى - المرجع السابق - ص ١٠٤ - ١١٠

فى نظر " جون ديوى " أنه ليس فى فلسفة التربية التقدمية نقطة أكثر وجاهة من تأكيدها أهمية اشتراك المتعلم فى تكوين الاهداف التى توجه نواحى نشاطه فى عملية التعلّم ، كما أنه ليس هناك نقص فى التربية التقليدية أكبر من اخفاقها فى الحصول على تعاون التلميذ تعاونا ايجابيا فى بناء الاهداف التى تتضمنها دراسته .

والهدف الحق يبدأ بنزعة ، والحيلولة دون اشباع النزعة ، لان اشباعها مباشرة يجعلها رغبة .

ومن ذلك فليست النزعة فى حد ذاتها هدفا ، لان الهدف غاية متطورة ، أى أنه يتضمن التبصر بالعواقب التى سوف تترتب على العمل وفق النزعة . والتبصر بالعواقب يتضمن أعمال الذكاء ، وهذا يتطلب ملاحظة الظروف والملابسات الموضوعية ، ذلك لان النتائج لا تترتب لمجرد وجود النزعة والرغبة ، وانما تتم بتفاعلها أو تعاونها مع الظروف المحيطة .

وتنفيذ نزعة الفرد الى عمل بسيط كالمشي ، لا يتم الا بالصلة الفعالة بالارض التى يقف عليها .

ممارسة الملاحظة اذن شرط من شروط تحول النزعة الى هدف .

ان علينا أن نفعل ما نفعله عندما نعبر شريط السكة الحديدية ، علينا أن نقف وننظر وننصت .

على أن الملاحظة وحدها غير كافية ، بل لابد لنا من أن نفهم مغزى ما نرى ، ونسمع ونلمس .

هذا المغزى يتكون من النتائج التى سوف تترتب على العمل حسب ما نراه فقد يرى الطفل بريق اللهب فينجذب نحوه محاولا الوصول اليه ، وليس مغزى اللهب حينئذ فى بريقه بل فى قدرته على أن يحرق ، وهى النتيجة التى سوف تترتب على لمسه ، ونحن لا نستطيع ادراك النتائج الا بسبب وجود الخبرات السابقة .(١)

مما سبق يظهر لنا أن تكوين الهدف عند جون ديوى ليس بالعملية السهلة ، بل هو عملية عقلية معقدة تتطلب وجود دافع ورغبة لدى المتعلم كما يتطلب ملاحظة الظروف والملابسات الموضوعية المحيطة به ، ومعرفته لما حدث فى الماضى فيما يشبه هذا الموقف الذى بين يديه .

ثم تأتى عملية الربط بين ما لاحظه وبين ما استرجعه ومحاولة ترجمة الهدف الى خطة وطريقة للعمل .

يذكر " جون ديوى " فى كتابه (( الديموقراطية والتربية )) ثلاثة موازين للاهداف التربوية الحسنة :

الميزان الاول :

يتمثل فى أن الهدف أو الغرض التربوى يجب أن يؤسس على أوجه النشاط

---

(١) جون ديوى - الخبرة والتربية - ص ٦١ - ٦٦

الداخلى للتلميذ المراد تربيته وعلى حاجاته .

الميزان الثاني :

يتمثل فى امكانية ترجمة الهدف الى أعمال وخبرات دراسية تقوم على نشاط المتعلم وتساعد على تفتيح مواهبه واستعداداته .(١)

الميزان الثالث :

يتمثل فى وجوب اعتبار الاهداف بأنها أمور تقريبية ، وليست أمورا نهائية ، وفى وجوب الربط بين الاهداف ووسائلها .

وعلى الرغم من أن ديوى لم يرَ للتربية غرضا غير تحقيق نفسها فان كتاباته لا سيما كتابه "الديموقراطية والتربية" نجد فيه عبارات تدل دلالة واضحة على اعترافه ببعض الاهداف الفردية والاجتماعية للتربية .

ولا تخرج الاهداف التى اعترف بها عن هدف استمرار الخبرة وتجديدها وهدف تحقيق النمو المتكامل للفرد ، وهدف تحقيق الكفاية الاجتماعية ، وهدف تطوير المجتمع وتحسينه عن طريق خلق الفرد الصالح الذى تكامل نمو شخصيته وتربت لديه المعارف والمهارات والاتجاهات اللازمة لتحقيق الكفاية الاجتماعية. ومن الاهداف والاغراض التربوية التى وردت الاشارة اليها فى كتابه سالف الذكر الاهداف والاغراض التالية :(٢)

---

(١) جون ديوى- المرجع السابق - ص ١٠٤

(٢) جون ديوى- المرجع السابق - ص ١٠٤ - ١٠٥

١ - مساعدة الفرد على النمو المتكامل لشخصيته وعلى تفتح استعداداته وطاقاته وتنميتها ، لان التربية فى نظره لا تعدو أن تكون عملية نمو وعملية تفتح لاستعدادات الفرد .

٢ - مساعدة الفرد على التكيف المستمر مع بيئته الاجتماعية والطبيعية وتزويده بالخبرات التى يتطلبها هذا التكيف .

٣ - اعداد الفرد للحياة المستقبلة ، لكن من غير اهمال لمتطلبات حياته الحاضرة .

وهذا الفرض يقتضيه تفسيره للتربية بأنها عملية نمو لان هذا التفسير يتطلب مراعاة الامكانيات والمتطلبات الحاضرة ، والنظر اليها على أنها متطورة فى تقدم مستمر ، كما يتطلب أيضا العمل على اعداد الفرد لحياة مستقبله وجعله مسيطرا على متطلبات الحياة المتأخرة .

٤ - اعادة بناء الخبرة الاجتماعية وتحسين المجتمع وتطويره فكما أن التربية فى نظره هى عملية نمو وتفتح لشخصية الفرد فانها عملية اجتماعية تهدف الى تطوير المجتمع وتحسينه .

**أفكار عن الاهداف :**

لا تتكون الآراء كما لا يتكون التفكير فى الاهداف تلقائيا ، فليس هناك تصور

طاهر محض نقى للمعانى والاهداف ،فالادراك الخالص من كل تأثير لعـادة سابقة هو خرافة. اذ أن الاحساسات والمعانى التى تكون مادة التفكيروخطة الهدف تتأثر أيضا بالعادات التى تظهر فى الافعال ، هذه الافعال التى تؤدى بدورها الى ظهور الاحساسات والمعانى .

ومن الامور المسلم بها عادة أن يعتمد التفكير ،أو العامل العقلى من ادراكنا على الخبرة السابقة ، ولكن أولئك الذين يهاجمون الاتجاه القائل بالتفكير الخالص من كل تأثير للخبرة ، يربطون الخبرة عادة بالاحساسات التى تنطبع على عقل فارغ ،وهم بذلك يحلون نظرية الاحساسات الخالصة كمكونات لمدركاتنا وأهدافنا ومعتقداتنا ،محل نظرية التفكير الخالص ،ولكن الصفات الحسية المستقلة المتميزة ـ الى جانب أنها أبعد من أن تكون عناصر جوهرية ـ هى نتيجة تحليل على مستوى عال من البراعة ، معتمد على مصادر علمية فنية واسعة . اذ أن القدرة على عزل عامل حسى معين فى أى ميدان هى دليل على تدريب سابق ذى مستوى عال ، أى أن هذه القدرة تعتمد على عادات قد اكتمل تشكيلها ، ان قدرا متواضعا من ملاحظة الطفل لتبيان أن التمييز الشديد بين الالوان كالاسود والابيض والاحمر والاخضر، هو نتيجة التعامل المنتج مع الاشياء خلال عدة سنوات تكونت فى غضونها العادات ، وتحديد الاحساس بهذا الشكل الدقيق ليس بالامر الهين اذ أنه علامة التدريب والمهارة والعادة.[١]

---

(١) جون ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٥٥- ٥٦

## الوسائل والاهداف :

الوسائل والاهداف اسمان لحقيقة واحدة ، والتعبيران لا يدلان على تقسيم لهذه الحقيقة ، وانما يستعملان للتمييز فى الحكم ، ولا يستطيع أن نفهم طبيعة العادات ، ولا أن نذهب أبعد من فكرة الفصل بين ميدان السلوك الاخلاقى وغير الاخلاقى ، الا اذا استطعنا فهم أن الهدف يدل على سلسلة من الافعال ، اذا نظرنا اليها ككل متكامل مثل كلمة " جيش : مدرسة " والوسائل تدل على نفس السلسلة من الافعال اذا نظرنا اليها متفرقة مثلما نقول " هذا الجندى وذاك الضابط " والتفكير فى الهدف معناه أن نظرتنا تتسع وتمتد لتشمل العمل الذى ستقوم به .

بمعنى أن ننظر الى أقرب عمل كجزء من المنظر كله دون أن نسمح له أن يحتل كل ميدان البصر .. وأن نضع الهدف نصب أعيننا معناه أننا يجب ألا نتوقف عن التفكير فى أقرب عمل قبل أن نكون فكرة واضحة معقولة عن سلسلة العمل الذى نرتبط به .

ومن ناحية أخرى يكون معنى تحقيق الهدف البعيد أن نعامل هذا الهدف على أنه سلسلة من الوسائل .

وعندما نقول بأن الهدف بعيد أو قصى - عندما نقول أنه هدف - يساوى قولنا ان هناك عقبات بيننا وبين تحقيق هذا الهدف.

فاذا ما استمر مع ذلك ـ هدفا بعيدا فانه يصبح مجرد هدف ـ أى حلما من الاحلام ، وعند ما نصل الى تحديد الهدف يجب أن نبدأ التفكير متجهين الى الوراء ، اذ يجب أن نحول ما يجب علينا أن نقوم به الى كيف نقوم به ، أى الى الوسيلة اللازمة لذلك . وهكذا يظهر الهدف مرة أخرى كسلسلة من الافعال ( يجب أن يأتى بعد ذلك فى الترتيب ) وأهم فعل من الافعال التى تأتى بعد ذلك هو الذى يكون أقرب الى الفعل الذى نقوم به حاليا من أى فعل آخر .

وعند ما يتحول الهدف الى وسيلة نكون بذلك قد أدركناه ادراكا تاما ،أو قد اتضح لنا عقليا ـ وظهرت بذلك امكانية تنفيذه ـ وعند ما يكون الهدف مجرد هدف يكون غامضا معتما وعاطفيا .

ونحن لا نصل الى معرفة ما نرمى اليه حتى نخطط عقليا سلسلة العمل الذى ستقوم به .[1] والشخص الوحيد الذى يمكنه الاستغناء عن ترجمة الاهداف الى الوسائل هو " علاء الدين بمصباحه السحرى ".

أقرب الاشياء الينا الان والوسيلة التى فى مقدورنا الان هى " العادة " فاذا وقفت الظروف حائلا دون تنفيذ عاداتنا كان هذا بداية التفكير فى الهدف وكان أيضا الوسيلة الاولى لتحقيقه .

---

( ١ ) جون ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٦٠

فالعادة دافعة متحركة نحو تحقيق هدفا ما ، أو نتيجة ما ، سواء أكان هذا هدف بعيدا أم قريبا .

فالشخص الذى يستطيع المشى يمشى ، والشخص الذى يستطيع الكلام يتكلم حتى ولو كان ذلك مع نفسه .

ولكن كيف تتفق هذه العبارة مع حقيقة أننا لا نمشى على الدوام ولا نتكلم على الدوام ، ان عاداتنا تبدو فى أحوال كثيرة كأنها كامنة غير نشطة ؟

هذا الكمون ، وعدم النشاط يكون صحيحا بالنسبة للعملية التى يمكن رؤيتها بوضوح ، أى لا يصبح السمة السائدة المميزة للعمل الا أحيانا أو نادرا كما يتناوب قيادة السفينة بحاروها ، تظهر عادة المشى عندما ينظر الانسان وهو ساكن ، وتظهر كذلك حتى فى الاحلام ، بمعرفة الانسان للمسافات واتجاهات الاشياء من المكان الذى ينظر منه وهو ساكن ، هى البرهان الواضح على صدق العبارة السابقة .(١)

ان عادة التحرك والانتقال تكون كامنة ، بمعنى أنها مغطاة ، وتعميقها عادة النظر تكون بالتأكيد فى المقدمة ، ولكن الاعاقة ليست هى الكبت ، اذ أن التحرك والانتقال نشاط كامن ، لا بالمعنى الميتافيزيقى ولكن بالمعنى الذى يدخل فيه النشاط الكامن ، وما يمكن أن يصفه العلم بأنه نشاط حركى .

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٦١

وعلى هذا الاساس كل مايفعله ويفكر فيه الشخص الذى تكون لديه عادة التحرك والانتقال فانه يفعله ويفكر فيه بطريقة مختلفة .

هذه الحقيقة معترف بها فى علم النفس المعاصر ، ولكنها تسير نحو الترابط بين الاحساسات ، ولو لم يكن هناك استمرار اشتراك العادة فى كل عمل لما وجد شىء اسمه الشخصية ، ولوجدت بدلا منه مجرد حزمة أو مجموعة غير مترابطة لافعال منفصلة .

فالشخصية هى تداخل العادات ، واشتراكها فيما بينها ، لانه اذا وجدت كل عادة فى مكان منعزلة وقامت بعملها دون أن تتأثر أو تؤثر فى غيرها من العادات فلن يوجد شىء اسمه الشخصية .

وبهذا يفقد السلوك وحدته ويصبح مجرد تراكم استجابات غير مرتبطة لمواقف متفرقة .

ولكن حيث أن البيئات متداخلة ، والمواقف مستمرة والعناصر المتشابهة مشتركة بين المواقف المختلفة ، فان التغيير المستمر للعادات فيما بينها يحدث دائما وباستمرار .

والفرد قد يعبر عن نفسه بنظرة أو اشارة ، فالشخصية يمكن قراءتها من خلال الاعمال الفردية. (١)

---

( ١ ) جون ديوى - المرجع الاسبق ص ٦٢

**نقد لآراء ديوى فى الاهداف :**

١ ) يذكر ديوى أن التربية ينبغى الا تكون لها أهداف مفروضة عليها من الخارج ، لان الاهداف المفروضة من الخارج لا تمثل أهداف التلاميذ الحقيقية ولا تنبع من خبراتهم ونشاطهم .

وهذا فى رأيى خطأ لان التلميذ فى سنه المبكرة وتجاربه المحدودة لا يمكنه وضع الاهداف العظيمة التى يصبوا المجتمع لتحقيقها عن طريق تعليم ابناءه للنهوض بالمجتمع فى مستقبل الايام .

صحيح أننا يجب علينا تنمية خبرات التلاميذ واستغلال نشاطهم فى الاعمال المفيدة التى تكسبهم معرفة للحياة وتربية أجسامهم التربية الصحيحة لكن المربين يجب عليهم وضع الاهداف العامة المنبثقة من الدين والاخلاق والاعراف الاجتماعية بالاضافة الى تعليمهم وتثقيفهم بالعلوم الطبيعية والرياضية والتى تعد من سمات العصر الحديث ،هذا بالاضافة الى اللغات الحية .

٢ ) الهدف الاعلى عند ديوى هو تحقيق استمرار التربية ، بمعنى أن الهدف هو أن يستمر الفرد فى تربيته وتعلمه وتكيفه مع بيئته وحياته .

هذا فى حين أن هدف التربية فى المجتمعات الاسلامية هو معرفة الخالق سبحانه وتعالى وهذا أشرف درجات العلم والمعرفة

قال تعالى "" وفى أنفسكم أفلا تبصرون"" ليس هذا فقط بل عبادته والتمسك بشرعه سبحانه بالطريقة التى ارتضاها لنا سبحانه العمل بأوامره واجتناب نواهيه .. بالمحافظة على آخر الاديان "" الاسلام"" قال تعالى "" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا "" (١)

ويتم ذلك بالرجوع الى المصدرين العظيمين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واتباع خاتم النبيين والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الذى لم يترك خيرا الا دل الامة عليه ولا شرا الا حذرها منه .

٣) تأثره بطبيعة المجتمع الامريكى الذى عايشه وهو عبارة عن خليط من عدة أجناس وثقافات وقيم متباينة ، لهذا نجده فى فلسفته البراجماتية يذكر أن القيم متغيرة ، واعتقد أن ديوى لو تعرف على الدين الاسلامى الصحيح قد يكون له رأى آخر .

٤) جون ديوى رجل متأثر بالعلوم الطبيعية ذات النزعة التجريبية وفلسفته (البراجماتية) تتلخص فى أن الماضى قد انتهى والمستقبل لا نعرفه وعلينا بالحاضر وتجرى التجارب حسب الظروف الراهنة ونستفيد من نتائجها بالقدر الذى يعود علينا بالمنفعة .

---

(١) سورة المائدة ـ آية ٣

٥ ) يذكر ديوى أن الاهداث ثابتة فى أى مجتمع تكون ذات صلة وثيقة بماضى المجتمع ،فهى نتيجة لمعتقدات ذلك المجتمع وتقاليده وتراثه .

فالذين لايؤمنون بماضى مجتمعهم القائم على أساس متين ، أعنى الماضى المبنى على تقاليد ومعتقدات صالحة لا ينادون بأهداف ثابتة لمجتمعهم ، ولما كان ديوى يهتم بالحاضر ويهمل الماضى فهو يؤكد أن مجتمعه الامريكى مقلوع الجذور ، فلاغرابة اذا نادى ديوى بأن الأهداف متغيرة .

٦ ) ذكرنا أن ديوى يقول بتغير القيم فالقيم المتغيرة تحدث تغييرات فى المقاييس وبالتالى تتغير الاهداف ، وينتج عن ذلك اضطراب فى المجتمع بمعنى أن القيم النسبية تحدث تفككا فى المجتمع .

٧ ) المجتمع ليس مجموعة أفراد تجمعهم غريزة العيش لكنه زيادة على ذلك يضم قيما ثابتة . . تبقى هذه القيم وان انقرض معظم أفراد المجتمع ، أو كانوا موجودين لكنهم قد تنكروا لها ،ولو كانوا أحياء بأجسادهم غير أنهم أموات لعدم فاعليتهم .

من ذلك ما نرى كثير من المسلمين بالرغم من معرفتهم للعقيدة الاسلامية وأحكامها ، الا أن أنانيتهم تدفع بهم لاخذ وتفضيل الاحكام الدخيلة على الاسلام .

مثلا : اتباع القوانين غير الاسلامية في القصاص وغيره . قال تعالى : "" ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب "" صدق الله العظيم لان في قتل المجرم القاتل عمدا حياة للمجتمع وتطهيرا له ، وردعا لكثير من المنحرفين .

ان كثير من المفكرين العرب والمسلمين ، تأثروا بالآراء ، والشخصيات الغربية ، وتمسكوا بآرائهم دون وعي بأحكام الدين الاسلامي الذي حرى بهم أن يتعرفوا عليه أولا ويقيسوا جميع المفاهيم والمعتقدات الاخرى عليه .

فما وافق منها الاسلام أخذنا به وما خالفه تركناه .. ذلك أن الدين الاسلامي هو الاصل ، وتعاليمه السمحة هي الحقيقة التي بدونها لا تستقيم حياة البشر لان الله سبحانه وتعالى خلق الناس وهو جلا وعلا أعلم بطبائعهم ونفوسهم وأفضل السبل لتقويم هذه النفوس.

٨) يعتقد ديوي أن التعقيدات الناتجة من تطور المجتمع الحديث لا تسمح بأن يقوم المجتمع على مبادئ ومقاييس ثابتة لان المبادئ التي توجه الناس في المجتمع المتطور تكون دائما قابلة للتغير ، والتعديل ، وتساير التطلعات الجديدة .

ولما كان ديوي متأثر بالعلوم الطبيعية ، فقد كان فهمه لكل المبادئ حتى توجه الناس في حياتهم اليومية على أنها من طبيعة المبادئ والقواعد الموجودة

فى العلوم والرياضيات . . وهى قواعد ثابتة . . وهذا خطأ كبير لان هنـــاك فرقا بين قوانين العلوم والرياضيات والمبادىء المستعملة لتنظيم شئون النـــاس فالاخيرة يمكن أن تكون عامة ومطاطة لتستوعب تفاصيل نجعلها مناسبة للمستقبل . ولكن وضع التفاصيل مع الاحتفاظ بروح المبادىء يحتاج الى مقدرة على تنبـــوء طويل المدى . . وهذا يعتمد على فهم صحيح وسليم لطبيعة النفس البشرية .

وقد يقول معترض أنه لا يمكن للانسان محدود التفكير والمعرفة أن يضـــع مثل هذه المبادىء .

لذلك نجد أن الاسلام بما أنه من عند الخالق سبحانه وتعالى فهو دين عبادة ومنهج حياة ، يعالج جميع نقاط ضعف النفس البشرية والدليل على ذلك حضارة الاسلام التى نشأت نتيجة لتمسك الرعيل الاول من المسلمين فى صدر الاسلام ومن جاء بعدهم وكل ما أصاب الامة الاسلامية اليوم من ضعف وتأخر نعـــزوه بالدرجة الاولى لابتعاد المسلمين عن تطبيق التشريع الاسلامى فى حياتهـــم الحاضرة ولن يصلح آخر الامة الا بما أصلح أولها وهو الدين الاسلامى والامل كبير فى الله سبحانه وتعالى ثم فى المسلمين بالرجوع الى شرع الله وتحكيمه فى كل أمورهم .

قال تعالى "" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما "" (صدق الله العظيم ) [1]

-٠-

( ١ ) سورة النساء ـ آية ٦٥

# الفصل السابع

## المدرسة والمجتمع

### * المدرسة

- ماهية المدرسة .
- المدرسة والتقدم الاجتماعي .
  - التغير الصناعي .
  - المدرسة وحياة الطفل .
  - التلف أو الضياع الكبير في التربية ؟

### * المعلم

- مادة المربي ومادة التعلم .
  - أفكار ديوي المتعلقة بمناهج الدراسة .
  - أفكار ديوي المتعلقة بطرق التدريس .
  - مميزات طريقة المشروع .
  - المجتمع .
  - خصائص النظم الاجتماعية عند ديوي .
  - من مميزات النظام الديموقراطي .

## المدرسة والمجتمع

### (أ) المدرسة :

مؤسسة تربوية تنقل التراث الحضارى للاجيال الناشئة ، وتساهم في تقدم ورقى الامم ، وهى اداة لاصلاح المجتمع وتطوره فى الدول النامية ورسالتها امتداد لرسالة المسجد .

على أن عمل المدرسة لا يقتصر على تزويد المتعلمين بالخبرات التى تساعدهم على الاستمرار فى الحياة والمجتمع ، ولكنها بيئة من نوع خاص يمارس فيها المتعلمون خبراتهم للابتكار والكشف بالاستعانة بذكائهم وقدراتهم الشخصية للانتقال الى خبرات جديدة تختلف عن خبرات ومفاهيم الطفل .

يرى "ديوى" ضرورة وأهمية الاستمرار بين المدرسة والمجتمع والبيت ، ويلوح أنه أغفل الوظيفة الخاصة للتربية كاطلالة على أبعاد جديدة ، فلو كانت المدرسة مجرد منطقة انتقال من الالفة الاسرية المنزلية الى حياة المجتمع فهى اذن عملية من السهل اعدادها وتنظيمها يتم بصورة جلية فى المجتمعات البدائية حيث تقام حفلة ينتقل فيها الفرد من الطفولة الى البلوغ والرشد ، وبذلك يتحمل مسؤوليات معينة غير أننا فى مجتمعاتنا الحديثة يطلب من الصغار التعرض الى الخبرات والتجارب التى تصقل مواهبه وتسير به قدما للكشف عن الغوامض وتكسبه قوى جديدة ، هذه هى مادة التربية ، كما يجب أن تكون .

مثال من التربية الصينية التقليدية حيث ترى صورة الشخص الجميل هى المعيار للفرد الذى يستطيع المزج بين المعرفة والعاطفة والعمل وصهرها كطريقة للحياة .[1]

## ماهية المدرسة :

المدرسة هى مؤسسة اجتماعية ، كما أن التربية أساسا عملية اجتماعية ، فالمدرسة تهيىء الطفل الى المشاركة فى الحياة واستخدام قواه الخاصة لتحقيق الاهداف والغايات الاجتماعية ،لذا فالتربية عملية من عمليات الحياة وليست اعدادا لحياة المستقبل فقط .

فالمدرسة يجب أن تكون مطابقة لحياة الطفل فى البيت والمجتمع المحيط بـه .

المدرسة يجب أن تبسط الحياة الاجتماعية حتى يتمكن الطفل من الاتصال بالحياة ،دون الارتباك والتشتت الذى يجعل استجابته غير منظمة .

المدرسة ينبغى أن تنمو تدريجيا من حياة المنزل ، فتتعهد أنواع النشاط الاسرى وتدفعها الى الامام فتتخذ المدرسة من الخبرات الماضية للطفل وتبنى عليها الافكار الجديدة على أساس سليم ، فالبيت هو صورة الحياة الاجتماعية التى

---

(١) د .سعد مرسى أحمد ـ تطور الفكر التربوى ـ ص ٤٨٦

يكتسب فيها الطفل العادات الخلقية وعلى المدرسة تبسيط وتعميق شعوره بالقيم المرتبطة بحياته المنزلية .

**المدرسة والتقدم الاجتماعي :** (١)

يذكر "جون ديوى" أن التقدم الذى يصل اليه الطفل فى نموه الجسدى وتقدمه فى القدرة على القراءة والكتابة والحساب ومعلوماته فى الجغرافيا والتاريخ وتحسن طباعة فى التهيوء والاستعداد فى النظام والمواظبة ، هذه المعايير نقيس بها عمل المدرسة .

غير أن ما نريده (نموذجا ) آخر لمدارسنا ، فالاطفال هم القوة الفعالة فى المستقبل ، والمجتمع يأمل تحقيق الامثل من خلال الامكانات الجديدة التى تتفتح فى المستقبل حيث تتحد الجهود الفردية والاجتماعية .

ولا يمكن للمجتمع أن يكون صادقا مع نفسه الا اذا كان صادقا فى تيسيره النمو التام لجميع أفراد المجتمع .

وليس فى هذا التوجيه الذاتى شىء مهما كالمدرسة ،فهى كما يقول هوراس مان Horace Mann و(( حينما ينمو شىء ما فان مؤسسا أو منشأ واحدا يعادل ألف مصلح أو مجدد )) .

---

(١) جون ديوى- المدرسة والمجتمع -ص ٣١ - ٣٣

عند ما نريد بحث حركة جديدة فى التربية ، يجب التعرف على مختلف وجهات النظر الاجتماعية . . والا فان التغيرات التى تحدث فى المؤسسات المدرسية وفى التقاليد تظهر على أنها تغييرات تعسفية يقوم بها المعلمون على أسوأ الآراء أما أحسنها فتذكر أنها مجرد تحسينات فى تفاصيل خاصة . ان التغيرات التى تحدث فى المدرسة وعن طريق التربية ومناهجها نتاج الحالة الاجتماعية المتغيرة انما هى لخدمة المجتمع مثل التغيرات الصناعية والتجارية .

( التربية الحديثة ) فى ضوء تغييرات المجتمع هل نستطيع الربط بينها وبين تلاحق الحوادث ؟

ان استطعنا ذلك فانها تفقد انعزاليتها ، ويمكن أن نسأل ما أهم أوجه الحركة الاجتماعية ؟ ثم ننظر الى المدرسة - لنرى ما البنية التى تقدمها لنعرف أنها تسير فى نفس الطريق ؟ وبما أنه من المستحيل الخوض فى المجال بأكمله ، لذا نقتصر فى الحديث بصورة عامة عن الحركة المدرسية الحديثة ما يسمى (بالتدريب اليدوى ) .

أولا - التغير الصناعي :

يقصد بالتغير الصناعى تطبيق العلم الذى أسفر عن المخترعات التى استغلت قوى الطبيعة ، فتحول وجه الارض وتغيرت عادات المعيشة والناس لدرجة أن الاراء الخلقية والدينية أصابها التأثر . (١)

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٣٤

اننا لا نستطيع التغاضى عن أهمية الاهداف التربوية المتصلة بالطبيعة بمعرفة استعمالاتها والتدريب المستمر على الملاحظة والتفنن والتخيل البناء والتفكير المنطقى وادراك الواقع .

كانت القوى التربوية للغزل والحياكة المنزلية ومحلات نشر الاخشاب والـ ادين ، تعمل باستمرار دون أن تقدم المدارس التدريب اللازم .

المدرسة حتى تكون بحق صورة أصيلة عن المجتمع وذات فعالية فيه يجب أن تعود الطفل وتعلمه حتى يستطيع الحياة فى مجتمعه . . تعلمه أعمال الزراعة ان كان يعيش فى مجتمع زراعى - مبادىء الصناعة عامة وتزيد من معرفته بالمصنوعات الشائعة فى مجتمعه حتى لا يكون الطفل فى المدرسة فى واد ، وعندما يخرج الى المجتمع والحياة العامة يجد نفسه قضى سنوات فى تعلم مفاهيم قد لا يستفيد منها الا القليل .

ان عمل المدرسة يستمر بتعلم تسهيل الدروس ، والتعاون ، بل قد يصبح جهدا خفيا لا راحة فيه من حيث واجبه الشرعى (الواجبات المدرسية ) غير أنه عندما يبدأ العمل يفاجىء بأن روح الاتصال الحر وتبادل الاراء والاختراعات نتاج خبراته السابقة تفتقر الى اعادة المعلومات ، فاذا أدخلنا المنافسة من حيث المقارنة بين الافراد كمية المعلومات التى استوعبوها بل بالنظر الى نوعية العمل المقدم . لانه معيار القيمة الصحيح فى المجتمع على نحو أشمل ودائم .

اذن على الحياة المدرسية أن تنظم نفسها فى قاعدة اجتماعية فاذا كانت الغاية تنمية روح التعاون الاجتماعى وحياة المجتمع ، فيجب أن يكون الضبط ناميا مع هذا الهدف وعائدا اليه .

من الواجب والمستحسن ادخال أنواع متعددة من المهن الفعالة الى المدارس وبواسطتها تتجدد روح المدرسة وترتبط بالحياة العامة .

الطفل فى المدرسة عندما يشارك فى العمل فالهدف هنا ليس القيمة الاقتصادية ولكن تنمية القوة الاجتماعية وبعد النظر والتحرر من المنافع الضيقة وتفتح امكانات الروح البشرية هو يجعل هذه الفعاليات العملية فى المدرسة حليفة للفن ولمراكز العلم والتاريخ .

تعرض " ديوى " هنا لطريقة المشروع " الوحدات" وهى الطريقة التى حمل لواءها من بعده تلميذه كلباتريك . . ذكر "" ديوى"" أنه فى الجغرافيا تتحقق وحدة العلوم كلها ، وأهميتها فى تعرفنا على الارض ، فهى مصدر طعام الانسان وملجأه الدائم والمادة الخام لفعالياته ،هى الحقل والمنجم والمصدر لطاقاته الحرارية بها الضوء والكهرباء ، وهى المسرح العظيم للمحيط ـ الساقية ـ الجبل ـ السهل الذى به مزارعنا نستخرج منها المعادن ونقطع الاخشاب.

بموادها الاولية صنع الانسان تقدمه التاريخى والسياسى والحضارى وبهذه المهن تطورت التفسيرات الانفعالية والذكائية التى تخص الطبيعة بما

تصنع من الارض وبمعونة العالم الذى نعيش فيه ، نفهم معناه ونقيس قيمه .[1]

يعنى هذا تربويا ، أن المدارس يجب أن تكون مراكز فعالة لبعد النظر العلمى فى المواد والعمليات الطبيعية والنقاط التحول تأخذ بيد الاطفال الى ادراك النمو التاريخى للانسان .

ثانيا ـ المدرسة وحياة الطفل :

الطفل بطبيعته فعال ، والتربية تمده بالتوجيه وتنظيم فعالياته نحو النتائج القيمة حتى لا تكون مبعثرة وتعد تعبيرا طائشا .

وكثيرا ما يتساءل الناس ـ اذا كنت تبدأ بأفكار الطفل ودوافعه ، وكلها غير ناضجة وارتجالية ضئيلة فى روحها وتبلورها ، كيف يمكنه أن يحوز على النظام والثقافة والمعلومات الضرورية ؟ اذا كان لدينا تنظيم للموارد والتجهيزات نستطيع توجيه فعاليات الطفل ومنحها التدريب المطلوب حتى تصل الى الهدف .

وبما أن اشباع الدافع يعنى تنفيذه وتنفيذه يشمل التغلب على العقبات والتعرف على المواد يعنى أن تبدى مهارة وخبرة ومواظبة وانتباه وهذا يتضمن الضبط ـ تنظيم للقوى ـ واكساب للمعرفة . فالاطفال يرغبون غالبا صناعة أشياء ومراقبة النتائج ، ويمكن الاستفادة من ذلك بتوجيههم الى طرائق ذات نتائج قيمة ، خاصة وأن الدافع الفنى عند الاطفال مرتبط بالغريزة الاجتماعية التى تعنى

---

(١) جون ديوى ـ المرجع السابق ـ ص ٤١

الرغبة في التحدى والتمثيل ، وبالشغف بالاكتشاف ،وحب الاستطلاع انتوجيه طاقات الاطفال ورغباتهم وسيلة لتقدمهم .

من الملاحظ أن هناك فرق بين أن يكون للطفل شيء يتحدث عنه ،وبين أن يحفظ معلومات لاعادتها ، فالطفل أو التلميذ الذى لديه أنواع عديدة من المواد والحقائق ،يريد أن يتكلم عنها ، تصبح لغته قوية لان الوقائع تمده بالمعلومات . ومن الافضل والممكن تدريس القراءة والكتاب على هذا الاساس. . . وبصورة ارتباطية ، أن توجه المعلومات والمعارف نحو رغبة التلميذ الاجتماعية فى أن يحصى خبراته ويكتسب خبرات من حوله ، أن قضية علاقة المدرسة بحياة الطفل فى أساسها كمايلى :

١ - اذا اعتقدنا بحياة الطفل فان المهن والعلم ومايتصل بها تصبح أدوات جذابة ومواد ثقافية لخياله .

٢ - ان خلف النتائج المتطورة تعديل الاتجاه الفكرى والاساسى بالقوة النامية والقدرة على بعد النظر عندما يمكن للطبيعة والمجتمع أن يعيشا فى غرفة الدراسة ،تهيء بذلك فرص التعرف وتصبح الثقافة الطريق الى الديموقراطية . (١)

ثالثاً - التلف - أو الضياع الكبير في التربية :

ان عجز الطفل عن الانتفاع بما يكتسب من الخبرات ، خارج محيط المدرسة

---

(١) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٦٩ - ٧٣

ويرى نفسه عاجزا عن استعمال ما يتعلمه عن المدرسة فى حياته اليومية .

هذه هى عزلة المدرسة ، فالواجب أن يدرس الطفل الحساب والجغرافيا التجارية ولكن ليس بوصفها أشياء منعزلة ولكن باعادتها الى المحيط الاجتماعى .

فالطلبة بحاجة الى التعرف على البنوك والمصارف باعتبارهما أحد قطاعات الحياة الحديثة ، أن يعرفوا ما يؤديانه من عمل وكيف يقام بالعمل وحتى تكون عمليات الحساب مناسبة وذات معنى .

ان عقل الطفل يتعامل مع الاشياء المحسوسة ، لذا يجب أن ندخل الاشياء الملموسة والمحسوسة الى المدرسة حتى يستطيع الطفل استيعاب المعلومات بعقلية وجسمه معا .

يجب ربط المدرسة بالحياة بصورة تجعل الخبرة التى اكتسبها الطفل مألوفة وحتى يصبح ما يتعلمه الطفل مستعملا فى الحياة اليومية ، بذلك تكون المدرسة كلا عضويا وتختفى انعزاليتها ويصبح للخبرة ناحيتها الجغرافية بجانبها الفنى والادبى والعلمى والتاريخى .

كل الدراسات تنبثق من أوجه واحدة ، ونحن نعيش فى عالم كل جوانبه مرتبطة معا .

ونمو الطفل فى اتجاه الحذق والمقدرة الاجتماعية واتحاده بالحياة بصورة أوسع وأكثر حيوية ، ليصبح هدفه التوحيد ويأخذ النظام والثقافة

والمعلومات كلها من أوجه هذا النمو .[1]

## ب - المعلـــــم :

المعلم ليست مهمته مجرد تدريب الطلبة ،بل تكوين الحياة الاجتماعيـة الصحيحـــة . ويجب أن يعرف كل معلم كرامة مهنته ، انه خادم اجتماعى انفرد بحفظ النظام الاجتماعى الصحيح ، وتأمين النمو الاجتماعى الصادق .

والمعلم فى هذا الطريق انما هو رسول الاله والهادى الى ملكة الحق .

يقول تعالى : "" انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور "" (سورة فاطر : آية ٢٨ )

يقول تعالى :"" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آوتوا العلم درجـات والله بما تعملون خبير "" ( المجادلة : آية ١١ )

قال صلى الله عليه وسلم : " العلماء ورثة الانبياء ،والانبياء لا يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر من حديث ( رواه أبوداود والترمذى ) .

يقول صلى الله عليه وسلم " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب " ( رواه أبو داود والترمذى والنسائى ) .

---

( ١ ) جون ديوى - المرجع السابق - ص ٨٥ - ٨٧

( ٢ ) د . محمد الهادى عفيفى - فى أصول التربية - الاصول الفلسفية للتربية .

قال الامام على رضى الله عنه : " العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم فى الاسلام ثلمه لا يسدها الا خلف منه " ( ذكره الغزالى فى الاحياء فى بيان فضل العلم ) .

فصلاح المجتمع انما يكون بصلاح علماؤه ويجب استشارتهم واحترام آرائهم العلمية والموضوعية .

رسالة المعلم فى هذه الحياة انما تكون فى المساهمة فى نقل المعرفة وبناء الحضارة ، وتشكيل اتجاهات الافراد ، وتوجيههم وارشادهم وعلاج مشكلاتهم والاشتغال بالتعليم مرتبطا بالايمان والاخلاص ، وهو من أعظم الطاعات ، ونوع من العبادة التى يتقرب بها الانسان الى ربه .

المعلم وسيط حي لنقل المعرفة الى تلاميذه ومساعدتهم على تنمية المرغوب من المهارات والقيم وهو كعضو فى هيئة تدريس يساهم فى أعمالها ومسئولياتها الادارية والفنية فى تهيئة الجو النفسى والاجتماعى الملائم ، وبناء العلاقات الاجتماعية السليمة داخل المدرسة .[1] فالمعلم انما وجد ليوجه الطالب ويساهم فى تكوين عادات معينة يريد غرسها فى نفوس طلبته فان مهمته استنادا لخبراته السابقة والواسعة ، ونضج تفكيره وحكمته .. ومساعدة الطالب للاهتداء لكيفية التكيف لنظام الحياة الاجتماعية ، وبمقدار ما يكشف عن قدرات واستعدادات الطالب يمكنه أن يحقق أعظم خدمة لبنى الانسان .[2]

---

( ١ ) عمر محمد الشيبانى - ص اعداد المعلم وأثره فى تطبيق منهج التربية الاسلامية ص ٩

( ٢ ) د . أحمد فؤاد الاهوانى - جون ديوى - ص ١٦١ - ١٧٥ - ١٧٤

ان كل شخص يعني بالتربية مهمته أن يوجه النظر الى المدرسة باعتبار أنها أعظم الاشياء خطرا في التقدم والاصلاح الاجتماعيين ، كي يفتح المجتمع عينيه ليرى منزلة المدرسة وما تقوم به من عمل ، ويتنبه الى ضرورة منح المربي الحاجات الكافية لاداء مهمته بالشكل الأمثل .

مادة المربي ومادة التعلم :

المادة الدراسية هي عبارة عن الوقائع الملاحظة والمسترجعة والمقروءة والمتحدث عنها ، والافكار المقترحة في سياق تنمية موقف له هدف .

والمربي عليه استثارة التلميذ وتوجيهه الى المسار الصحيح للتعليم . يساهم في تكوين الاستعدادات فكريا وعاطفيا ، وذلك عن طريق مايسمى بالتربية غير المقصودة .

ان أهمية معرفة المادة الدراسية بالنسبة للمعلم ، معرفة أوسع وأشمل بكـ ـر ماينبغي أن يتعلمه تلاميذه . .

ان معرفته بالمادة وتمكنه منها ، واقتناعه بما جاء فيها يساهم الى حد بعيد في توصيل المعلومات الى أذهان التلاميذ والتأثير فيهم .[1]

---

( ١ ) جون ديوى- الديموقراطية والتربية - ص ١٦٤ - ١٦٧

أ - المواد الدراسية : التي ينبغي أن يوصلها المعلم لتلاميذه يجب أن تتضح مكوناتها الاساسية لديه وتكون منظمة بطريقة منطقية .

ب - معرفة الافكار : المتحققة في الماضي للتنبوء بردود الافعال التي قد تظهر له حتى يتمكن من تقديم المنبهات اللازمة لتوجيه الطلبة .

فالمادة الدراسية المنظمة تمثل الثمار الناضجة للخبرات وهي لا تمثل الكمال غير أنها أفضل الموجود .. . ريثما تظهر الانجازات التي تجسدها المعرفة وأعمال الفن المتاحة في الوقت الحاضر .

ان مادة دراسة المتعلم لا يمكن أن تكون مساوية لمادة دراسة الراشد ، ان المعلم يعرف بالفعل المعلومات التي يتلقاها الطالب وتكون مشكلة كل منهما يختلف عن الاخر :

١ - المعلم : يجب أن يكون مستوعبا المادة التي يدرسها وانتباهه منصرف الى اتجاه التلميذ واستجابته .

٢ - مهمته : أن يفهم تفاعل استجابة التلميذ مع المادة الدراسية غير أن التلميذ يكون مهتما بالموضوع الذى بين يديه .

٣ - مشكلة التدريس : في ابقاء خبرة الطالب متحركة في اتجاه ما يعرفه الخبير فعلا ، ومن ثم حاجة المعلم الى معرفة المادة الدراسية وحاجات الطالب وقدراته المميزة .

٤ - المعلم يمثل دور الذكاء : في طرح خبرات جديدة ، والسيطرة عليها ، فهو يتعقبها منهجيا وعلى نطاق واسع خالي من القيود .

٥ - المعلم هو وسيلة التقدم الواعى : المتميز عن التقدم المرضى .[1]

**أفكار ديوى المتعلقة بمناهج الدراسة :**

ديوى ينتقد الطريقة التقليدية للمناهج حيث يقسم المنهج الى مواد منفصلة ،وترتب منطقيا .

ليس المركز الحقيقى للمنهج فى نظر ديوى ( المواد الدراسية المنفصلة ) بل المركز هو نشاطات الطفل الذاتية وخبراته ،ومنها يتكون المنهج وبها أن تبدأ الدراسة .

حاول ديوى تطبيق هذا المبدأ فى منهج مدرسته الابتدائية التجريبية.

فى هذه المدرسة بدأ الاطفال بأوجه النشاط المعروفة لديهم فى المنزل ،والحياة العامة ،والنشاطات المتصلة بالحصول على الحاجات الاساسية للانسان من مأكل وملبس ومأوى ، كالطبخ والخياطة ، وبناء البيوت ، وما يتصل بها من مواد غذائية وقطنية وخشبية ، هذه النشاطات تحفز القوى العقلية وتربطها بالاعمال الوظيفية ، واهتم "" ديوى"" بتعلم الحساب ، الموسيقى ، الفن ، النجارة ، الطبخ ، الخياطة ، العلوم ، الجغرافيا ، التاريخ ، القراءة، الكتابة البستنة ، كانت هذه المواد تدرس عرضا عن طريق ربطها بمواقف ومشاكل الحياة .

---

( ١ ) جون ديوى - الديموقراطية والتربية - ص ٢٠٥

والطريقة التى اتبعت فى تنظيم الخبرات وتدريسها هى طريقة المشروعات وهى منهج مدرسة "" ديوى "" التى يدخل تحتها ثلاث فصائل :

١ - **الاعمال اليدوية :** الغزل والخياطة والطبخ لهذه النشاطات قيمة جسمية وعقلية ، وقد ناقشها "ديوى" فى كثير من كتاباته من أهمها (المدرسة والمجتمع ) - القيمة التربوية للاعمال اليدوية فى مناهج الدراسة - فالمهنة تجهز الطفل بدافع حقيقى وتعطيه خبرة مباشرة وتهيء له الاتصال بالامور الواقعية . ومع نمو عقل الطفل فى القوة والمعرفة لا تصبح المهنة وحسب بل تصبح أكثر فأكثر وسيلة أو أداة للفهم .[1] فاذا فهمت المهن فى المدارس على هذا الاساس من الاتساع عندها لا أملك الا الاستغراب من الاعتراضات القائلة باخراج المهن من المدارس لانها مادية نفعية ، من يقول بذلك كأنه يعيش فى غير عالمنا .

٢ - **من النشاطات والدراسات** المتضمنة فى منهج مدرسة "" ديوى "" تساعد على فهم الحياة الاجتماعية ، وبالرغم من وجود التاريخ والجغرافيا والعلوم والفنون الا أنها لا توجد مستقلة تحت هذه العناوين فى المنهج .

٣ - **منهج مدرسة ديوى** تشمل الدراسات والخبرات التى تمكن التلميذ من تنمية قدرته على الاتصال والبحث العقليين ، مثل الدراسات المتصلة بالقراءة والكتابة والحساب . وهى أيضا لا توجد منفصلة بل متصلة بمواقف الحياة وأعمال التلميذ اليدوية .

---

(١) د .عمر محمد الشيبانى - تطور النظريات والافكار التربوية ، ص ٣٠٥-٣٠٦

كثير من المبادىء التى طبقها فى المدرسة الابتدائية ، نادى بها فى المدرسة الثانوية ، غير أن هناك نوعان من الموازين للتحكم فى تنظيم واختيار محتويات منهج المدرسة الثانوية .

١ - خصائص طلبة المرحلة الثانوية .

٢ - الظروف الاجتماعية والثقافية فى كل موقف تعليمى .

المدرسة الثانوية وظيفتها تمكين الطالب من الاستمرار فى توسيع دائرة ثقافته العامة ، مع عدم فرض دراسات تخصصية معينة .(1)

## أفكار ديوى المتعلقة بطرق التدريس :

نورد بعض الآراء التى آمن بها "ديوى" وطبقها فى مدرسته ومنها :

١ - الاهتمام بالخبرة المباشرة ، والايمان بأن التربية انما تتحقق عن طريق الخبرة ، ومن مميزات الخبرة الصالحة :

١ . مساعدة الفرد على بناء خبرته وتجددها واستمرارها .

٢ . التفاعل بين الفرد والبيئة التى يعيش فيها وما يتصل فيها من مشاكل قد تعترضه .

٣ . يرى ديوى أن تنظيم الخبرات ضرورى .

وقد عبر ديوى عن هذه الفكرة بقوله (( ان المربى لا يستطيع أن يبدأ بالمعرفة المنظمة من قبل أن يمضى فى تقديمها فى جرعات مقررة . وينظم

---

(١) جون ديوى - المرجع الاسبق - ص ٤٠-٤٥

الحقائق والافكار ، ولا تكون الخبرة تربوية مالم تهدف الى معرفة المزيد من الحقائق وادراك المزيد من الافكار ، والى ترتيب الحقائق والافكار ترتيبا أفضل وأحسن نظاما من ترتيبها الاول .

ان مبدأ التنظيم ليس غريبا عن الخبرة ، والا أصبحت مفككة الى درجة تعود معها الى الفوضى . (١)

٢ - أبحاثه بوجوب الربط بين خبرات التلميذ داخل المدرسة وخارجها : أهمية الربط بين المعرفة النظرية والعمل .

٣ - مراعاة الفروق الفردية - الميول والدوافع الطبيعية للتلاميذ واستغلالها في جذب انتباههم ، ودفعهم الى النشاط الذاتي الخلاق .

٤ - أخذ "" ديوى "" يفكر في ضرورة ايجاد وظيفة اجتماعية للمعلم وفي تطبيق العلم والفلسفة .

٥ - اهتم بالتفاعل المستمر بين الظروف الاجتماعية وبين التفكير في العلم والفلسفة .

٦ - يذكر "" ديوى "" عن المعلم أنه في عمله هو الشخصية التي تعتبر مفتاحا لتحقيق الوظيفة الخلقية للعملية التربوية كلها .

---

( ١ ) جون ديوى - الخبرة والتربية - ص ٧٧ - ٨٠

٧ - ويجب على المربى ( المعلم ) حسن استغلال الميول والدوافع فى العملية التربوية ، الميل الى الحركة والنشاط الى التعبير عن الذات بالقول والعمل والميل الى البناء والتركيب ، الميل الى البحث .

٨ - فى نظر "" ديوى "" ان مراعاة ميول التلاميذ ودوافعهم ورغباتهم لا يعنى ترك هذه الميول والدوافع والرغبات بدون توجيه ولا تنظيم .

٩ - المدرس واجبه فى نظر "" ديوى "" أن يوجهها ويعمل على تنظيمها وفق خطة مرسومة لتحقيق أهداف تربوية مرغوب فيها .(١)

١٠- يرى "" ديوى "" ان مساعدة التلميذ على ايقاظ قواه واستعداداته العقلية وتعوده على الاستقلال والاعتماد على النفس والتفكير المنطقى وحب التعاون ، وتشجعه على الاصالة والخلق والابداع وتدفعه الى الحركة والنشاط الهادف .

١١- يصر "" ديوى "" على أن التعليم الفعال انما يتحقق عندما يكون الشىء المراد تعلمه يعنى شيئا بالنسبة للمتعلم ، والجذب الانتباه يجب أن يكون الشىء المراد تعلمه له قيمة ذاتية .

١٢- بالنسبة للنظام يرى "" ديوى "" ضرورة اعطاء التلميذ حرية الحركة والنشاط الخارجى ، وبدون ذلك يصعب على ( المدرس ) معرفة الافراد

---

(١) جون ديوى - المرجع الاسبق - ص ٥٦ - ٥٧

الذين وكل اليه أمرهم ، فالطاعة والهدوء المفروضين لا يتركان للتلميذ الفرصة للتعبير عن طباعه الحقة ويفرض عليه التصنع ، وهذا يجعل الطفل يهتم بالمظهر على المخبر .

ان من له خبرة بالمدارس يعلم أن أنواع النشاط الممنوعة كانت تمارس بعيدا عن المدرس ، ولم تكن تنكشف للمدرس الا حين يؤدى عمل خارجي الى الكشف عنها . (١)

على أن الحرية الخارجية على أهميتها فى العملية التربوية ، يجب النظر اليها كوسيلة لخلق القدرة على الضبط الذاتي لدى التلميذ ، ولتنمية الحرية الحقيقية لديه ، وهى حرية الحكم والقدرة على تنفيذ الغايات المختارة على أساس التفكير السليم .

الطريقة العامة التى يوصى "" ديوى"" المدارس باتباعها فى تنظيم خبرات التلاميذ وفى التدريس هى طريقة المشروع Projectmethod طريقة حل المشاكل Problemsoloing method وقد عرّف بعضهم المشروع بأنه ( موقف تعليمى تتوافر فيه الاعتبارات التالية :

١ - وجود مشكلة أو مشكلات ، تنبع من ميول التلاميذ ، ويحسون بها مباشرة أو بعد اثارتها واشعارهم بها .

---

(١) جون ديوى- المرجع السابق - ص ٥٧ - ٥٨

٢ - وجود غرض واحد محدد فى أذهان التلاميذ ، يدفعهم برغبة شديدة الى حل تلك المشكلات .

٣ - القيام بنشاط متعدد الالوان ، عقلى ، جسمى ، اجتماعى ، من جانب التلاميذ ، ولهذا النشاط خطة اشترك فى وضعها التلاميذ أنفسهم ، وهى تعمل على سد حاجة الموقف وتحقيق الغرض .

٤ - يسود الموقف التعليمى فى جميع مراحله جو اجتماعى ديموقراطى طبيعى ، يؤدى الى النمو الفردى والاجتماعى .

٥ - المعلومات والنظريات والحقائق تأتى عرضا ومنقطعة ، كلما دعت الضرورة اليها فى تفسير موقف أو لتوضيح مشكلة .

٦ - مجال التعليم فى هذا الموقف التعليمى غير قاصر على الفصل ، بل يمتد الى خارج الفصل فى ساحة المدرسة وخارجها فى صورة زيارات ورحلات ومعسكرات .

**مميزات طريقة المشروع**

من أهم ما يميز طريقة المشروع اهتمامه بوضع ميول التلاميذ ونشاطهم ووضع المعلومات والحقائق ، والنظر اليها على أنها وسيلة وليست غاية فى حد ذاتها

المراحل الاساسية التى يتبعها المشروع :

اختيار الموضوع ( المشروع ) تحديد الغرض منه - رسم خطته ، تنفيذه

الحكم عليـــه .[(١)]

فى حين أن طريقة حل المشاكل التى نادى بها "" ديوى"" أن التعلم الجيد يقوم على وجود مشكلة تهم التلميذ وتتصل بحياته وحاجاته ، فتحفزه للقيام بنشـاط بغية الوصول الى حلها .

النشاط العقلى المنظم فى نظر "" ديوى"" من شأنه أن يجعل الفرد يشعـر بمشكلـة ما ، ثم يحدد المشكلة ، ثم صياغة الفروض التى محتمل أن توصله الى حـل لها ، ثم العمل على جمع البيانات والادلة التى تؤيد أو تفيد كل فرض من الفـروض ثم قبول الفرض أو الفروض التى تثبت صحتها كحل للمشكلة .[(٢)]

من مقارنة طريقة "" ديوى"" فى حل المشكلات و "" هربارت"" نجد أن طريقـة هربارت تركز على نشاط المدرس بينما طريقة "" ديوى"" تركز على نشاط التلميذ .

والأخيرة أن أحسن استخدامها ينتج عن ذلك ايجابية التلميذ فى العملية التعليميـة وهى قريبة الى الديموقراطية أكثر من طريقة "" هربارت"" .

وبالرغم من الاختلاف بين الطريقتين الا أن كلا منهما تكمل الاخرى ، والمدرس الناجح يحتاج الى استعمال كل منهما .. فاذا كانت طريقة "" ديـوى" فعّالة فى الفنون اليدوية والعلوم فان الاخرى أكثر مناسبة فى المواد اللغويـــة

---

(١) د . أبوالفتوح رضوان وآخرون - المدرس فى المدرسة والمجتمع - ص ١٤٩
(٢) د . عمر محمد الشيبانى - المرجع السابق - ص ٣٦٦

والادبية والتاريخية والمواد التى لا تعتمد على الافكار عامة ،هذا يعنى أن الطريقة الاولى لا تصلح فى ميدان الافكار بل تصلح ولكن بأقل فاعلية من الطريقة ( الهرباتية ) .

ج - المجتمع :

المجتمع عدد من الناس يرتبطون بعضهم البعض ،يعملون بروح مشتركة للوصول الى غايات مشتركة ،فتتطلب الغايات والحاجات المشتركة تبادل فى الفكر ووحدة فى التعاطف الوجدانى .(١)

لذا نادى "" ديوى"" بضرورة اعتماد المدرسة على نشاط التلاميذ ومشاركتهم فى العمل حتى تصبح المدرسة صورة مصغرة للحياة الاجتماعية ،ويكون للعلوم التى يتلقاها الطالب فى المدرسة معنى واقعى مستمد من الحياة ،وليس مجرد معلومات ونظريات تقرأ وتحفظ ،دون أن يتبين التلميذ صلتها بالحياة الاجتماعية

ان الناحية الاجتماعية فى حياة الانسان أهم شىء فى التربية ،وبعد أثر فى النمو ، لان نشاط الفرد مرتبط بالمجتمع وبنشاط غيره من أفراد المجتمع الذى يعيشه .

ان نجاحه فى تحقيق نزعاته وأغراضه ،يشمل نشاطه ونشاط غيره من أفراد المجتمع-الانسان بحكم طبيعته الاجتماعية يهتم برأى الجماعة فيه ويفضل أن يكيف

---

( ١ ) د. أحمد فؤاد الاهوانى - المرجع السابق - ص ٤٧

نشاطه وفقا لمقاييسها حتى يكسب رضاها وتقديرها .

من هنا أصبح حكم الجماعة أساسا من عناصر وحياة الفرد يؤثر فى خبراته ونشاطه ويوجهها حسب ما يراه .

ولان مشاركة الفرد فى حياة الجماعة تثير فيه نزعات ودوافع معينة تدفعه الى نشاط معين يريده المجتمع ويساهم فى تشكيل شخصيته ، ان حياة الجماعة تشمل معان وأفكار وعادات وتقاليد وأعراف والادوات التى يستخدمها ووسائل حياته .

ان فى معايشة الفرد لهذه المعانى والعادات والتقاليد والوسائل المستخدمة والادوات والاساليب السائدة فى المجتمع ، تساهم فى تكييف الفرد وتشربه لثقافة الجماعة وتجعل تفكيره فى الحكم على الاشياء وفقا لرأى المجتمع الذى يعيشه .

معنى هذا أن الحياة الاجتماعية فى حد ذاتها عامل تربوى قوى ينتج عنه تنمية خبرة الفرد وتكوين الاتجاهات والاستعدادات اللازمة لحياة الجماعة فى نفسه .

فى المجتمعات النامية يتلقى الاطفال تربيتهم بالمشاركة فى حياة الجماعة ويظهر هذا الامر فى القرى ، غير أن المجتمعات الحديثة يقع على المدرس عبء ايصال التراث الثقافى للجماعة الى الجيل الجديد .

لذا ينبغى على المدرسة أن تنظم نفسها فى صورة مجتمع يتفاعل معه الطفل ، ويمارس حياته الاجتماعية فيكتسب الافكار والاتجاهات والمهارات اللازمة لاستمرار حياة الجماعة ، وبذلك تكون المدرسة عاملا فعالا فى تكوين خلق الطفل . وتوجيه حياته وأفضل تدريب يستطيع الانسان الحصول عليه هو ما كان نتيجة علاقات صحيحة بينه وبين الاخرين .

فالتربية فى صميمها عملية اجتماعية ، تحدث عن طريق استثارة قوى الطفل وميوله بواسطة المواقف الاجتماعية التى يعاصرها .(١)

الحياة الاجتماعية فى المدرسة ينبغى أن تنظم بحيث تكون تربية الاطفال مؤدية لتقدم المجتمع ووسيلة لاستمرار حياته .

**خصائص النظم الاجتماعية عند ديوى :**

لقد فاضل "ديوى" بين خصائص النظم الاجتماعية المختلفة على أساس أثر حياة الجماعة فى النمو العقلى والخلقى للافراد ، والارتقاء بخبراتهم وجعل مقياس الحكم على قيم المجتمعات تربويا .

نمو الفرد هو المحك الاعلى لقيمة التنظيمات الاجتماعية ، هذا النشاط من النشاط التربوى وهو يعنى ( النمو العام لافراد المجتمع ) .

---

(١) د . اسماعيل محمود القبانى ـ التربية عن طريق النشاط ـ ص ١٤٨

انتهى ديوى الى أن أفضل النظم الاجتماعية هو النظام الديموقراطي ، المجتمع الديموقراطي يزود أفراده بأوسع الخبرات وأرقاها ، من المشاركة في الميول والفهم ، فالفرد يتمتع بالعضوية الكاملة في حياة الجماعة ، ويشترك في تكييف أغراضها فتكثر الميول والاتجاهات المشتركة بين الافراد ، ويقوم التوجيه الاجتماعي على أساس هذه الميول والاتجاهات المشتركة وادراك الافراد للاغراض والقيم التي يعملون من أجلها ، وبما أن انفعالاتهم ونزعاتهم مشتركة فان الاعمال التي يؤدونها ونجاحها يعتبر نجاح للمجتمع .

هذا الاشتراك يؤدى الى التأثير في النزعات الداخلية والدوافع التي تدفع الفرد الى النشاط ، هذا النوع من التنظيم ينبغي أن تقوم عليه العلاقات في الحياة المدرسية ، حتى تكون ذات فعالية في التربية في نواحيها الخلقية وبناء الشخصية .

النظام المدرسي لا ينبغي أن يكون مفروضا من قبل الناظر أو المدرس بل في مجموعه عن دوافع داخلية تثيرها مواقف الحياة المشتركة . (1)

**من مميزات النظام الديموقراطي :**

١ - سهولة الاتصال الفكرى والاجتماعي بين الافراد والجماعات .

٢ - انقسام المجتمع الى طبقات أو جماعات متباعدة لكل منها اتجاهات تختلف عن الاخرى لوجود الحواجز التي تمنع تبادل الخبرات مما ينتج عنه الانعزال

---

( ١ ) د . اسماعيل محمود القباني - المرجع السابق - ص ١٥١

أما من حيث تسهيل الاتصال الاجتماعى ، فان احتكاك الافكار والنزعات توجد الفرص لنشوء الميول المشتركة وهذا يؤدى الى اتساع الخبرة وسهولة تبادلها، ومما يزيد فى قيمة الحياة المشتركة فى المجتمع الديموقراطى من الوجهة التربوية ايمانه بقيمة كل فرد فى حد ذاته

وما دام للافراد فى النظم الديموقراطية حق المشاركة فى تكييف أغراض الجماعة وفى تقرير شئونها ، ومن هنا يحق لنا أن نسأل عن القياس الذى نتخذه للحكم على القيم ، وللتمييز بين الاغراض القيمة وغير القيمة .

الاجابة على هذا السؤال فى فلسفة "ديوى" (البراجماتية) بوجه عام هو أن الاشياء والاعمال تستمد قيمتها من النتائج التى تترتب عليها فى خبرة الافراد والجماعات ، مما يؤدى الى نتائج مرغوب فيها ، وما يؤدى الى نتائج غير مرغوب فيها .. فالمصدر النهائى للقيم يقع فى نطاق الخبرة الحسية بالرغبات والارتياح الناشئ عن تحقيقها .. من هنا أهمية النزعات الطبيعية والميول التى هى مصدر الرغبات فى فلسفة ديوى .[1]

**أهم آراء ديوى عن المدرسة :**

المربى الامريكى "جون ديوى" هذا المفكر ذائع الصيت الذى انتشرت آراؤه فى العالم الغربى ، كما غزت العالم الاسلامى والعربى ، يقول عن المدرسة والمجتمع :

---

(١) د. اسماعيل محمود القبانى - المرجع السابق - ص ١٥٣

١ - لما كانت التربية عملية اجتماعية ينبغى على المدرسة أن تمثل الحياة الاجتماعية ، وتعين التلميذ على استخدام قواه ومواهبه لخدمة المجتمع .

على هذا الاساس فالتربية هى الحياة وليست اعدادا للحياة فى المستقبل ، هذا يعنى التأكيد على الحاضر وليس على المستقبل . (١)

٢ - يقول "" ديوى "" بظهور الديموقراطية والنهضة الصناعية الحديثة لا يمكن التنبوء بما ستكون عليه المدينة بعد عشرين سنة .

لهذا لا يمكن اعداد الطفل لظروف غير معروفة على وجه الدقة ، لذا يرى "" ديوى "" أنه لا داعى للاهتمام بالمادة العلمية ، بل يجب الاهتمام والعناية بنمو مواهب الطفل وقواه ليكون قادرا على التفكير والنقد وحسن التصرف ، والمشاركة الايجابية والتفاعل مع المجتمع .

واذا كانت المدرسة عند ""ديوى"" صورة مصغرة للحياة الاجتماعية الحاضرة ، فان رأيه فى المعلم يتمشى مع هذه النظرة . (٢)

٣ - يذكر "" ديوى "" أن دور المدرس فى المدرسة لا لفرض معلومات معينة أو لتكوين عادات خاصة ، ولكنه عضو فى مجتمع المدرسة ووظيفته ومساعدته على تلبية هذه المؤثرات . (٣)

---

(١) جون ديوى - التربية فى العصر الحديث - ص ٢٠

(٢) جون ديوى - المصدر السابق - ص ١٩

(٣) جون ديوى - المصدر السابق - ص ٢٢

يلخص "" ديوى "" رأيه في علاقة التربية بالاصلاح الاجتماعي بقوله :
(( التربية تنظيم لعملية محاولة الطفل على أساس مشاركته ) هذا الشعور هو الطريق المستقيم والوحيد للاصلاح الاجتماعي )) .

٤ - ضرورة مساهمة كل من البيت والمدرسة في اعداد الطفل للحياة المقبلة .

٥ - المدرسة يجب أن تبسط الحياة الاجتماعية ، حتى يتمكن الطفل من الارتباط بها .

٦ - على المدرسة أن تأخذ خبرات الطفل الماضية ، وبالتالي تبني عليها الافكار الجديدة على أسس سليمة .

٧ - أن التقدم الجسمي لدى الطفل يجب أن يواكبه تقدم عقلي معرفي وخلقي .

٨ - الثورة الصناعية واثارتها مما جعل "ديوى" ينشيء المدرسة التجريبية .

٩ - تنظيم المناهج والتجهيزات المدرسية لتوجيه فعاليات الطالب ومنها التدريب المطلوب للوصول الى المواطن الصالح .

١٠- عقل الطفل يتعامل مع الاشياء المحسوسة والملموسة لذا يجب ادخال هذه الاشياء الى المدرسة ليستوعبها الطفل بعقله وجسمه ، وحتى لا تكون المدرسة في معزل عن الحياة وتتمكن من تفادي التلف والضياع في التربية .

هذه أهم آراء "" ديوى"" في علاقة المدرسة بالتربية والمجتمع بعد ذلك

تعرض لما نقبله أو نرفضه منها حسب ما جاء فى الدين الاسلامى الحنيف الذى ننتمى اليه بكل فخر واعتزاز . لا أحد يمكنه أن يختلف مع "ديوى" فى أن من واجب المدرسة أن تهيىء الفرد ليدرك مقومات الحياة المادية الحاضرة ويستعد للتجاوب مع ما يطرأ من مخترعات .

لما كان التنبوء بما يحدث مستقبلا بدقة غير ممكن ،فان هذا الاستعداد يتم عن طريق التربية المهنية ذات الطبيعة التكنيكية العالية .

تنمية التفكير وحسن التصرف والاعتماد على النفس والمهارة اليدوية فى الفرد لمساندته على مسايرة تغيير الحضارة المادية السريعة والمستمرة ، ولا أعتقد أن أحدا يختلف مع "ديوى" فى أن من واجب المدرسة تلبية حاجات المجتمع ومتطلباته .

وتظهر التربية الاجتماعية بالعلاقة الوثيقة بين المدرسة والمجتمع بجميع حرفه ومهنه ، لان التقدم العلمى والصناعى يجذب الناس ويخلق التنافس بينهم لتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية .(١)

والمجتمع يحتاج لجميع التخصصات والخدمات للقيام بأعباء الحياة ، لذا يجب على المدرسة تهيئة الفرص التعليمية للجميع والاهتمام بالاعداد والتدريب على مختلف المهن والاستعانة بأحدث التجهيزات والمكتشفات ،وطرق التدريس الحديثة لتزويد المجتمع بالفنيين والخبراء المهرة ، والمتخصصين فى مختلف

---

(١) د . بشير التوم - محاضرات عن التربية الاسلامية . ص ١٢

العلوم التطبيقية ، على أسس علمية سليمة ومدروسة من التخطيط التربوى الواعى حتى تتمكن التربية من تلبية حاجات المجتمع بكامله .

أشار ابن خلدون فى مقدمته ، فى فصل بعنوان " أن العلوم تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة " .[1]

ولا يختلف أحدا مع "" ديوى"" فى أن من واجب المدرسة الاهتمام بمشاكل المجتمع الاجتماعية والثقافية والسياسية والرياضية . . غير أن هذا لا يحتم على المدرسة أن تكون مجتمعا حقيقيا مصغرا كما يقول "" ديوى"" ذلك لان المدرسة لا يمكنها أن تعكس فى بيئتها جميع مظاهر حياة المجتمع ، واذا حاولت ذلك فانها تقع فى الاصطناع وتحمل مشاق لا قبل لها بها ، وقد تهمل علوما مستقلة كالجغرافيا والتاريخ وعلم النفس . . . الخ . ينبغى أن تأخذ مكانها فى المنهج واذا كان "" ديوى"" لا يشجع المنهج الذى يضم علوما مستقلة بحجة أنها تقدم متفرقة بغير رابط وبذا تكون منعزلة عن الواقع .

نقول له أن تدريس العلوم المستقلة لا يضير التلميذ لانه قادر على التفريق بين أنواع المعرفة والالمام بعلوم مختلفة وكثيرة ، يفهمها ويفرق بينها ، لانه صاحب شخصية تعكس ما عرفه وألم به من ضروب المعرفة المتنوعة ، فتنمى هذه المعرفة تفكيره وتجعله مثقفا وواعيا .

---

( ١ ) ابن خلدون - المقدمة - تحقيق على عبد الواحب وافى ص ٩٩٠

هذا اذا درس من هذه العلوم ما يحيلها علوما حية ونافعة ،وبطــــرق تنمى فيه صفات فردية واجتماعية مرغوب فيها .

يمكن الموافقة بين الرأى القائل بضرورة وضع علوم مستقلة فى المنهــــج ورأى ""ديوى "" القائل بالغائها ووضع أوجه نشاط مكانها تعكس ما فى المجتمع الخارجى من مظاهـــر للحياة .

أنه يمكن زيادة على العلوم التى تدرس أن تقوم المدرسة بأوجه نشــــاط متنوعة تعين الطالب على الربط بين العلوم والمجتمع الذى يعيش فيه مثل الانتــاج الادبى والتمثيل والصحافة والتربية البدنية ... الخ . هذا يتيح للطلبـــة الفرص للانتظام فى الجمعيات المختلفة لممارسة النشاط المرتبط بمشاكل المجتمـع والعمل على حلها .

ولئن اتفقنا مع "" ديوى "" مع قليل من التحفظ ، فى بعض جوانب رســالــــة المدرسة وعلاقتها بالمجتمع ، فاننا نختلف معه فى تعريفه للتربية على أنهــــا الحياة .[1] ذلك لان الذين يؤكدون تربيتهم على الحياة الحاضرة فقط ،وتنشغل بها دون الاعداد لحياة المستقبل ،يؤمنون بقيم متغيرة تكون انعكاسا للظـروف المتغيرة التى تأتى بها الحضارة المادية ، غير أننا فى المجتمع الاسلامى نؤمـــن بعقيدة التوحيد ، وما ينبثق منها من قيم ومبادىء ثابتة توجه نظم الحيـــــاة

---

(١) د . بشير التوم ـ محاضرات عن التربية الاسلامية ص ١٥

جميعها ، الخلقية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . . الخ ذلك لاننا ندرك أن القيم المتغيرة التى قال بها "" ديوى"" ويعتقد بها مفكرى المجتمعات الغربية أحدثت التفكك والانحلال فى المجتمع الغربى .

كما أن القيم الثابتة التى نؤمن بها باعتبارنا مسلمين ، تستقى القيم والمبادىء الاخلاقية من الدين السماوى ، لا تتعارض مع التقدم الحضارى وهى صالحة لكل زمان ومكان لانها من عند الله سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه خالق الانسان والكون الذى يعيش فيه وهو سبحانه أعلم بالنفس البشرية وما يصلحها أو يساهم فى فسادها .

المجتمع الاسلامى ليس مجموعة من الافراد تجمعهم غريزة العيش فى جماعة فحسب ، يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام ، ولكنه يقوم على عقيدة وقيم ثابتة وهى التى تكسب الافراد الشخصية المسلمة المستقلة .. وتميز المجتمع الاسلامى عن غيره من المجتمعات ، لذلك فان نهج المدرسة فى المجتمع الاسلامى لا يؤكد على الحياة الحاضرة فقط بل يتجه الى الدار الاخرة .

قال تعالى : "" وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا "".[1]

على هذا الاساس فالمعلم عندنا لا يقف موقفا سلبيا من تلاميذه ، ولا يكون

---

(١) سورة القصص : آية ٤٧

فقط عضوا فى مجتمع المدرسة كما يقول "" ديوى "" بل له سلطة يدركها تلاميذه ويحترمونها .. له سلطة يستمدها من قوة شخصيته مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال سبحانه وتعالى عن رسوله الكريم "" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم "" (١)

فخوف المعلم المسلم على طلابه من الجاهلية والانحراف والضلال يزيد من ايجابيته نحوهم ومن حرصه عليهم ، فيدفعهم للتحلى بأخلاق الاسلام وآدابه الفردية والاجتماعية وله سلطة علمية يقدم بها العلم النافع لتلاميذه بعد أن يصفيه من أدرانه الوافدة الينا من نظريات تتعارض مع الاسلام .

فالمعلم المسلم لا ينبغى أن يكون منعزلا عن مجتمعه ،بل عليه أن يهتم بمشاكل مجتمعه ويسعى لها . ولا صلاح المجتمع كله ،ونجاحه فى ذلك يقاس تجاوب تلاميذه مع الدعوة الاصلاحية التى يقدمها لهم فى الفصل مقرونة بالمادة العلمية ، وفى ساحة المدرسة فى مجالات النشاط الاجتماعى والثقافى والرياضى .

اذا نظرنا الى مدارسنا المعاصرة، وجدنا أن معظم المعلمين فيها يتخرجون فى معاهد المعلمين وكليات التربية التى تطالبهم بالابتكار والابداع ولا بقدرتهم الدائمة على الاصلاح الاجتماعى ، بذلك تمد المؤسسات المدارس بغير الاكفاء من المعلمين ، والتربية التى تقدمها هذه المؤسسات للطلاب

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٨

لتعينهم على أداء واجبهم فى الفصل والمجتمع ليست واضحة ولا توجهها أهداف ترتبط باصلاح المجتمع وتنميته .

ونجد فى مدارسنا ميل الى تجميد نشاط التلاميذ الذهنى الى درجة سلبية تجعل التلاميذ يتقبلون كل مايقدم اليهم ويعتمدون على الاستظهار ، لان المادة معدة وجاهزة بطريقة تقتل مواهبهم وتميت فيهم الجرأة فى الحق والاعتماد على النفس ، وليس فى مدارسنا الاهتمام التربية المهنية التى تحتاجها مجتمعاتنا ، ونجد أن الساحات المتصلة بالمدارس ضيقة لا تعنى بالفرض ولا تتسع لما يمكن القيام به من أنواع النشاط الدينى والاجتماعى والثقافى والرياضى ، ذلك النشاط المسؤول عن تربية التلاميذ واعدادهم لمواجهة مشاكل مجتمعهم وحلها .

مدارسنا تفتقر الى التربية البدنية المقوية للجسم ، وليس بها النشاط الاجتماعى الكافى [1] وتكاد تنعدم التربية الروحية ، مما جعل الكسل والخمول والضعف مكان الجد والعمل والقوة ، وأصاب الشباب فراغ روحى كبير ، وضعف ايمانهم واتجهوا نحو سلبية حجبتهم عن مشكلات مجتمعاتهم والعمل على حلها .

انما ما يخص التربية لايجاد المواطن الصالح فينبغى أن نفرق بين الانسان الصالح الذى يهدف الاسلام الى تربيته وبين المواطن الصالح ، فقد يبدو لنا لاول وهلة انهما شىء واحد ، وان الخلاف هو فى التسمية فحسب ، ولكن يكفينا

---

( ١ ) د . بشير التوم ـ محاضرات عن التربية الاسلامية ص٢٠

ان نقول أن الجندى الروسى الذى يقتل الافغانيين بالنابالم والقنابل السامة وقنابل الجراثيم هو ( مواطن صالح ) [1] فى عرف الدولة التى أرسلته ليرتكب تلك الجرائم فى أفغانستان وفى عرف العالم الشيوعى وان السياسى الامريكى الذى يؤيد اليهود فى عدوانهم السافر على العرب منذ انشاء اسرائيل حتى اليوم ويمكن لدولتهم فى حالة الاعتداء هو ( مواطن صالح ) فى عرف دولته وفى عرف العالم الصليبى الذى يؤيد أى عدوان يقع على المسلمين فى أى مكان فى الارض. أما (الانسان الصالح ) الذى يربيه الاسلام فهو ذلك الذى وعى وطبق قوله تعالى:
"" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم والوالدين والاقربين "" (سورة النساء - آية ١٣٥ )

لم يوجد قط الانسان الصالح بهذه الصورة الا فى ظل التوحيد ، لان الذى يعبد الله وحده لا يتغير خلقه من مكان الى آخر ولا من موضوع الى آخر لان الله الذى يعبده واحد فى كل مكان ، وواحد مع كل موضوع ، أما الذى يعبد ذلك الوثن الذى اسمه ( الوطن ) فوجهته الى ذلك الوثن ، وهو محدود بمكان معين وبمصالح معينة ومن ثم فهو فى خدمته حيثما وجهه . ولم يشهد التاريخ أمة يعيش فيها المخالفون لها فى العقيدة من يهود ونصارى ومجوس آمنين على أنفسهم ومصالحهم وعقائدهم وعباداتهم ومعابدهم كما حدث ذلك فى الامة التى تعبد الله وحده بلاشريك . . الامة الاسلامية . [2]

---

( ١ ) الشيخ محمد قطب - النظرية التربوية الاسلامية - ص ٧
( ٢ ) الشيخ محمد قطب - المصدر السابق - ٨

فى المجتمع الغربى بعد عصر الصناعة حيث تفككت الاسرة والعلاقات الاجتماعية وتدهورت الاخلاق مما يجعل المفكرين الغربيين يتحسسون الامراض الاجتماعية التى أصابت مجتمعاتهم ويبحثون عن أنجع الطرق لعلاجها من أشهرهم عالم الاجتماع " كارل مانهايم Karl Mannheim

بحث مانهايم عن الاسس القوى لبناء التربية الاجتماعية فهل وجد ضالته ؟
لقد رفض العقيدة المسيحية كأساس للبناء الاجتماعى بحجة عدم قدرتها على مسايرة الوضع الاجتماعى الحديث اذ يقول :

(( اذا لم يكن احياء العقيدة الدينية المتمثل فى حركة جماهيرية وقيادة أشد قوة روحية ، وعزما ، مسايرا ومواكبا للنهضة الاجتماعية المرتقبة فانه لا يمكن للنظام الديموقراطى الجديد فى هذه البلاد "بريطانيا"، أن يكون مسيحيا )) (١)

وكبديل للعقيدة المسيحية وحفاظا على حرية الفرد فضل مانهايم أن يتخذ الديموقراطية أساسا لتربيته الاجتماعية غير أنه عاد فقال :

(( مما لا شك فيه أن الديموقراطية فقدت التصور الواضح لنوع المواطن الذى نريد أن نكونه )) .

مما سبق يتضح أن مانهايم يعشق الحرية والالزام ولما كان يخشى التفكك الذى قد يحدث نتيجة للديموقراطية ويكره الدكتاتورية الشيوعية الخانقة ، فضل

---

(١) د . بشير التوم - المرجع السابق - ص ١٩ .

نظام وسط بأن اكتفى بقوله أنه نظام يقوم على أساس يشبه الدين فى قوتـــه الموحدة للمجتمع والموجهة لترهيته .. رفض العقيدة المسيحية لانها تفصـــل بين الدين والحياة وأصبحت جامدة لايمكنها مد المجتمع بمختلف شؤونه وقطاعاته بما يتناسب مع تطلعاته ونهضته .

ان التربية فى المجتمع الغربى بالرغم من العلم والنظام وصفات الحضـارة الظاهرة فانها تفتقر الى العقيدة الواحدة التى توجه الحضارة المادية ،وتدفـع الافراد الى التحلى بالصفات الحسنة كالتعاون والعطاء .

لذا نجد المادية متفشية بين الناس تدفعهم الى الاستغلال والانانيـــة تدفعهم الى التفكك والانحلال الخلقى .

فى حين أن المجتمع الذى يؤمن بعقيدة قوية يعمل بحرص على بث عقيدتـــه مع التربية الاجتماعية الموافقة للعقيدة والمساندة لها ،والوسيلة المستخدمـة لتحقيق ما سلف هى (التربية) بأوسع معانيها ومضامينها ،وخير مثال لذلـــك هو ( المجتمع الاسلامى ) انالمجتمع الاسلامى والتزامه بمبدأ التوحيد فـــى العقيدة والحياة .

فالعقيدة فى المجتمع الاسلامى اطار يحيط بكل ما يخص الانسان ويدخل فى كل جانب من جوانب التربية من علم أو عمل أو معاملة ،فللعقيدة آثار تدل على قوتها وصحتها .. مثلا (تربية الضمير ) × أساس الغمل الخلقى الوجدانى الظاهر

فلن نجد عقيدة أقوى من عقيدة التوحيد فى تطهير الوجدان وتصفيته ، فقد جاء فى الحديث الشريف : "انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى" فالاعمال تصدر طواعية دون نفاق أو رياء .

تماسك المجتمع وترابطه : الدعوة الى التآخى والتعاون وبذل التضحيات يقول تعالى "انما المؤمنون أخوة" لدرجة أن الرجل منهم يؤثر أخاه بماله وحياته وكل ما يملك . حث المسلمين على الاستقامة فى التصور وفى السلوك ، هذا التصور المنبثق من عقيدة التوحيد كما يقول سيد قطب : " ينشىء فى العقل وفى القلب اثارا كما أنه ينشىء فى الحياة الانسانية مثل هذه الاثار أنه ينشىء فى القلب والعقل حالة من الانضباط ، لا تتأرجح معها الصور ، ولا تهتز معها القيم ، ولا يتميع فيها التصور ولا السلوك ". (١)

لم يكن هذا التصور المنبثق عن عقيدة التوحيد ، ولا القيم الثابتة ، ولا السلوك المستقيم الا ثمارا واضحة من ثمار التربية القرآنية التى كانت تسود البيت والمسجد والمجتمع بكامله . غير أنه عند ما ضعفت عقيدة المسلمين ، فقدوا التصور الاسلامى الواضح وتغيرت أخلاقهم ، وأصيبوا بالضعف والتفكك والحيرة والتخبط والتبعية والتكالب على الحياة .

ان العلم والجد والاخلاص والنظام والنظافة وسائر الاخلاق الحميدة وابراز الشخصية المؤمنة المتميزة من مقومات الاسلام وحضارتنا الاسلامية الاولى لقد تركناها وأهملناها وبالتالى تخلفنا .

---

(١) سيد قطب - خصائص التصور الاسلامى ومقوماته - ص ٢٢٦

بعد أن تعرفنا على حالنـا في حياتنا الحاضرة فلا مجال للاختلاف في أمر التربية من حيث علاقتها بمجتمعاتنا لانها الوسيلة الوحيدة والاساسية لاصلاح المجتمع وتقدمه .

واذا أردنا للمدرسة في ظل المجتمع الاسلامي أن نشكل نظاما جديدا نقضي فيه على مايسود المجتمع من اتجاهات غير مقبولة ، فلابد من التخطيط للمدرسة بحيث تصبح الخطة المدروسة عاملا قويا وعنصرا فعالا في دعم النظام الاسلامي المنشود .

وحتى نصل الى هذه النتيجة يجب على (المربي) أن يستوحي من الاسلام المبادىء الاتية :

١ - ان يربي لسان الناشىء ويقومه بحسن التجويد وعدم اللحن .

٢ - يربي قلب الناشىء بالخشوع عند ما يمر بآية تستوجب الخشوع أو الغضب في الله أو الحنين الى الجنة أو الشعور بمحبة الله .

٣ - ان يرى سلوك الناشىء ، فيأخذ العهد عليه ويتعهده ليعمل بتعاليم القرآن ، أثناء الرحلات الطلابية وعند التغذية وفي كل المجالات .

٤ - أن يربي سلوك الناشىء بالاستدلال على ما استدل عليه القرآن ، ويتأمل ما يدل على عظمة الله ، وأن يضع أسئلة كثيرة بعد كل درس لتمرين العقل.[1]

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي - أصول التربية الاسلامية أساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع - ص ٨٧ .

هكذا نجد أن التربية بالقرآن يمكن أن تتناول كل جوانب النفس الانسانية أما التربية الاجتماعية فتكون في الجهاد - تلاوة القرآن الكريم - حفظ آيات الجهاد أثناء الجهاد - في الحج يتلو للحجيج آيات تذكر بآيات تذكر بنبي الله ابراهيم عليه السلام وبأهمية الصفا والمروة ونحو ذلك .

القرآن يجمع قلوب البشر على مبدأ واحد ودستور واحد وله الاثر الاول في جمع كلمة الامة الاسلامية اذ لا يختلف اثنان من المسلمين على أنه من عند الله وان اتباعه واجب وحق .(١)

لذا ينبغي أن نحكم القرآن والسنة المطهرة ولن يتم هذا الامر الا اذا قامت المدرسة والاسرة والجامعة والمسجد ومختلف وسائل الاعلام بامكانياتها الضخمة وغيرها من المؤسسات الاجتماعية كل بدوره ونصيبه وأسهمت في بنائه .. غير أن صلاح هذه المؤسسات للقيام بدورها الفعال للتربية الهادفة الاجتماعية يتوقف أولا وقبل كل شيء على صلاح الاشخاص القائمين عليها أو المسؤولين عن ترجمة مناهجها من عالم الشعارات الى الواقع .

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي - المرجع السابق - ص ٨٨

# الفصل الثامن

## أثر ديوي التربوي

- أثر ديوي التربوي في العالم الغربي وآراء المفكرين الغربيين فيه.
- أهم الآراء التربوية التي آمن بها ديوي ونادى بتطبيقها.
- أثر ديوي التربوي في العالم العربي.
- نقد وتحليل عام لآراء ديوي وأثرها على التربية الإسلامية.
- الهدف عند ديوي.
- الخلاصة.

## أثـر د يوى التربـوى

٥٥٥

### أ- أثر د يوى التربوى فى العالم الغربى وآراء المفكرين الغربيين فيه :

يعد " جون د يوى" John Dewey من أبرز فلاسفة العصـر الحالى فى جميع أنحاء العالم ،لانه كما يسميه الاستاذ " ارويـن ادمـان" Irwin Edman أحد صناع التراث الامريكى ، ثم يضيف أنه" يعـترف بد يوى اليوم أحد صناع الفكر المعاصر أو أحد الذين جد دوا صياغته ليس بـين أوساط الفلاسفة المحترفين فقط بل فى القانون والتعليم والفن ".(1)

عارض آراء " جون د يوى" فى التربيةوالتعليم الدكتور "هتجنس Hutching "" رئيس جامعة شيكاغو السابق وعدد من المفكرين الذين يرون أن عملية التربية هـى عمليـة نقل التراث من الجيل القديم الى الجديد وتدريب النشء على التفكـير عن طريق الدراسات الاساسية التى ثبتت فائدتها كالفلسفة والمنطق والرياضيات والدراسات الانسانية .

كما يهاجم الدكتور هتجنس نوع التربية التى يدعو "جون د يـوى" اليها وفى كتابه المشهور ( التعليم العالى فى أمريكا ) .

---

(١) د . أحمد فؤاد الاهوانى - جون د يوى- ص ١١-١٢

كما كتب الاستاذ "" جون تشايلدز John childs "" أحد تلاميذ "" جون ديوى "" ، عندما احتفل بذكرى وفاته قال : (( كتب الاستاذ موريس كوهين مقالة عن الفلسفة الامريكية ،صرح فيها أن أمريكا اذا كان لها أن تصطنع كرسيا وطنيا للفلسفة مثل بعض الدول الاوروبية ،فلن تجد الا شخصا واحدا يشغله هو "" جون ديوى "" ))

ولا شك أن هذا الرأى يوافقه كثير من المشتغلين بالفلسفة والتربية .

لم يكن "" ديوى "" معترفا به كأبرز المفكرين ،بل كان الممثل الذى تجسدت فيه معظم الامور التى نعدها أمريكيه، هذا ما شهد به المفكرون الامريكان .

كذلك شهد له المفكرون من غير أمريكا فهذا "" بارودى "" يكتب من فرنسا فيقول (( انه على الرغم من أن قلة قليلة من آثار ديوى - فيما عدا كتبه في التربية - قد نقلت الى الفرنسية فان فلسفته معروفة معرفة جيدة فى فرنسا وهى تلقى أعظم التقدير . وقد يقول قائل ان الفرنسيين يميلون الى الثناء )) (١)

وهذا رأى مفكر قوى فى نقده ، ولا يعترف الا بنفسه ،وهو "" برتراند رسل "" الذى افتتح الفصل الثلاثين المكتوب عن "" جون ديوى "" فى كتابه (تاريخ الفلسفة الغربية) قائلا (( ان ديوى الذى ولد عام ١٨٥٩م يعترف به على وجه عام انه رأس الفلاسفة الاحياء فى أمريكا )) .

---

(١) د . محمد الهادى عفيفى - لماذا نعلم - ص ٩٤

وانى لأوافقهم على هذا التقدير تمام الموافقة، فقد كان له تأثير عميق لا بين الفلاسفة فقط بل على طلاب التربية والجمال والنظريات السياسية . .

ويقول ( رسل ) فى مقالة أخرى عن "د يوى" ولهذا الفيلسوف وجهة نظر ،حيث تكون هذه النظرة متميزة ، تتفق مع عصر التصنيع والعمل الجماعى . ومن الطبيعى أن يكون أثره الاكبر فى الامريكيين ،كما يقدره لذلك قوم يأخذون بعناصر التقدم مثل أمة الصين و والمكسيك ممن يحاولون الانتقال السريع من حياة العصر الوسيط الى التجديد الحديث .

وبالرغم من انتقادات ( برتراند رسل ) التى اشتهر بها فقد اعترف بالفضل والشهرة والزعامة الفلسفية لديوى لا فى أمريكا فحسب بل فى الدول الاخرى التى تحب الاخذ بالحضارة الحديثة ،وهذا شىء طبيعى من فيلسوف انجليزى يعتز بقوميته ويتمسك بتقاليد الانجليز ،وله من فلسفته الخاصة ووجهة نظره فى الفن الرمزى مالم يوافقه عليها "د يوى" ..وتشبه شهرته أعنى د يوى لا مذهبه تلك الشهرة التى تمتع بها بنتام فى زمانه .[1]

لقد أصبح "د يوى" زعيم التجديد ليس فى أمريكا فحسب ،بل ذاعت شهرته كفيلسوف للتربية بفضل ما بذله من جهد لمزج الفلسفة بالتربية ، فانه نظر الى التربية بأنها المجال الحقيقى الذى يعين الانسان ، بعد تحرره من القيود

---

( ١ ) د .أحمد فؤاد الاهوانى- المرجع السابق -ص ١٣

الموروثة والافكار المعطلة على تحرير نفسه ، وتنمية ذكائه ،ليكون قوة فـــى البناء الاجتماعى الديموقراطى السليم .

ان من له خبرة بالعمل التربوى لا يمكنه أن يشك أن " جون ديوى" كـــان له من تأثير عميق وبعيد المدى فى الفكر التربوى وتطبيقاته .

هذا الأثر لم يقتصر على الولايات المتحدة الامريكية بل شمل معظم بـــلاد العالم ،ومن أبرز تلاميذه وزملائه فى حركة التربية الحديثة ( وليم هيرد كلباتريك William H. Kilpatrick [1] الذى كان تلميذا ومفسرا وزميلا "لديوى" وفى مذكرات كلباتريك يقول "" أنه لم يقع تحت تأثير فيلسوف كما وقع تحـــت تأثير ديوى "".

كما قال فى حديث له "" ان العمل تحت توجيه ديوى أعاد تكوين فلسفـــتى عن الحياة وعن التربية ، وقد استمر اعجابى بديوى طوال حياتى "".

ان مجرد ذكر اسم "" ديوى "" كفيل ببعث أقوى عواطف التقدير والمحبـــة انى اعتبره أحد الفلاسفة الثلاث فى تاريخ الفكر الانسانى ،فهو يأتى بعـــد " أفلاطون " و أرسطو " ويسمو على " كانت " و " هيجل " باعتباره ملهما للفكـــر والحياة الحديثة .

واستطرد يقول "" لقد قامت شهرتى كأستاذ ومرب فى أول الامر على أســـاس قدرتى على تفسير آراء ديوى "".

---

(١) د .محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ٦٤ .

لقد تضاربت الآراء وتعددت في تقييم عمل "" ديوى"" وأفكاره ، ففي كفة من كفتي الميزان ، نرى أستاذ الفلسفة "" هارولد لارابى "" الذى يصرح أن "" ديوى"" أقدر فيلسوف أنجبته أمريكا "" .

وفي الكفة الاخرى نرى ضابطا من ضباط البحرية الذى يشار اليهم بالبنان ، هو نائب أمير البحار "" هـ -ج- ريكوفر "" هذا الضابط عبر عن رأيه ، وحكم بأن "" ديوى"" قد ترك أثرا ضارا في التربية الامريكية . (١)

**ب - أهم الاراء التربوية التى آمن بها ديوى ونادى بتطبيقها :**

١ - رفض الاساليب القديمة في التربية ،التى تقوم على أساس حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات .

٢ - أعلا من شأن الخبرة والنشاط الذاتي للتلميذ في العملية التربوية.

٣ - أعتبر التربية عملية نمو للفرد والمجتمع .

٤ - دعى الى وجوب ربط المدرسة بالحياة العامة وبالاعمال الانتاجية في البيئة .

٥ - وجوب التعاون بين المدرسة والبيت .

٦ - التوفيق بين أعمال الطفل الاجتماعية والمدرسية .

---

(١) جون ديوى - ايفلين ديوى - مدارس المستقبل - ص ٢٥-٢٦ .

٧ - تحريره من الضغوط والقيود التي يخضع لها في التربية التقليدية.[1]

هذه أهم المبادىء والافكار التى كان لها الأثر البالغ فى كافة أنحاء العالم ،ويظهر أثرها فى معظم الحركات والطرق التربوية التى ظهرت فى أمريكا بين الحربين العالميتين ،وذلك "كحركة التربية التقدمية "و " حركة منهج النشاط" و " المنهج المحورى " وكطريقة دالتن ، وطريقة " ونيتكا" وطريقة المشروع " .

بالاضافة الى ماذكرنا سابقا ، فقد تأثر بأفكار "" جون ديوى"" : جورج كاونتس George S. Counts ،وبويد بود Boyd. H. Bode، وهارولد رج Harold O. Rugg ، وكاريلتون واشبورن Carleton W. Washburn بالرغم من التأثير الذى أحدثته أفكار ونظريات "" ديوى"" التربوية فى تربية القرن العشرين وفى أفكار كثير من المربين المتحررين والتقدميين فانها واجهت معارضة شديدة من قبل كثير من المربين المحافظين ومن أتباع المذاهب والنزعات التربوية التقليدية ،وهذا شأن أى حركة أو أى أفكار جديدة ، فأن الناس يتقبلون الاشياء المادية بسرعة وبغير تردد ، غير أن المفاهيم والافكار وكل ما يمس الانسان معنويا،تربويا أم اجتماعيا فانه عادة ما يقابل بالرفض وعدم القبول ،حتى يستبين لهم الأمر ، كما أن كل تجديد لابد أن ينبرى له المفكرين والمثقفين بالتحليل والنقد،لايضاح محاسنه أو مثالبه وبيان نواحى الامتياز والقصور فيه .

---

(١) د .عمر محمد الشيباني- تطور النظريات والافكار التربوية ، ص ٣٦٧.

وبما أن الانسان الذى حمله الله سبحانه وتعالى أمانة العقل والتفكير فى خلق الله العلى العظيم فانه دائما يعمل الفكر ولا يتقبل ما يأتيه من الغير مثل الآلـة .

فالنقد والتحليل من علامات صحة الاذهان وسلامة التفكير لدى الانسان ، هذا الكائن الذى كرمه الله .. قال تعالى "" ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ... "" من المعارضين لافكار "" ديوى "" اتباع المذهب (الواقعى) واتباع المذهب ( المثالى ) ، واتباع الحركة الاساسية Essentialism وقد كانت معارضة اتباع هذه المذاهب مبنية على أساس أنهم وجدوا فى أفكار "" ديوى "" مالا يتفق مع المبادىء التى تقوم عليها المدارس الفلسفية التى ينتمون اليهـا .

كما انتقد نظريات "" ديوى "" كثير من المحافظين الذين يرون أن المبادىء التقدمية هى السبب فى ضعف مستوى التعليم .(١)

بدأ النقد لافكار "" ديوى "" فى أواخر القرن السابع غير أن وطأته اشتدت أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات .

وقد شجعت كثير من العوامل الاجتماعية والاقتصادية هذا النقد ، ومن أبرز هذه العوامل فى الولايات المتحدة الامريكية .. الازمة الاقتصادية الكبرى التى حدثت فى الثلاثينات . فان هذه الهزة جعلت المربين والمصلحين

(١) د . عمر محمد الشيبانى - المرجع السابق - ص ٣٦٨ .

والاقتصاديين يهتمون باعادة النظر فى الاساليب التربوية السائدة فى ذلك الوقت ، وبدأ كثير منهم يشكك فى كفاية الاساليب التربوية التقدمية وينسب اليها كل الاخطاء ومظاهر الضعف التى وجدت فى التعليم الامريكى فى تلك الفترة

وبالرغم من اختلاف المذاهب والنزعات التربوية فان الانتقادات التى وجهت اليه تتلخص فيما يلى :

١ - انتقد فى فلسفة "ديوى" التربوية أنها اعتبرت العملية التربوية مرادفة لعملية الحياة نفسها .

٢ - نادت بتربية شخصية الطفل ككل ، وجعل المدرسة تتعدى على مسئوليات غيرها من المؤسسات التربوية والاجتماعية ، مما جعلها غير قادرة على الابقاء على مسئولياتها ، وفى هذا اضعاف للجانب العقلى الذى يجب أن ينال العناية الكبرى من المدرسة .

٣ - المبالغة فى تأكيد ميول التلاميذ وحاجاتهم الحاضرة ، كأساس لاختيار المعارف والخبرات المدرسية وتنظيمها .

٤ - مبالغتها فى تأكيد وحدة المعرفة لدرجة تقلل من شأن الترتيب المنطقى للخبرات الدراسية ، ومن قيمة تقسيم المعرفة ، ومن قيمة التخصص الذى أصبح من سمات العصر الحديث .

٥ - عدم اعطاء المواد الاكاديمية ما تستحقه من الاهتمام .

٦ - التركيز على الطريقة أكثر من التركيز على المحتوى . (١)

( ١ ) د . عمر محمد الشيبانى ـ المرجع السابق ـ ص ٣٦٩

ومن أشهر الذين انتقدوا فلسفة "" ديوى"" هو ""وليـــــام باجلـــــى William C. Bagley ( ١٨٧٤ - ١٩٤٦ ) ومن أشد النقاد المثاليون نقدا لأفكار "" ديوى"" هو ""هيرمان هونيه"" فى عدد من كتبه التى ألفها فى فلسفة التربية حسب المذاهب المثالى ومن بينها ، " فلسفة التربية " و " هذه التربية الجديدة " و " فلسفة جون ديوى" والفلسفة الديموقراطية للتربية " وكان الاخير بمثابة شرح وتعليق لكتاب ""ديوى"" الشهير ( الديموقراطية والتربية ) .

مثلما كثر المنتقدون لفلسفة ""ديوى"" كذلك وجد الكثير من المربين والكتاب التربويين ممن دافعوا عن ""ديوى"" ضد الهجمات والانتقادات التى وجهت اليه ، منذ ظهور أفكاره التربوية التحررية . . من بينهم ادوارد باور Edward J. Power وجون واين John P. Wynne وريتشارد ميليـــر Richard I. Miller .

واعتمد هؤلاء فى دفاعهم عن ""ديوى"" أن الكثير من المنتقدين له ينتمون الى مذاهب محافظة ، وهذا غير مستغرب أن ينتقد المحافظين الافكار التقدميـــة التى ناديها ""ديوى"" من ناحية وحمل على عاتقه وزر الحركة البراجماتية بكاملها .

وفى هذا شيء من الظلم لانه ليس من العدل فى شيء الادعاء بأن جميـــــع البراجماتيين كانوا وثيقى الصلة بديوى ومتأثرين به ، أو أنهم أتباع له .. فالواقـــع أن البراجماتيين لم يكونوا على اتصال وثيق بديوى حتى من كان له اتصال مباشر بـــه لا يمكنهم القول بأنهم صورة مكررة له ، فلكل منهم شخصيته وأفكاره وليس من الانصاف أن يحاسب ديوى على ما قاله غيره من البراجماتيون .

وهناك شيء مهم وهو سوء فهم أفكار "" ديوي"" وخلطها بأفكار غيره[1] وتحميله مسئولية كل ما ناد به أتباعه ( حركة التربية التقدمية ) التي نشأت عقب الحركة ( البراجماتية ) ، وتوجيه الانتقادات التي وجهت للحركة الاخيرة لديوي غير أنه ما ينطبق على التربية التقدمية في تطرفها لا يشترط أن ينطبق كذلك على الحركة ( البراجماتية ) التي قاد لواءها "" ديوي"" .

ان الحركة ( التقدمية ) أخذت تبتعد تدريجيا عن الحركة (البراجماتية) ومن أفكار "" ديوي"" أن ( البراجماتيون ) في أواخر الثلاثينيات أخذوا ينتقدون تطرف هذه الحركة لدرجة أن ""ديوي"" نفسه كان من بين الناقدين للحركة (التقدمية) في التربية.

عام ١٩٣٨ تلك السنة التي ألف فيها " بويد بود Boyd H. Bode كتابه ( التربية التقدمية في مفترق الطرق ) تعتبر نقطة تحول في انفصال الحركة (التقدمية) عن الحركة ( البراجماتية ) .

وتبعته كتابات عديدة من (البراجماتيين ) تنتقد هذه الحركة ،وقد ساهم "" ديوي"" في نقد هذه الحركة .

واذا كان ديوي وغيره انتقدوا حركة ( التربية التقدمية ) ، فليس من العدل أن يؤاخذ ""ديوي"" بما قاله المتطرفون التقدميون ونسبه الكثير من أخطاؤهم اليه .

---

( ١ ) د .عمر محمد الشيباني - المرجع السابق - ص ٣٦٩

بالرغم من اخلاص المدافعين عن ""د يوى"" وقوة حجتهم ، فانه لا يمكن لاحد أن ينكر أن ""د يوى"" نادى بتربية الشخصية ككل ، وأعطى أهمية لميول التلاميذ وحاجاتهم الحاضرة فى عملية اختيار وتنظيم خبراتهم المدرسية ، الى غير ذلك من الامور الغير مقبولة من قبل المحافظين الذين يؤكدون على التركيز على التربية العقلية وعلى المادة الدراسية .

غير أن ما ذهب اليه "" د يوى "" من التجديدات له ما يبرره من نتائج علم النفس ، ومن مقتضيات العالم المتغير والمتطور الذى عاش فيه "" د يوى"" .[(١)]

وأخيرا لم يسلم فيلسوف من نقد ، فسهام النقد التى توجه الى الفيلسوف انما هى دليل على شهرته ، وآية على عظمته . . وهناك الكثير ممن انتقدوا د يوى بالاضافة لما سبق أن ذكرنا مثل بارودى وسانتنا باتا وغيرهما ، بعضها يشرح فلسفة "" د يوى"" ويحللها ويقدمها للناس ، وبعضها ينتقدها انتقادا مرا . وقد انبرى لهم ""د يوى"" فشكر المادحين والقادحين ، ورد على نقد الناقدين فى فصل بعنوان (( الخبرة والمعرفة والقيمة )) لخص فيها فلسفته ، ووضح مذهبه ودافع عن نفسه كما كانت سنة سقراط وأفلاطون فى الحوار والجدل .

هذه هى السيرة الفلسفية كما ينبغى أن تكون بعيدة عن التعسف وعن سوقية التفكير العامى .[(٢)]

---

(١) د .عمر محمد الشيبانى - المرجع السابق - ص ٣٧٢ .
(٢) د .أحمد فؤاد الاهوانى - المرجع السابق - ص ١٤

## جـ - أثر ديوى التربوى فى العالم العربى :

"" جون ديوى"" الرجل الذى أجمع المعجبون به ونقاده - جميعا - على أنه عالم قد ترك أثرا عميقا فى التربية والتعليم ، لا فى الولايات المتحدة الامريكية فحسب بل وفى غيرها من بلاد العالم ومن ضمنها البلاد العربية والمفكرين العرب.[1]

لقد نفذت الى العالم العربى آراء "" جون ديوى"" عن طريق كتاباته وكتابات تلاميذه ، فقد نقلت الى العربية بعض كتبه ، كما نقلت الى غيرها من اللغات ، كما أن الكثير من المفكرين والمشتغلين بالتربية والتعليم العرب عندما تلقوا دراساتهم فى الدول الاوربية ، تأثروا بأفكار "" ديوى"" المنتشرة فى انجلترا وفرنسا وغيرها من دول العالم المتقدم .

وقد عبر الاستاذ "" اسماعيل القبانى "" عن مكانة "" ديوى"" فى عالم التربية بقوله (( كان لفلسفة ديوى أثر بعيد فى تطور نظريات التربية فى النصف الأول من القرن العشرين ، وكانت بصفة خاصة أهم العوامل التى أثرت فى توجيه حركة التربية الحديثة أو التربية التجديدية - أى التقدمية Progressive فى هذه الفترة ، وهى الحركة التى اتخذت من مبدأ التربية عن طريق النشاط شعارا لها )) .

لم يكن أثر "" ديوى"" قاصرا على بلاده الولايات المتحدة الامريكية ، بل كان

---

(١) جون ديوى - ايفلين ديوى - المرجع السابق - ص ٢٥

أثرا عالميا ، ويقول أستاذ التربية د . محمد الهادي عفيفي عن "" جون د يوي" "
يندر لرجل واحد أن يلمس في حياته كما لمس "" د يوي"" ما كان لفلسفته التربوية
من نتائج على نطاق واسع وعالمي ، فعلى الرغم من ذيوع شهرة ""د يوي""كفيلسوف
فان اهتمامه بالتربية وصياغته لفلسفته في مفاهيم تربوية ، جعلته رائد الثورة
التربوية منذ بداية القرن العشرين ، فمنه استقى الكثير من الطلاب ومن حوله
كثر تلاميذه من الفلاسفة والمربين ، ومن أجل تطبيقها تعددت تفسيراتهم لآرائه
الا أنه ظل النبع الاصيل لهم جميعا . (١)

يقول الاستاذ "محمد حسين آل ياسين " عن "" جون د يوي"" (( ان آراء
د يوي الاساسية غير المشوهة لم تنتشر في العالم العربي ولم تطبق في
أي مكان فيه على طاق واسع .

ولكن ""د يوي"" ترك أثره في تفكير كثير من المربين المعاصرين في البلاد
العربية ، وان ما يدعو اليه هؤلاء المربون من تقليب الروح الديموقراطية في
المجتمع العربي ، بصورة عامة ، وفي المدرسة صانعة المجتمع الجديد بصورة خاصة
ومن تحقيق لمبدأ تكافوء الفرص أمام الاطفال جميعا دون تمييز ، ومن ربط
المدرسة بالمجتمع وجعلها عاملا من عوامل استقراره من جهة وتغييره وتقدمه
من جهة أخرى ، ومن ضرورة الاهتمام بالدروس العملية الى جانب الاهتمام
بالدروس النظرية .

---

(١) د . محمد الهادي عفيفي - المرجع السابق - ص ٩٥

ان كل ماسبق ومايدعو اليه المربون انما قد تأثروا به من "" جون ديوى ""
ونحن نرجو أن يدرس مربونا الحاضرون آثار هذا المربى الكبير حتى نستفيد
من أفكاره فى ثقافتنا وحضارتنا .

يقول د . أحمد حسن الرحيم عن "" جون ديوى "" : (( ليس من
المعنيين بشؤون التربية والفلسفة " الحديثين " فى أرجاء العالم كله من يجهل
الفيلسوف الامريكى "" جون ديوى "" ومن لم يطلع على مقدار ولو محدود من آرائه ونظرياته ))

يقول الاستاذ د . أحمد فؤاد الاهوانى عن "" جون ديوى "" (( ان صحت
النظرية القائلة بأن الانسان ثمرة البيئة التى يعيش فيها فان "" جون ديوى ""
أبرز مثال على صحة هذه النظرية . فقد اجتمعت له من ميراثه الاسوى والاقليم
الذى نشأ فيه ، والتربية التى تلقاها فى حداثته ، والاساتذة الذين طلب
العلم عليهم ، والامة التى كان فردا من أفرادها وما لتلك الامة من تقاليد مأثورة
عن الحرية والديموقراطية ، والعصر الذى ولد فيه وترعرع فى أحضانه والنزعات
الفلسفية والاتجاهات العلمية التى أخذت تقوى وتشتد وبخاصة الاتجاه الى
التصنيع وما تبعه من مناداة العمال بحقوقهم ، ونزول المرأة الى ميدان العمل ،
والتغير المحسوس السريع الذى نتج عن ذلك فى المجتمع والاخلاق والتربية
والدين والفن ، نقول اجتمعت هذه العوامل كلها على تكوين "" جون ديوى "" فكان
بذلك ثمرة هذه البيئة الثقافية والحضارية .[1]

---

(١) د . أحمد فؤاد الاهوانى - المرجع السابق - ص ١٩

ذكر الاستاذ د . عمر محمد الشيباني عن "جون ديوى" مايلي :

(( لقد نال " ديوى" شهرة فائقة كفيلسوف مفكر ومصلح تربوى كبير لا في الولايات المتحدة وحدها ، ولكن في جميع أنحاء العالم ، وقد دفعت هذه الشهرة كثير من البلدان المتقدمة لدعوته ليحاضر في جامعاتها وليساعدها في تنظيم تعليمها )) .[1]

**أمثلة من المؤلفات التربوية التي نقلت الى العربية والمتأثرة به :**

كثير من المشتغلين بالتربية في البلاد العربية الفوا آراء " ديوى" كما أنهم اهتدوا بها فيما أدخل من تجديدات على ميدان التربية في بلادنا ومن هذه الكتب :

١ ) الديموقراطية والتربية
٢ ) الخبرة والتربية .
٣ ) تجديد في الفلسفة
٤ ) المنطق نظرية بحث .
٥ ) الحرية والثقافة .

**نقد وتحليل عام لاراء ديوى وأثرها على التربية الاسلامية :**

١ - الفلسفة البراجماتية تذكر أن الانسان يتكون من جسم وعقل في ميدان الدين الاسلامي يؤكد أن الانسان مكون من جسم وعقل وروح ووجدان .

٢ - اهتمت الفلسفة البراجماتية بالتفاعل المستمر بين الفرد وبيئته .

---

( ١ ) د . عمر محمد الشيباني - المرجع السابق - ص ٣٣١

٣ - اهتمت الفلسفة البراجماتية بالخبرة .

٤ - أوضحت الفلسفة البراجماتية أهمية الوسط الاجتماعي . والدين الاسلامي يحرص على اتباع الاساسيات الشرعية من العبادات والاعمال الكفيلة بالحياة السعيدة في الدنيا والآخرة .

٥ - الفلسفة البراجماتية بينت أهمية دور المدرسة في اقامة التوازن بين شتى عناصر البيئة الاجتماعية .

٦ - أهمية الفروق الفردية بين الناس ، وفي ذلك مراعاة للطبيعة الانسانية وتتمشى مع تعاليم الدين الاسلامي ، فلا يكلف الله نفسا الا وسعها .

٧ - اعتنى ديوى بالتربية النظرية والعملية على حد سواء ويظهر ذلك واضحا في طريقة المشروع التي نادى بها .

٨ - فلسفته البراجماتية تقوم على أمور منها اخراج منطق جديد يلغي الثنائية القائمة بين منهج العلوم ومنهج الاخلاق .

٩ - تخليص علم النفس من النزعات الميتافيزيقية والبحث في الشعور وتطبيق العلوم البيولوجية على دراسة نفسية الانسان .

١٠- تطبيق العلم الحديث ومناهجه على العلوم الاجتماعية مثل الانتروبولوجيا والتاريخ والسياسة والاقتصاد وغير ذلك .

يذكر "د يوى" عن ( العملية التربوية) أن لها جانبان :[1]
جانب نفسانى وآخر اجتماعى ، ولا يمكن أن يخضع أحدهما للآخر أو يغفل أحدهما دون أن يترتب على ذلك نتائج سيئة ، فالطفل الذى نربيه فردا اجتماعيا ، والمجتمع وحدة عضوية مؤلفة من أفراد .

تقوم فلسفة د يوى التربوية على أساسين :

١- الديموقراطية :
بمعنى المعرفة بالواقع والحقائق معرفة تمكن الفرد من استخدامها فى صلتها بالاهداف الاجتماعية .

٢- أصل المعرفة :
التى تنتج من جهد الانسان فى أثناء معالجته شئون الحياة ، ومجال المعرفة هى الخبرة ووسيلة الانسان لتنميتها البحث والاستقراء والتعميم والتقويم والتجريب وهى الطريقة العلمية .[2]

ونحن باعتبارنا ( مسلمين ) فان البحث العلمى عندنا يجب أن يقوم على أسس ايمانية ، والديموقراطية عندنا ( كمسلمين ) يجب أن تكون مستقاة من الشريعة الاسلامية والتى تعتبر الشورى جزء مهم وأساسى فى صلاح المجتمع

---

( ١ ) د . أحمد فؤاد الاهوانى - المرجع السابق - ص ١٦٢ .
( ٢ ) د . محمد الهادى عفيفى - المرجع السابق - ص ١٠٨ - ١١٢ .

الاسلامى بحيث يكون مجلس الشورى يضم أكثر المسلمين علما بالاسلام وحرصا على مصلحة الاسلام والمسلمين على حد سواء .

وصدق الله العظيم حيث يقول فى محكم تنزيله (( وأمرهم شورى بينهم ))

التربية فى رأى "" ديوى"" ليست مجرد نقل الثقافة بل أن يتعلم كل فرد كيف يبحث بنفسه ويكّون ثقافة داخلية خاصة به ، ويرى أن المدرسة مدخل لحياة العقل بما تتضمنه من الفقه فى استخدام العقل وان طريقة التربية مجرد مجهود منضبط ليعرف الفرد نفسه ويحول ما فهمه الى تمثيل العالم تمثيلا منطقيا يأخذ الجزئيات ويعطى المعنويات والمجردات أهمية لا يمكن الاسغناء عنها .

باعتبارنا ( مسلمين ) فالتربية يجب أن تكون مستقاة من الشريعة الاسلامية مثل التربية عن طريق القدوة الحسنة ، مثل الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وهو صلى الله عليه وسلم من وصفه الله سبحانه وتعالى فى محكم تنزيله (( وانك لعلى خلق عظيم )) ( صدق الله العظيم ) .. والتربية عن طريق الموعظة ، التربية عن طريق القصة وهناك أمثلة كثيرة من المواعظ والقصص فى القرآن الكريم . . كلام الله سبحانه وتعالى .

التربية السليمة هى تلك التربية المستقاة من المصادر الاساسية ـ الكتاب والسنة ـ وبالنسبة للطبيعة الانسانية يقول "" ديوى"" ان الطبيعة الانسانية

الاجتماعية التى يكتسبها الفرد نتيجة ما يتعرض له من تغيرات فى تفاعله الاجتماعى مع بيئته بعناصرها المادية والاجتماعية .

ويذكر أن مرونة الانسان اللامحدودة ، ونعنى قدرته على التميز ، بين عناصر البيئة المختارة واختياره من بينها حتى يتحقق أفضل مستوى من التوافق لنفسه مع البيئة ، وهنا أختلف مع " ديوى " لان اختياره لعناصر البيئة المختلفة حتى يحقق المستوى الافضل من التوافق بين نفسه وبين بيئته ، يجب أن يكون هذا التوافق وهذه البيئة متمشية مع ماجاء به الشرع باحلال الحلال وتحريم الحرام ، والنصح والارشاد للمسلمين والثبات على الحق لانه الحق ، حتى لو كانت البيئة التى يعيشها الانسان مخالفة لمبادئه الاساسية .. من ذلك المسلمين الذين يعتبرون من رعايا الدول غير الاسلامية ، يجب عليهم التمسك بدينهم حتى لو خالف ذلك البيئة التى يعيشون فيها .. بل على العكس من ذلك يحاول كل منهم أن يكيف البيئة لمقتضيات شرع الله سبحانه وتعالى ذلك لان الاسلام أكمل الاديان ويصلح لكل زمان ومكان ، مثال ذلك : تلك الاعداد الكبيرة من المثقفين التى تعتنق الاسلام دينا ودستور حياة بعد دراسة كافة الاديان خاصة الاديان السماوية ، تؤمن عن يقين واقتناع بصلاحية الدين الاسلامى وشموله وتمشيه مع الطبيعة البشرية للانسان وقبل أيام وفى شهر الحج لعام ١٤٠٠هـ أعلن أكثر من خمسين شخصا الاسلام فى مدينة جدة وأمام قاضى المحاكم الشرعية ، ليس هذا العام فحسب ، بل فى كل عام وكل زمان ومكان عشرات ممن يدخلون الى دين الله الاسلام .. بعد دراسة واقتناع وحب فى هذا الدين وفى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبهداية الله سبحانه وتعالى لهم

الى الطريق الحق (الاسلام) هذا الدين الذى ارتضاه سبحانه لعباده .

ذكر "" ديوى"" أن القيم متغيرة ،بذلك تحدث تغييرات فى المقاييس وبالتالى تتغير الاهداف وينتج عن ذلك اضطراب فى المجتمع ،بمعنى أن القيم النسبية تحدث تفككا فى المجتمع ، وهذا يرجع الى المجتمع الذى عاش فيه "" ديوى"" فالمجتمع الامريكى عبارة عن جنسيات مختلفة وأديان متعددة ونحل متباينة .

هذا ما جعله يذكر بأن القيم متغيرة ، ولعله لو اطلع أو عايش أى مجتمع اسلامى طبق جميع أحكام الشريعة وتعاليمها السمحة لكان له رأى آخر .

**الهدف عند ديوى :**

هو تحقيق استمرار التربية بمعنى أن يستمر الفرد فى تكيفه مع بيئته .
حياة المجتمع الشيوعى فى روسيا نلاحظ أن أسس التربية التى وضعها ماركس ولينين مطبقة بحذافيرها ،بالرغم مما فيها من اجحاف بحقوق الفرد ، وتسلط الدولة والمجتمع لهضم حقوق الأفراد .

ان الفرد فى المجتمع الشيوعى لا يمكنه التحكم أو التصرف فى أملاكه الخاصة به ، هذا على النقيض من المجتمع الرأسمالى فى المعسكر الغربى ،اذ أن حرية الفرد لا ضوابط لها ،مما قد يسىء الى المجتمع .

صحيح أن التربية الشيوعية نجحت فى تحقيق أهدافها ،لكن هـــذا النجاح كان على حساب الانسانية وعلى حساب الانسان كفرد له حقوق وعليــه واجبات يجب أدائها ، لذلك كثيرا ما نسمع عن الخواء الروحى وتفشى الامراض النفسيـة وحوادث الانتحار ومختلف الجرائم من القتل والسلب والنهب والاعتداء على الاعراض فى المجتمعات غير الاسلامية .

فى حين أن الدين الاسلامى " دين الله " لا افراط ولا تفريط ، حفـــظ حقوق الافراد والمجتمع ، كلا يعرف ماله وما عليه (( كلكم راع وكل راع مسئول عــن رعيته )) . المسلم له حقوق وعليه واجبات ،متى ما أخذ حقوقه فعليـــه أن يؤدى الواجبات التى عليه ،

يقول "" ديوى "" عن المدرسة أنها صورة مصغرة للحياة الاجتماعية الحاضرة غير أنى أختلف مع "" ديوى "" فى هذا الرأى ، لان المدرسة مهما حشدنا لهـــا من طاقات فانه لا يمكنها القيام بهذا الدور الخطـــير .

--•--

## الخلاصــــــة

ان كثيرا من المربيين والمفكرين العرب ، ان لم نقل كلهم ، تأثروا بـآراء وأفكار "" جون ديوى"" فى التربية ونقلوها كما هى فى كثير من الاحيان منهـم الدكتور محمد لبيب النجيحى فى كتابه ( فلسفة التربية ) والذى تأثر به كثيرا هذا بالرغم من أن بعض آراء ديوى تشكل خطورة على المجتمع المسلم ، وهـذا لا يجوز لان المجتمع الذى عاش فيه ديوى يختلف عن مجتمعنا الاسلامى .

ونحن أمة لها تراث وماضى عريق ، وقبل كل شىء وأهم من أى شىء لنـا عقيدة كرمنا الله سبحانه وتعالى بها وبحمل لواء الاسلام ونشره فى أرجاء المعمورة (( كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .)) صدق الله العظيم .

لذا يجب أن تكون جميع أعمالنا وأفكارنا منطلقة من المنطلقات الاسلاميـة الواضحة ، بل علينا أن نقيس كل ما يأتينا من الشرق أو الغرب ، ونجعـل الميزان والمقياس فى ذلك كله ( الدين الاسلامى ) وتعاليمه السمحة .

ما وافق منها الاسلام أخذناه ، وما خالفه رفضناه ورددناه .

والله أعلـم .

-٠-

# الخاتمة

## الخاتمـــــــة

بحمد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه تم هذا العمل الذى أرجو أن ينتفع ويستفيد منه طلبة العلم وطالباته .

وقد عالجت فيه النقاط التالية :

( ١ ) من هو جون ديوى - أعماله - المؤثرات التى أثرت فى فكره .
( ٢ ) مذهبه البرجماتى - آراؤه التربوية .
( ٣ ) رأيه فى الكون والطبيعة البشرية - نقد لتلك الاراء مسترشدة بتعاليم الاسلام .
( ٤ ) نظرية المعرفة عند ديوى .
( ٥ ) بعض آراؤه فى الاخلاق .
( ٦ ) أهداف التربية وآراؤه حول ذلك .
( ٧ ) المدرسة ودور المعلم والمناهج ومدى تأثيرهما فى تربية النشء
( ٨ ) وأخيرا أثر ديوى التربوى على العالم الغربى ثم العربى والاسلامى ومدى اختلاف أو تطابق وجهات نظره مع ديننا الاسلامى .

مقدم من الطالبة

جواهر أحمد قناديلى

# فهرس المصادر والمراجع

المراجع الاساسية :

١ الديموقراطية والتربيـــــة

جون ديوى - ترجمة نظمى لوقا - مكتبة الانجلو المصريـــــة القاهرة ١٩٧٨م .

٢ المدرســـة والمجتمـــع

جون ديوى - ترجمة د . أحمد حسن . الرحيم - مراجعـــة د . محمد ناصر - تصدير د . محمد حسن آل ياسين - دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر - الطبعة الثانية ١٩٧٨م ( نشـــر بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بغـــداد - نيويورك ) .

٣ الطبيعة البشرية والسلوك الانسانى

جون ديوى - ترجمة د . محمد لبيب النجيحى ، استاذ كرسى فلسفة التربية بجامعة القاهرة - مؤسسة الخانجى بالقاهـــرة ١٩٦٣م .

٤ التربية فى العصر الحديـــث

تأليف جون ديوى .

٥ الخـــبرة والتربيـــــة

تأليف جون ديوى .

٦ التربية عن طريق النشـــاط

د . اسماعيل محمود القبانى - الطبعة الاولى - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨م

٧ تطور النظريات والافكار التربوية
د .عمر محمد الشيبانى - الطبعة الثانية - ١٩٧٥م دار الثقافة بيروت - لبنان .

٨ تطور الفكر التربــــــوى
د . سعد مرسى أحمد - الطبعة الثالثة ١٩٧٥م - عالم الكتب

٩ جون ديــــــــوى
د . أحمد فؤاد الاهوانى - الطبعة الثانية - دار المعـــارف بمصر ١٩٦٨م .

١٠ دراسات فى التربية والفلسفــة
د . سعيد اسماعيل على - كلية التربية بجامعة عين شمـــس عالم الكتب ١٩٧٢م .

١١ فى الفكـــــر التربــــوى
د . محمد لبيب النجيحى - دار النشر مكتبة الانجلو المصريــة سنة ١٩٧٠م .

١٢ فى طرق التدريس (التربية الحديثة - مادتها - مبادئها - تطبيقاتها العملية
د .صالح عبد العزيز - الجزء الثالث - دار المعارف بمصـــر الطبعة السابعة .

١٣ لماذا نعلــــــــــم؟
لويز شارب - ترجمة وتقديم د .محمد على العريان - تصديـــر حسن جلال العروسى .
المقالة الخاصة بجون ديوى للدكتور محمد الهادى عفيفـــى

عالم الكتب ـ القاهرة . ( نشر هذا الكتاب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ نيويورك ١٩٦٤م

١٤ مدارس المستقبل

جون ديوى ـ ايفلين ديوى ، ترجمة عبد الفتاح المنياوى مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢م .

١٥ محاضرات فى التربية الاسلامية

للدكتور بشير حاج توم .

١٦ مسيرة الفكر التربوى عبر التاريخ

د . محمود السيد سلطان ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٥م

المراجع الثانوية :

١ النظرية التربوية الاسلامية

محمد قطب ـ بحث مقدم لندوة أسس التربية الاسلامية المنعقدة فى ١١/٦/١٤٠٠هـ بمكة المكرمة .

٢ العدالة الاجتماعية فى الاسلام

سيد قطب ـ الطبعة السابعة ـ بيروت ١٩٦٧م .

٣ الانسان بين المادية والاسلام

محمد قطب ـ الطبعة الرابعة ١٩٦٥م بيروت ، لبنان دار احياء الكتب العربية .

٤ الانسان فى القرآن الكريم

د . أحمد توفيق شاولى - بحث مقدم لندوة أسس التربية الاسلامية عام ١٤٠٠ هـ بمكة المكرمة .

٥ اعداد المعلم وأثره فى تطبيق منهج التربية الاسلامية

د .عمر محمد الشيبانى - بحث مقدم لندوة أسس التربية الاسلامية ١٤٠٠هـ بمكة المكرمة .

٦ المدرس فى المدرسة والمجتمع

د . أبو الفتوح رضوان ، د . مصطفى بدران ، د .محمد أحمد الغنام ، د . أحمد عبد العزيز سلامة ، محمود عوف مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٨م .

٧ أصول التربية الاسلامية - أساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع

عبد الرحمن النحلاوى - الطبعة الاولى ١٩٧٩م - دار الفكر بدمشق .

٨ خصائص التصور الاسلامى ومقوماته

سيد قطب - الطبعة الثانية ١٩٦٥ - القاهرة .

٩ فى فلسفة التربية

ج .ف . نيلر - ترجمة د .محمد منير مرسى ، د . محمد عزت عبد الموجود ، يوسف ميخائيل أسعد - عالم الكتب .

١٠ فى أصول التربية ( الاصول الفلسفية للتربية )

د .محمد الهادى عفيفى - الطبعة الثانية ١٩٧٨م - مكتبة الانجلو المصرية .

١١ منهج التربية الاسلامية

محمد قطب - الطبعة الثانية -

١٢ مقدمة ابن خلدون

تحقيق على عبد الواحد وافى عام ١٩٥٧ م.

---

